Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دمشق الشام

في نصوص الرحالين والجغرافيين والبلدانيين العرب والمسلمين

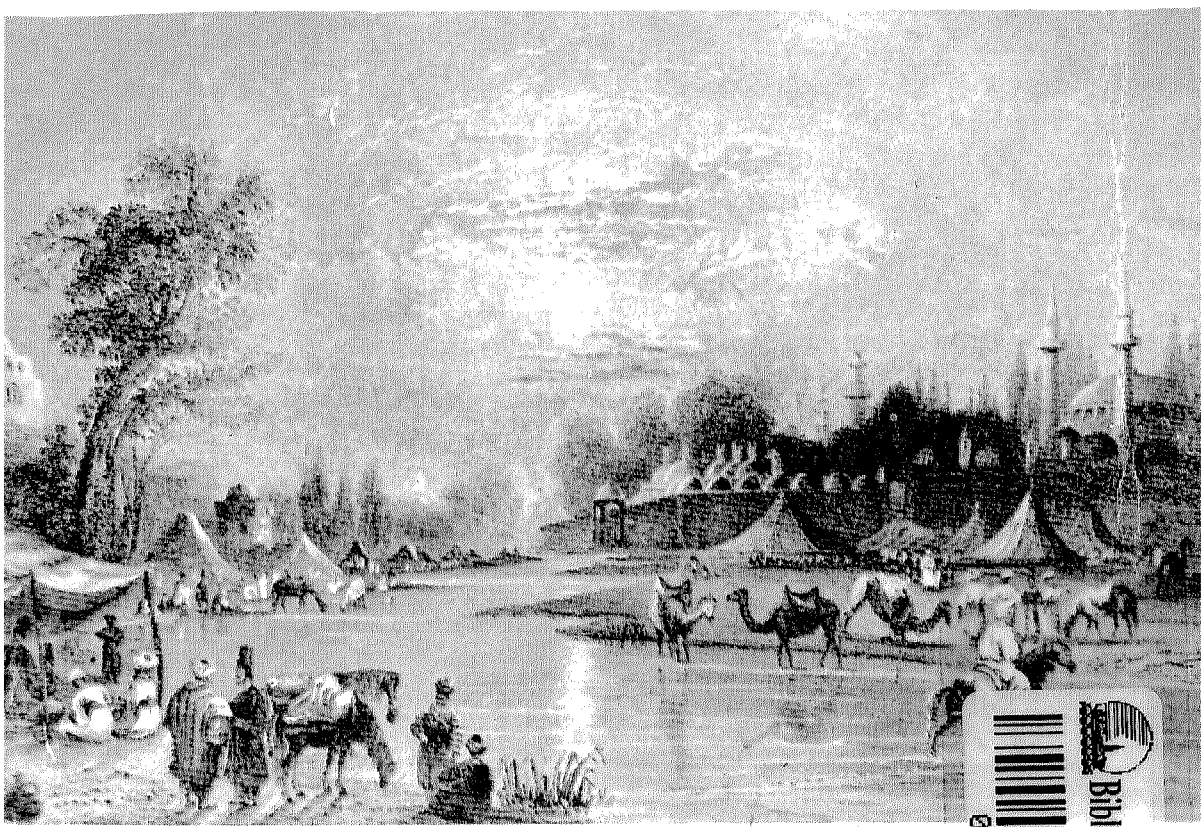

Bibliotheca Alexandrina
0112160

الجزء الأول

احمد الإيبش د. قتيبة الشهابي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإشراف الفني : زهير أحمد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دمشـــق الشـــام
في نصوص الرحّالين والجغرافيين والبلدانيين العرب والمسلمين
الجـزء الأول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Damascus

in the Works of Arab and Muslim Travellers & Geographers

3rd - 13th. C. A.H.

- Volume I -

Compiled by

Ahmed N. Ibesch
Dr. Koutaiba Shihabi

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دمشق الشام

في نصوص الرّحالين والجغرافيين والبلدانيين العرب والمسلمين

من القرن الثّالث إلى القرن الثّالث عشر للهجرة

الجزء الأوّل

أحمد الإيبش د. قتيبة الشّهابي

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دمشق الشام في نصوص الرحالين والجغرافيين والبلدانيين العرب والمسلمين/ أحمد الايبش، قتيبة الشهابي . - دمشق : وزارة الثقافة، ١٩٩٨ . - ٢ج؛ ٢٤سم.

١- ٩١٥ر٦١١١ ا ي ب د ٢- العنوان ٣- الايبش
٤- الشهابي

مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع - ٧٣٥ / ٥ / ١٩٩٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عَمِيقَ ٱلشُّكْرِ وَٱلإِمْتِنَانِ وَٱلتَّقْدِيرِ

لِلسَّيِّدَةِ الدُّكْتُورَةِ نَجَاحِ العَطَّارِ

وَزِيرَةِ ٱلثَّقَافَةِ

عُرْفَانًا بِفَضْلِهَا فِي تَشْجِيعِ هَذَا ٱلعَمَلِ وَتَفَانِيهَا
فِي رِعَايَةِ ٱلفِكْرِ وَالفَنِّ وَٱلتُّرَاثِ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والشكر الجزيل للأستاذ زهير الحمو

ولجميع العاملين في مطبعة وزارة الثقافة

على جهودهم الكريمة في إنجاز هذا الكتاب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مدخل

ما كاد القرن الأول للهجرة ينقضي حتى كانت الدولة العربية الإسلامية الفتيّة تبسط سلطانها على أرجاء عظيمة من العالم القديم في قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا ، فقد امتدت حدود هذه الدولة الجبّارة يومها من حدود الهند والصين شرقاً إلى مياه الأطلسي غرباً ، ومن آسيا الوسطى وجبال القوقاز شمالاً إلى الصحراء الأفريقية الكبرى جنوباً . ووجد الفاتحون أمامهم آفاقاً وعوالم جديدة ، تزاحمت فيها الغرائب والعجائب واختلفت فيها الألسن وتلوّنت المشاهد الطبيعية وتغايرت الأقوام والشعوب . وبعد أن كان مرآهم حبيساً في بيئتهم الصحراوية القاسية في جزيرتهم العربية ، انفتحت على أعينهم الدنيا بأرجائها ومفاتنها ، بما فيها من بلدان وأقطار وجبال وسهول وبحار ومحيطات وأنهار ، وبكل ما هو جديد وشيّق وغريب .

أثارت هذه العوالم في نفوس الفاتحين مكامن الاطّلاع وحبّ المعرفة ، وسرعان ما انطلقت جموع الرحالين والمستكشفين والعلماء والتجّار في أعقاب جحافل الغزاة الفاتحين ، فانبسطت أمام أبصارهم وأسماعهم هذه البقاع والأقطار الجديدة ، فجالوا فيها وجاسوا بين ذراها وسهولها وقيعانها وأدوائها وفيافيها ، يدفعهم شغف العلم وشهوة الاكتشاف والمغامرة أو طلب العلم أو الربح والتجارة .

وما لبث بعض هؤلاء الرحالين والمكتشفين أن شرعوا بكتابة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أحداث رحلاتهم ووقائعها مع أوصاف البلاد والأقوام الذين صادفوهم ، وهكذا نشأ في القرن الثالث الهجري في آداب اللغة العربية صنف أدبي جديد عرف باسم «الأدب الجغرافي العربي» . وخلال بضعة قرون من السنين تراكمت نصوص هذا الأدب ، حتى ألّفت إلى نهاية العصور الإسلامية الوسيطة مكتبة أدبية جغرافية عظيمة ، تعتبر في أيامنا واحدة من أندر وأثمن كنوز تراثنا العربي الإسلامي .

تراوحت هذه المؤلفات ما بين أخبار الرحلات والرواية الشخصية للأحداث والوقائع ، وبين النصوص المختصة حصراً بالوصف الطبيعي والجغرافي للبلدان والأقطار ، ومنها ما اشتمل على أكثر من ذلك ، فأحاط بالأوصاف الجغرافية والطبوغرافية والطبيعية والبشرية مع ذكر لجميع ظواهر الطبيعة من جيولوجيا ونبات وحيوان ، ويعرف هذا النمط الأخير باسم «المؤلفات الكوزموغرافية العامة» . بينما اختصّت بعض النصوص الأخرى برحلات مخصوصة من المغرب الإسلامي ، أي شمال أفريقية والأندلس ، إلى المشرق لأداء فريضة الحج وطلب العلم ، كان أشهرها كما نعلم رحلة ابن بطّوطة الطنجي ، أعظم الرحالين العرب بلا منازع .

ومما زاد في سهولة هذه الرحلات أن جواز السفر الوحيد المطلوب آنذاك كان أحد أمرين : اللسان العربي أو النطق بالشهادتين . وكان العالم الإسلامي يومها مفتوحاً أمام من شاء على امتداد مسيرة سفر عشرة أشهر من أقصاه إلى أقصاه ، أي في لغة عصرنا الحاضر ما يزيد على ثمانية آلاف كيلومتر ، من مياه الأطلسي إلى سور الصين العظيم .

* * * * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نتناول في هذه الدراسة الحاضرة كل ما أورده الرحالون والجغرافيون والبلدانيون العرب والمسلمون من أوصاف لمدينة دمشق العتيدة العريقة الخالدة ، أول عاصمة لهذه الدولة العظيمة ، دمشق التي ما برحت تتوضأ بالعروبة خمس مرّات كل يوم ، والتي صنعت للعرب مجدهم وخطّت بأحرف من نور باكورة تاريخهم .

واقتصرنا في الجمع على المؤلفات التي كتبت من القرن الثالث الهجري حتى نهاية القرن الثالث عشر . وقدّمنا للنصوص التي جمعناها بلمحة سريعة عن الأدب الجغرافي العربي وأدب الرحلات لدى العرب ، مع عرض سريع لجهود أشهر الباحثين في هذا المضمار ، ثم بيّنا خطتنا المتبعة في جمع هذه النصوص ودراستها وتحقيقها .

ويسرّنا اليوم أن نقدّم هذا البحث بعد شهور طويلة أمضيناها في جمعه ، ليكون إضافة جديدة ومفيدة للدراسات المتعلقة بتاريخ سورية الحبيبة وتراثها الحضاري . ونرجو أن تسنح لنا الفرصة في المستقبل القريب لاستكماله بجزء ثالث يتناول نصوص الرحالين الذين زاروا دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ، فإن تم لنا ذلك فإنما نكون قد أدركنا كل ما نرمي إليه وأصبنا من سؤلنا غاية مبتغاه .

دمشق ، نيسان ١٩٩٨

المؤلفان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأدب الجغرافي العربي
وأدب الرحلات عند العرب

عرف العرب السفر قبل الإسلام ومارسوا الترحال في شبه الجزيرة العربية والبلدان المتاخمة ، وقاموا برحلتي الشتاء والصيف الوارد ذكرهما في القرآن الكريم ، ومخرت سفنهم عباب المحيط الهندي حيث اتجهوا شرقاً نحو الهند وغرباً صوب أفريقية . فلما ظهر الإسلام وسّع بدوره آفاق الرحلة العربية وعدّد دوافعها ، وبقيام الدولة العربية الإسلامية الكبرى بلغت هذه الرحلة ذروتها وارتفع شأنها ، وبخاصة إبّان فترة الفتوحات وما تلاها من عصر الاستقرار والازدهار والمعرفة والحضارة .

فلمّا استهل القرن الثاني الهجري كان العرب قد امتدت فتوحاتهم وأصبح لهم ملك واسع الأرجاء ، وكانوا في بداءة هذا القرن فتحوا بلاد ماوراء النهر وبلاد الأندلس ، فانبسطت إمبراطوريتهم من حدود الهند والصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، ومن آسيا الوسطى وجبال القوقاز شمالاً إلى الصحراء الأفريقية الكبرى جنوباً .

وكان لاختلاط العرب بالشعوب الأخرى أثر كبير في نشأة المدنية الإسلامية وتطوّرها ، فملك العرب ناصية العلم والمعرفة ، وحفظوا لأوروبا تراث اليونان ، وتقدمت على أيديهم العلوم المختلفة .

وأتيح للمسلمين في العصور الوسطى أن يحوزوا قصب السبق في ميدان الرحلات والاكتشافات والدراسات الجغرافية . وأفادت أوروبا مما كان عند المسلمين من علم بأجزاء العالم المعروفة في القرون الوسطى .

والحق أن ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ، وسيادة المسلمين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في البر والبحر ، وطبيعة الدين الإسلامي ، كل ذلك كان من شأنه أن يشجع على الأسفار والرحلات .

* * * * *

في فجر الإسلام كان الجزء الأكبر من العالم القديم تزدهر فيه مدنية الإسلام وتدير دفته حكومة دولة عربية إسلامية . ثم فقدت هذه الدولة الإمبراطورية وحدتها السياسية منذ منتصف القرن الثالث الهجري ، ولكن روابط الدين واللغة والثقافة ظلّت تجمع بين سكان الدول الإسلامية ، فكانوا يشعرون بأنهم أبناء إمبراطورية عربية إسلامية عظيمة مترامية الأطراف .

ولقد كانت تلكْ الروابط قوية في العصور الوسطى ، ولم تكن القوميات الإقليمية قد عظم شأنها بعد . وكانت أنحاء هذا المُلك الواسع الذي أسسه المسلمون تتطلّب الدراسة والوصف ، تمهيداً لتطبيق أحكام الشريعة وتسهيلاً لمهمة الولاة . فسافر القوم لدراسة البلاد وطرقها وحاصلاتها وخَرَاجها وما إلى ذلك ، مما لا بدّ منه للتأليف في علم «تقويم البلدان» بغية «تمصير» هذه البلدان وتعريب دواوينها وتوحيدها ، وإحلال أسس ثابتة لأصول الإدارة المدنية وجباية الضرائب وإحصاء الغلال والثروات والمكوس وكل ما يتعلق بالشؤون الإدارية والاقتصادية للولايات، وبالتالي ربطها بسلطات الإدارة المركزية في عاصمة الخلافة .

ثم لمّا ظهرت الحركات الشعوبية فيما بعد كانت الرحلات الحثيثة بين أقطار هذه الإمبراطورية العظمى شكلاً من أشكال الردود المعاكسة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للشعوبية ، وكانت الصلات الناجمة عن السفر والترحال المتبادل بمثابة التوثيق لعرى الترابط والتعاون بين أجزاء وشعوب هذه الإمبراطورية الكبرى، والتي كان العرب منها بمثابة القلب والموئل .

* * * * *

ومن الطبيعي أن تكون الرحلات والأسفار من أول السبل لطلب العلم في تلك العصور ، فقد كانت الكتب نادرة ، وكانت الدراسة العلمية تقوم مقام ما نلجأ إليه اليوم من تتبّع المراجع والمؤلفات التي تزخر بها دور الكتب الخاصة والعامة . وفضلاً عن ذلك فقد تعدّدت مراكز الثقافة في ديار العروبة والإسلام ، وكان رجال العلم ينتقلون في طلبه من إقليم إلى آخر ، يدرسون على مشاهير العلماء ويلتقون بأعلام الفقهاء والمحدّثين واللغويين ثم الأطباء والفلاسفة والكيميائيين والطبيعيين والجغرافيين والرياضيين . وهذا الضرب من الرحلات شاع تحت مفهوم «الرحلة في طلب العلم» ، وحضّت عليه التعاليم الإسلامية بتركيز كبير تحت شعار أرساه الحديث الشريف : «اطلبوا العلم ولو في الصين» . ويلخّص لنا مؤرخنا وعالمنا الاجتماعي الكبير ابن خلدون أهمية الرحلات بقوله : والرحلة لا بدّ منها في طلب العلم ، ولاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال .

* * * * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكـذلك كـان الحجّ من أعظم بواعث الرحـلات ، فـإن ألوف المسلمين كانوا وما زالوا يتجهون كل عام من شتّى أنحاء العالم الإسلامي إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج وزيارة قبر النبي العربي الكريم . فالحج كان ولا يزال رحلة يتشوّق إلى أدائها كافة الناس ، وليس علماؤهم أو فقهاؤهم فحسب ، وكان الحجّاج عند عودتهم إلى بلادهم يخبرون عن الطرق التي سلكوها والأحداث التي صادفوها ، وقد كان النابهون منهم يدوّنون مشاهداتهم ، ويعملون على أن ينفعوا الوافدين بتجاربهم ، تسجيلاً لفضلهم وهدايةً لغيرهم ، ولفتاً لنظر أولي الأمر إلى ما يجب إصلاحه . كما كان أهل الخير والتقوى في شتى البلاد الإسلامية يرحّبون بإخوانهم الميمّمين شطر الأراضي المقدّسة ويعنون بإقامة الرباطات وحبس الأوقاف للإنفاق منها في سبيل راحتهم .

* * * * *

واتسع نطاق التجارة عند العرب والمسلمين اتساعاً لم يبلغه عند شعب آخر قبل كشف أميركا ، فانتشرت قوافل التجّار منهم في القسم الأعظم من العالم المعروف في ذلك العهد ، وخاضت سفنهم عباب البحار والمحيطات ، وازدهرت على أيديهم الطرق التجارية بين بحار الصين وآسيا الوسطى وسواحل بحر البلطيق والأندلس وشواطئ المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط وساحل أفريقية الشرقي وجزر المحيط الهندي وصحارى السودان . ومن أشهر الرحلات البحرية التجارية التي تمت في المحيط الهندي وبحر الصين بالثلثين الأولين من القرن الثالث الهجري

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رحلات سليمان التاجر العراقي وأبي زيد السِّيرافي التي دوّنت أخبارها في كتاب «أخبار الصين والهند» ، ورحلات الربّان بُزُرك بن شهريار الرّام هُرْمُزي التي دوّن أخبارها في كتابه النفيس «عجائب الهند» .

وكان التجار يحملون السلع بين الأسواق المختلفة في العالم الممدّن حينئذ ، ويقومون بالرحلات الطويلة في هذا السبيل . وحسبُنا أن نشير إلى الكنوز الوافرة من النقود العربية والإسلامية التي عُثر عليها في روسيا وفنلندة والسويد والنرويج ، بل في سويسرا وجزيرة إيسلندة والجزائر البريطانية . وترجع قطع العملة المذكورة إلى الفترة الواقعة بين نهاية القرن الأول للهجرة وبداية القرن الخامس . ولسنا نجزم بأن كثيراً من التجار العرب والمسلمين أنفسهم قد وصلوا بالفعل إلى إيسلندة أو النرويج أو الجزر البريطانية ، ولكن كتب الرحلات وتقويم البلدان عندهم تشير إلى تردّدهم على جنوب روسيا ، وإلى وصولهم أوروبا الوسطى . ويشهد ذلك كله بما كان للمسلمين من سيادة تجارية في تلك البقاع .

وقد كتب المقدّسي بياناً بالسلع التي كان المسلمون يحصلون عليها من جنوبي روسيا والبلاد الأوروبية الشمالية ، وقوامها أنواع الفراء والجلود والشمع والنشّاب والقلانس والغراء والعسل والسيوف والدروع والأغنام والبقر ، كل ذلك فضلاً عن الرقيق من الصقالبة . أما أهم ما كان يحمله التجار المسلمون إلى تلك الأقاليم فالمنسوجات بأنواعها وبعض التحف المعدنية ثم الفاكهة . ومن يقرأ نصوص الرحلات يلمس عظم تجارة المسلمين في شرقي أفريقية ووسطها وإقليم غانة وفي بحار الصين وجزر الهند الشرقية . وحسبُنا ما ذكره ابن جبير وابن بطوطة من أن التجار في عدن كانت لهم ثروات طائلة ، وكان بعضهم يملك المراكب العظيمة لنقل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سلعهم . وكان الرحالون والتجار العرب والمسلمون يزورون القسطنطينية والمدن التجارية في شبه جزيرة إيطاليا ، وكانت للمنسوجات الشرقية والسجاد سوق رائجة في أوروبا .

ومن الطريف أن بعض هؤلاء الرحالين كانوا يجمعون بين التجارة وطلب العلم ، ومنهم المقدّسي الذي عقد العزم على السفر بتجارة إلى ساحل أفريقية الشرقي طمعاً بالأرباح الفاحشة والثروات الكبرى ، ومنهم ياقوت الحموي الذي كان ممن ارتحلوا للتجارة وطلب العلم .

ويقدم لنا الإدريسي صورة حيّة عن مدينة سيراف وعن نشاطها التجاري البحري ، فيقول : هي على ساحل البحر الفارسي ، وهي مدينة كبيرة ، وبها تجار مياسير . وأهلها مولعون بكسب المال واستجلابه على أي وجه أمكن ، وهم أكثر عباد الله تغرّباً وتجوّلاً في الآفاق ، حتى أن الرجل منهم يتجوّل العام والعشرين ، ولا يرجع إلى أهله ولا يكترث بمن خلفه .

* * * * *

وكان بعض خلفاء العرب وأمرائهم يوفدون الرسل والسفراء إلى غيرهم من أمراء الأمم الأخرى من باب جمع المعلومات والبيانات أو تمهيداً لإقامة علاقات «ديبلوماسية» أو أحلاف سياسية ، فدعا ذلك أحياناً إلى القيام برحلات تكليفية طريفة إلى أصقاع لا يألفها المسلمون . من ذلك مثلاً المهمة الرسمية التي أوكلها الخليفة العبّاسي الواثق بالله في عام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٢٧ هـ إلى سلاّم الترجمان لزيارة حصون جبال القوقاز ، ومنها السفارة الأندلسية التي قام بها التاجر ابراهيم بن يعقوب الموسوي نحو عام ٢٦٣ هـ إلى أوتو الأكبر إمبراطور الجرمان ، ومن المحتمل أن يكون بعض أعضاء تلك السفارة مصدر ما كتبه القزويني عن بعض البلاد الألمانية . ومن ذلك أيضاً رحلة ابن فضلان عام ٣٠٩ هـ بتكليف من الخليفة المقتدر إلى جنوبي روسيا وبلاد الخزر والصقالبة وإلى بعض أقطار أوروبا الشمالية .

* * * * *

وطبيعي أن كثيرين من المسلمين كانوا يرحلون سعياً في طلب الرزق ، ويكفينا أن نشير إلى الخيّاط البغدادي الذي قابله الرحالة ابن فضلان في إقليم القولغا . ثم كان أعلام الفنانين ومهرة الصنّاع ينتقلون من إقليم إلى آخر لينتفع الأمراء بجهودهم ، أو كانوا يؤمرون بالسفر إلى بعض الأطراف النائية للاشتراك في إشادة المنشآت الجديدة أو المساهمة في تجديد بناء أو زخرفة عمارة أو إنتاج التحف الفنيّة النفيسة .

ولسنا ننسى في هذا المقام أن إكرام الضيف عند الشرقيين ، وبساطة العيش في القرون الوسطى ، وحث الإسلام على السفر بتخفيف بعض الواجبات الدينية على المسافرين ، من إسقاط لفرض الصيام ومن قصر وجمع لفرض الصلاة ، كل ذلك سهّل الرحلات وشجّع على القيام بها .

* * * * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن المؤكد أن إباحة تعدّد الزوجات في الإسلام كانت تخفف بعض عوائق الأسفار ، ولا تترك الرحالين المسلمين محل شك أو انتباذ أو مصدر متاعب اجتماعية ، فكان كثير منهم يتزوّج في البلاد التي ينزل فيها فترة من الزمن . ومن الطريف في هذا الصدد أن الرحالة الشهير ابن بطوطة الذي ترك زوجته المغربية بدمشق ، كان قد تزوج في مصر مرتين أو أكثر ، وكانت له في جزائر الملديف أربع زوجات ، وكذلك أعجبه في مدينة زبيد باليمن أن نساءها كن لا يتمنّعن عن الزواج بالغريب ، وإذا شاء الزوج السفر وتركها فهي لا تطالبه بشيء ، بل لو كان لها منه ولد لكفلته وقامت على تربيته خير قيام حتى يرجع أبوه .

* * * * *

وهكذا نرى أن العرب والمسلمين في العصور الوسطى أتيح لهم القيام بكثير من الرحلات والأسفار ، والحق أن ما كتبه المؤلفون المسلمون فيما بين القرنين الثالث والتاسع للهجرة عن الرحلات كثير جداً ، ولكن المعروف أن الرحالين لم يكتبوا أخبار رحلاتهم في مؤلفات قائمة بذاتها إلا نادراً ، كما فعل ابن فضلان وابن جبير وابن بطوطة . أما معظمهم فقد أدمجوا حديث تلك الرحلات فيما ألّفوه من كتب التاريخ أو تقويم البلدان . كما أشار بعض المؤلفين إلى رحلات قام بها غيرهم ، ولم يصل إلينا شيء عنها من تأليف أصحابها أنفسهم .

وفضلاً عن هذا كله فثمّة رحلات قام بها الملاّحون والتجار ، ضاعت أخبارها أو لم يدوّنها أصحابها ، وإن كانوا من المصادر التي نقل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عنها المؤرخون والجغرافيون الكثير من وصف البلاد النائية ، والتي يرجع إليها ما نراه من قصص البحر في الأدب العربي مثل قصة السندباد البحري .

ولدى استعراض أخبار الرحالين المسلمين ، يظهر لنا أن المجهولين منهم أكثر ممن حفظ التاريخ أسماءهم ، فمعظمهم لم يُعن بتدوين أخبار أسفاره ، واستطاع نفر قليل منهم أن ينتفع بها بالكتابة في التاريخ وعلم تقويم البلدان ، ووفّق أفراد معدودون لتدوين أحاديث الرحلات التي قاموا بها ولسرد مشاهداتهم العجيبة في البلاد التي تجوّلوا فيها .

* * * * *

وأما شأن هذه الرحلات في تطوّر العلم والمعرفة فما من شك في أن المسلمين ساهموا في التعريف بالشرق الأقصى وأفريقية فضلاً عن آفاق دولتهم نفسها .

فالرومان كانوا يتخيّلون وجود الصين ، ولكن الرحالين المسلمين عرفوها وكتبوا عنها منذ بداءة العصور الوسطى أخباراً أيّدتها رحلة ماركو پولو البندقي في القرن الثالث عشر الميلادي . وكان الرومان لا يعرفون من قارة أفريقية إلا سواحلها الشمالية ، أما المسلمون فقد عبروا الصحراء وعرفوا مجاهل هذه القارّة التي ظل الأوروبيون حتى القرن الثامن الميلادي يقفون عند سواحلها فلا تطول أعناقهم إلى ما ورائها .

أما الجزيرة العربية والعراق وإيران فطبيعي أن يكون المسلمون المرجع الأساسي في وصفها الجغرافي والعمراني والاجتماعي ، إلى غير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك مما لم يصل إليه الغربيون قبل العصور الحديثة .

* * * * *

وحسبُنا لتبيان فضل الرحالين المسلمين أن ينتهي بنا المطاف إلى أن دراستهم على نحو وافٍ دقيق أمر لا بد منه لكل باحث في تاريخ التجارة أو النظم السياسية أو التاريخ الاجتماعي للشعوب الإسلامية والأمم الأخرى التي اتصلت بها ، فإن ما كتبه الرحالون المسلمون من وصّافين وجغرافيين كنز لا ينضب معينه ، يضم الوثائق العظيمة الشأن في تاريخ الإنسانية . وفي استطاعة الباحث أن يستخرج منها شتى الحقائق ومختلف ضروب المعرفة ، مطمئناً إلى نتائج بحثه إن هو أقبل على دراستها بعين الناقد الخبير ، مقابلاً ما جاء فيها على نصوص المعاصرين لمؤلفيها من رحالي الأمم الأخرى .

* * * * *

وتمتاز قصص الرحلات العربية والإسلامية عامة بظهور شخصيات الرحالة فيها ، فإن أكثرهم لا يقفون عند وصف مراحل أسفارهم وصفاً عاماً ، بل يعنون بتقييد الظواهر الاجتماعية غير المألوفة في أقاليمهم . ثم إنهم يحرصون على لقاء أعلام البلاد التي يجتازونها من علماء وأدباء ورؤساء وأعيان ، إلى جنب تعرّفهم إلى طبقات الشعب المختلفة .

* * * * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان المستشرق الروسي ڤلاديمير مينورسكي V. Minorsky قد كتب أن جغرافيي العرب قد ملأوا الفراغ وسدّوا الثغرة الزمنية بين عهد بطليموس العالم اليوناني وعهد ماركو پولو العالم البندقي ، وأن أخبار رحّالي العرب وقصصهم أكثر تنوّعاً وأشد حيوية مما نجده مسطوراً في كتب علماء اليونان وجداولهم ، وأن علومهم التي ضمّنوها كتبهم تمتاز بأنها أعظم اختياراً ونقداً وأكثر تفاصيل مما ورد في كتابات الرحّالة البندقي الكبير ماركو پولو .

* * * * *

وكان ما كتبه الرحالون المسلمون عن البحار مصدراً للقصص البحرية العربية ، وهي على قلّة عددها من أبدع القصص البحرية في آداب العالم على الإطلاق . وحسبُنا أن نشير هنا إلى قصّة السندباد البحري وقصة عبد الله البرّي . والثابت أن كثيراً من وقائع القصص البحرية منقول من كتب الرحلات وكتب العجائب . بل نرى أن كتب الرحلات كانت مصدراً للعديد من الجغرافيين ، فمن ذلك أن ابن الفقيه الهَمْداني نقل في كتابه «مختصر كتاب البلدان» أجزاء كبيرة من رحلة أبي زيد السِّيرافي .

وفضلاً عن ذلك كله فإن بعض الرحالين والملاّحين المسلمين كان لهم شأن عظيم في مساعدة أعلام الرحالين الغربيين في مجاهل أفريقية والمحيط الهندي في نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة . ولا أدل على ذلك من أن الرحالة البرتغالي ڤاسكو دا غاما لم يكن ليتمكن حقاً من اكتشاف طريق الهند بالالتفاف حول رأس الرجاء الصالح ، لولا استناده

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على المعلومات المستقاة من وقائع رحلات الملاّح العربي الشهير أحمد ابن ماجد .

* * * * *

وأما أشهر الرحالين الباكرين في أدبنا الجغرافي العربي والإسلامي فهم :

سلاّم الترجمان ، سليمان التاجر العراقي ، ابن وهب القرشي ، أبو زيد السِّيرافي ، بُزُرك بن شهريار الناخُذاه الرّام هُرْمُزي ، الملاّح عبهرة الكرماني ، أحمد بن فضلان ، أبو دلَف مسعر بن المهلهل .

وأشهر الجغرافيين العرب والمسلمين في القرنين الثالث والرابع للهجرة :

ابن خُرَّدَاذْبِه ، اليعقوبي ، ابن الفقيه الهمذاني ، ابن رُسْتِه ، الحسن بن أحمد الهَمْداني ، المسعودي ، البَلْخي ، الإصطخري ، ابن حَوْقل ، المقدّسي ، الجيهاني ، ابن طاهر المقدسي ، ابن المنجّم ، المهلّبي ، الخوارزمي .

وأشهر الرحّالين والجغرافيين العرب والمسلمين في العصور الإسلامية الوسيطة :

الفتية المغرّرون ، محمد بن قو سلطان مالي ، البِيْروني ، ناصر خُسْرو المَرْوَزي ، ابن بطلان ، أبو عُبَيد البكري ، الشريف الإدريسي ، أبو حامد الغرناطي ، ابن جُبَير ، السّمعاني ، الهَروي السائح ، الطُوسي ، ياقوت الحموي ، عبد اللطيف البغدادي ، ابن سعيد ، القزويني ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العَبْدَري، ابن شدّاد ، ابن رُشَيْد الفِهري ، شيخ الربوة الدمشقي، أبو الفداء، ابن فضل الله العمري ، ابن بطّوطة ، ابن خلدون ، خليل ابن شاهين الظاهري ، الحِمْيَري ، ليون الأفريقي .

وغيرهم كثير جداً .

أعمال أشهر الباحثين في هذا المجال

كان المستشرقون الأوروبيون أول من اهتم بدراسة ونشر نصوص الأدب الجغرافي العربي ، فمنذ القرن الحادي عشر للميلاد بدأت في إسبانيا ترجمة المصنّفات العربية في الفلك والرياضيات إلى اللغة اللاتينية ، وسرعان ما أصبحت أسماء الخوريثمي Algorithmi (أي الخوارزمي) والفراغانوس Alfraganus (أي الفرغاني) والباتغنيوس Albategnius (أي البتّاني) معروفة لدى الجميع ، بل واشتهرت بهذه الصيغ أكثر مما بأسمائها الشرقية الأصلية . وساعدت هذه الترجمات على تطور العلم في أوروبا الوسيطة ، وهي المسؤولة عن تثبيت الشكل اللاتيني للمصطلحات العلمية العربية التي وجدت طريقها إلى عدد من العلوم ولا زالت مستعملة إلى الآن .

وأول نص عربي على الإطلاق في الجغرافيا الوصفية تم طبعه في أوروبا كان كتاب الجغرافي العربي المغربي الكبير الشريف الإدريسي «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» ، وكان ذلك بمطبعة الميديتشي بفلورنسا في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عام ١٥٩٢ م . ومنذ ذلك الحين بدأ يظهر الكثير من النصوص العربية المحققة بشكل علمي دقيق وطبعات قيّمة نفيسة . وفي القرن التاسع عشر بلغت هذه النشرات ذروتها ، وفي غضون بضعة عقود من السنين نشرت من هذه النصوص عشرات وعشرات . وكانت المحافل العلمية في أوروبا تتلهّف لصدور نص جديد لكي تتناوله بالدرس والنقد والبحث العلمي ، ومراراً ما كان الكتاب الواحد يعاد نشره مرّات ومرّات على أيدي عدد غير يسير من الباحثين .

ومن أشهر المستشرقين الفرنسيين الذين عملوا في هذا المجال : دى ساسي ، دى سلان ، رينو ، دى ڤو ، راڤيس ، دى مينار ، دى كورتيّ ، فيرّان ، شيفر ، بلاشير . ومن المستشرقين الألمان : ڤستنفلد ، زاپيل ، ياكوب ، مولر ، كريمر ، شڤارتس ، شپرنگر ، فلايشر ، ميلر ، بروكلمان . ومن النمساويين : فون مجيك . ومن الدنماركيين : ميرن . ومن الهولنديين : دى خويّه ، كرامرز . ومن الطليان : أماري ، نالّينو ، ريتسيتانو ، كوداتسي . ومن الإسپان : خينيس ، دوبلر ، بالنثيا . ومن الروس : فرين ، روزن ، بارتولد ، مدنيكوف ، مينورسكي ، كراتشكوڤسكي . ومن الإنكليز : أوسلي ، گِب ، مرگوليوث .

في عام ١٨٧٠ بدأ العلاّمة الهولندي ميخيل دى خُوْيّه تنفيذ فكرته بنشر سلسلة «مكتبة الجغرافيين العرب» التي اكتمل عقدها بظهور الجزء الثامن في لايدن عام ١٨٩٤ ، وعنوان هذه السلسلة باللاتينية :

Bibliotheca Geographorum Arabicorum

ومن ضمن هذه السلسلة صدرت مجموعة من عيون الأدب الجغرافي العربي ، فتخلّد معها اسم هذا الباحث العظيم دى خُوْيّه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأعظم دراسة تحليلية للأدب الجغرافي العربي ولمصادره ولنقد الأبحاث الصادرة عنه كانت للمستشرق الروسي الكبير إغناتي يوليانوڤيتش كراتشكوڤسكي ، الذي أتمّها في لينينغراد عام ١٩٤٣ أثناء الحرب العالمية الثانية ، وطبعت بموسكو عام ١٩٥٧ . وقام بنقل هذه الدراسة إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم ، وصدرت عن لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٦٥ بعنوان : تاريخ الأدب الجغرافي العربي . وهي اليوم تعدّ بحق أول مرجع يعتمد عليه الباحث العربي في هذا المجال ، ولا يدانيها في اتساع مادتها وجودة بحثها أي مرجع آخر .

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى نشطت بالعالم العربي حركة نشر مصادر عيون التراث العربي ، وتعاظم ذلك مع تنامي الحركة القومية العربية في الخمسينات والستينات خاصة . ومن أشهر الهيئات العلمية التي أسهمت في هذا المجال بمصر : دار الكتب المصرية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، دار المعارف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، معهد المخطوطات العربية . وفي سورية : المجمع العلمي العربي ، وزارة الثقافة ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية . وفي لبنان : الجامعة اللبنانية ، المعهد الألماني للدراسات الشرقية ، المطبعة الكاثوليكية . وفي العراق : المجمع العلمي العراقي ، مكتبة المثنى . وكذلك صدرت في المغرب العربي ودول الخليج العربي منشورات أخرى مماثلة .

وأشهر الباحثين العرب الذين قاموا بتأليف دراسات تحليلية نقدية حول مصادر الأدب الجغرافيي العربي : زكي محمد حسن ، صلاح الدين المنجد ، عبد الرحمن حميدة ، وغيرهم كثير جداً .

أما في أيامنا الحاضرة فأهم مشروع لإعادة نشر هذه المصادر هو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذي يقوم به معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية التابع لجامعة فرانكفورت ، تحت عنوان : سلسلة الجغرافيا الإسلامية ، والتي يشرف عليها الباحث التركي فؤاد سزگين . وقد صدر من هذه السلسلة حتى الآن ما يتجاوز المائة مجلد .

أهمية هذا البحث
ومنهجنا في إعداده

لا شك أن نصوص الرحالين والجغرافيين والبلدانيين العرب والمسلمين تؤلف مصدراً هاماً وأساسياً لا غُنية عنه لكل من يتصدّى للبحث في التاريخ المدني والعمراني والاجتماعي لأي قطر أو مدينة من العالم العربي والإسلامي . وإذا كان لكل مدينة وقطر مؤرخوهما المحلّيون ، فإن نظرة الرحالين من أقطار وبلاد أخرى تمتاز على أولئك بشمولیتها واستجلائها خصائص المكان ، وتفحّصها لكل ما هو جديد وغريب مما يغفله في العادة أبناء القطر ذاته ، على اعتباره مألوفاً لديهم لا يسترعي الانتباه .

أضف إلى ذلك سلاسة السرد وتشويق أحداث الرحلة أو وصف العيان ، مما يضفي على النص رونقاً وجاذبية لا نجدهما في تواريخ البلدان وكتب الفضائل ومصنّفات الجغرافيا الإقليمية الرصينة . ناهيك عن الفوائد الجلّى التي تجتنى من هذه النصوص للمهتمين بالطبوغرافيا التاريخية لمدينة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دمشق ، وتبيان بعض أسماء الأماكن القديمة وأوصافها ، مما أحاله الزمان وغيّر من معالمه ورسومه على تكرار العصور .

وهذا الصنف من مصادر الرحالين والجغرافيين طالما كنا رجعنا إلى نصوصه كمصادر أساسية وأوّلية في أبحاثنا عن تراث سورية وتاريخها الحضاري ، ولمسنا عن كثب مدى أهمية هذه النصوص وفائدتها ، ومقدار الحاجة إلى جمعها وتحقيقها بأسلوب علمي حديث ، مع استقصاء النادر والمفقود منها مما قد لا يكون متاحاً بين أيدي الباحثين . فها نحن اليوم نفرد للبحث بهذا الموضوع كتابنا هذا ، ونحاول غاية الجهد لإيفاء الموضوع حقه ، ولإغناء مكتبة التراث الأدبي الجغرافي العربي بسفر جديد نافع .

* * * * *

وكإطار لهذا البحث ، جَهِدنا أن نجمع كل ما يندرج من نصوص قديمة ، مطبوعة كانت أم مخطوطة ، مما كتبه الرحّالون والجغرافيون ومؤرخو البلدان من العرب والمسلمين . واستثنينا من ذلك أعمال البلدانيين الدمشقيين الذين تركوا لنا كتباً ونصوصاً موسّعة مفصّلة عن الخَطَط والتأريخ العمراني للمدينة ، مما يتجاوز حجمه الإمكانية المتاحة ضمن هذا البحث ، ويأخذ بحد ذاته اتجاهاً اختصاصياً مستقلاً فيخرج بالتالي عن نطاق بحثنا .

ويلاحظ القارئ أن استثناءً واحداً قد صدر لدينا بهذا الخصوص ، وهو نقلنا لبعض النصوص المطوّلة من كتاب «نزهة الأنام في محاسن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشـام» للبـدري . والداعي في ذلك يعـود إلى ثلاثة أمـور : الأول أن هذا المؤرخ أمضى معظم حياته في مصر ، مما نفى عنه صفة المؤرخ الدمشقي بالمعنى الدقيق . والثاني أن للكتاب صفة النص في الجغرافيا الإقليمية ، لا في الخَطَط والتأريخ العمراني كالمؤرخين الدمشقيين المعنيين . والثالث : أن الطبعة القديمة للكتاب ، والحديثة المنقولة عنها، على قدر من الغثاثة والسقم يقتضي إعادة نشر النص بصورة علمية صحيحة .

وشرعنا في الجمع بدءاً من آثار مؤلفي القرن الثالث للهجرة ، على اعتبار أن أقدم هذه النصوص يرجع إليه ، فلم تصلنا في الواقع أية نصوص مشابهة كتبت في القرون السابقة . على أننا لم نصل في الجمع إلى يومنا الحاضر كما هو المفروض منطقياً ، بل توقفنا عند ختام القرن الثالث عشر الهجري (أي حتى عام ١٣٠٠ للهجرة ، الموافق لعام ١٨٨٣ للميلاد) ، وسبب ذلك أنه بعد هذا التاريخ بدأت تظهر مؤلفات ونصوص رحلات مطوّلة لا تتسع لها صفحات كتابنا هذا . ولنفس السبب الذي دعانا إلى اطّراح نصوص البلدانيين الدمشقيين قمنا أيضاً باطّراح هذه المؤلفات والنصوص .

غير أننا ، إتماماً للفائدة وحثّاً للآخرين على تكملة ما بدأناه ، قمنا بإعداد قائمتين اثنتين في آخر هذا الكتاب تتضمنان ما يلي :

١ – القائمة الأولى : بالمؤلفات البلدانية المختصة بخطط دمشق والشام لمؤلفين دمشقيين وشاميين حتى الثلث الأول من القرن العشرين .

٢ – القائمة الثانية : بمؤلفات الرحلات التي تضم نصوصاً عن دمشق والشام لمؤلفين عرب في القرن الرابع عشر الهجري .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكذلك لم نعمد إلى استقصاء ما ورد عن دمشق في مصادر التواريخ الحولية المرتبة على السنوات والحوادث ، أو في مجاميع الأدب العامة وموسوعاته ، أو في الدواوين والنصوص الشعرية العامة . واستثنينا من ذلك بعض الأشعار المختصة بذكر أسماء بعض الأماكن الهامة بدمشق ، كما فعلنا بنصيّ النابلسي وابن خُداويردي .

والمتتبّع لهذه المصادر المذكورة ، وما أكثرها ، يعثر على الكثير من الأخبار التاريخية والأدبية المتعلقة بدمشق ، غير أن ذلك كله يخرج عن اختصاص كتابنا هذا ، الذي يقتصر في الجملة على نصوص الوصف المتعلقة بالمدينة وعلى سرد وقائع الرحلات القاصدة إليها .

* * * * *

هذا وقد صدرت في عصرنا الحاضر مجموعة من الدراسات تحاكي في أسلوبها منهجنا هذا ، فممّن نحا إلى نفس هذه الأبحاث المجتزأة عن بعض الأقطار العربية : الباحث اليمني القاضي اسماعيل ابن علي بن الأكوع الذي استخرج البلدان اليمانية من معجم ياقوت الحموي ، والدكتور عبد الله يوسف الغنيم الذي انتزع جغرافية مصر من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري ، والدكتور كامل جميل العسلي الذي جمع نصوص الرحالين العرب في وصف بيت المقدس ، والباحثان الحلبيان الدكتور شوقي شعث والأستاذ فالح بكّور اللذان جمعا مؤخراً نصوصاً عن مدينة حلب في كتب البلدانيين العرب .

وهذه لعمري سنّة حسنة ، حبّذا لو اتّبعها أبناء باقي المحافظات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العربية السوريّة وأبناء الأقطار العربية الأخرى ، للخروج بمجاميع مماثلة عن كل ديار الوطن العربي الكبير على كامل امتداده .

وحتى فيما يتصل بالبحث في موضوعنا بالذات عن دمشق ، فقد سبق أن ظهرت بعض الدراسات المماثلة ، كان أولاها أطروحة جامعية لربيعة البيطار بعنوان : «دمشق كما ذكرها الرحّالة العرب» ، وكذلك كتاب أستاذنا العلاّمة الدكتور صلاح الدين المنجّد : «مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين» الصادر في بيروت عام ١٩٦٧ ، الذي أفدنا منه الكثير وأفلحنا في الزيادة عليه بما يقارب الضعف ، وفي توسيع حلقة البحث والتحقيق ضمن الموضوع ، فأتممنا بالتالي ما كان بدأه أستاذنا الكبير قبل نيّف وثلاثين عاماً ، ولنا في ذلك الفخر وله فضل السَّبق والريادة .

* * * * *

والجدير بالذكر أن عملنا هذا يبقى بحاجة إلى رديف له يتناول نصوص الرحالين الغربيين الذين زاروا دمشق في نفس الفترة مجال البحث ، بغية عقد المقارنة بين ما كتبوه وما كتبه رحّالونا . وكنا قد عثرنا على مجموعة كبيرة من هذه النصوص النادرة ، التي تغطي الفترة الممتدة من القرن السابع الميلادي إلى القرن التاسع عشر ، ونشرنا منها سبعة نصوص لكل من : الرحالة الإنكليزي جون موندڤيل ، والرحالة البورغوندي برتراندون دى لا بروكيير ، وثلاثة من الرحالين الفرنسيين هم پيير بولون دى مان وجان تيڤنو ولوران دارڤيو ، والرحالة البرتغالي سيباشتياو مانريكة ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والرحالة السكوتلندي جون پورتر . ونرجو أن تتاح لنا الفرصة قريباً لنشر جميع هذه النصوص في كتاب واحد ، لنكمل به أركان هذه الدراسة الحاضرة .

* * * * *

وبوجه العموم فالموضوع غني جداً ، وكتب الجغرافيا والرحلات ومصادر الأدب الجغرافي العربي والدراسات المتعلقة بها يكاد لا يطالها العدّ والحصر وتبلغ المئات ، وفهرستها بيبليوغرافياً بحاجة إلى مجلّد ضخم قد يصل إلى حجم كتابنا هذا .

ونتمنى في الختام أن يكون في عملنا هذا خطوة تتبعها خطوات ، سواء من قبلنا أو من غيرنا ، في سبيل التعريف بالمزيد من عيون أدبنا الجغرافي العربي وفرائده ، واستجلاء المزيد والمزيد من مآثر حضارتنا العربية التليدة .

* * * * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتاب عجايب الهند

برّه وبحره وجزايره

تاليف

بزرك بن شهريار الناخذاه الرامهرمزي

LIVRE DES MERVEILLES DE L'INDE

PAR

le capitaine BOZORG FILS DE CHAHRIYÂR DE RÂMHORMOZ.

TEXTE ARABE

PUBLIÉ D'APRÈS LE MANUSCRIT DE M. SCHEFER, COLLATIONNÉ SUR LE MANUSCRIT DE CONSTANTINOPLE,

PAR

P. A. VAN DER LITH.

TRADUCTION FRANÇAISE

PAR

L. MARCEL DEVIC.

Avec quatre planches coloriées tirées du manuscrit arabe de Hariri de la collection de M. Schefer, et une carte

Publication dédiée au sixième Congrès des Orientalistes.

LEIDE. — E. J. BRILL.
1883—1886.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتاب
عجائب الهند

بره وبحره وجزايره

تأليف

بزرك بن شهريار الناخذاه الرام هرمزي

طبعت على النسخة المطبوعة بمطبعة ابريل بليدن
سنة ١٨٨٣

الطبعة الأولى

١٣٢٦ ه ١٩٠٨ م

على نفقة الحاج محمد امين دربال الكتبي بشارع
الحلوجي بمصر قريباً من الجامع الازهر الشريف

(طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لجنة التأليف والترجمة والنشر

اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي

تاريخ
الأدب الجغرافي العربي

نقله إلى اللغة العربية

صلاح الدين عثمان هاشم

قام بمراجعته

إيفور بليايف

القسم الأول

اختصارته

الأمين الشنقيطي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

رسالة ابن فضلان

أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد

في وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة

سنة ٣٠٩ هـ - ٩٢١ م

حققها وعلق عليها وقدم لها

الدكتور سامي الدهان

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ١ -

أبو عُبيد البغدادي
القاسم بن سلاّم
(توفي ٢٢٤ هـ/ ٨٣٨ م)

القاسم بن سلاّم الهروي الأزْدي الخُزاعي، الخراساني البغدادي، أبو عُبيد. من كبار العلماء بالحديث واللغة والفقه، من أهل هراة، ولد بها سنة ١٥٧ هـ وفيها تعلّم، وأصله رومي. ولي قضاء طرسوس ثماني عشرة سنة. ورحل إلى مصر سنة ٢١٣ هـ، وقدم بغداد، وكان شيخ البلاذُري. وفسّر بها غريب الحديث، واشتغل بالتأديب، فسمع الناس من كتبه. وحجّ فتوفي عام ٢٢٤ هـ.

وكان منقطعاً للأمير عبد اللّه بن طاهر، كلما ألف كتاباً أهداه إليه، فيُجري له عشرة آلاف درهم. من كتبه: الغريب المصنّف في غريب الحديث، أدب القاضي، فضائل القرآن، الأمثال، المذكرّ والمؤنّث، المقصور والممدود، الأجناس من كلام العرب. وكتبه كلّها جيّدة، وقال الجاحظ فيه: « لم يكتب الناس أصحّ من كتبه، ولا أكثر فائدة ».

ومن أخصّ كتبه « كتاب الأموال »، ويُعتبر من أحسن ما ألّف في هذا الباب. وقد تحدّث في كتابه هذا عن فتح دمشق وأمر الخَراج فيها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومنه نقلنا النصّ المتعلّق بها. وقد نُشر كتاب الأموال في القاهرة عام ١٣٥٣هـ بعناية محمد حامد الفقي.

المصادر:

مقدّمة كتاب الأموال للبغدادي والنصوص الواردة فيها

تذكرة الحفّاظ للذهبي ٢ / ٥

تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٧ / ٣١٥

وفيّات الأعيان لابن خلّكان ١ / ٤١٨

طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٢١٧

غاية النهاية لابن الجزري ٢ / ١٧

طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ / ٢٥٩

مختصر طبقات الحنابلة للنابلسي ١٩٠

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢ / ٤٠٣

طبقات الشافعيّة الكبرى للسبكي ١ / ٢٧٠

دائرة المعارف الإسلاميّة ١ / ٣٧٥

مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ٢ / ١٦٧

الأعلام للزركلي ٦ / ١٠

مدينة دمشق عند الجغرافيين للمنجّد ٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فتح دمشق

وقد كان أمرُ دمشق في فتحها على نحوٍ من هذا:

٤٧٦ - حدّثنا أبو أيوب الدمشقي، حدّثنا الحسن بن يحيى الخشني، عن زيد بن واقد، عن بسر بن عبيد اللّه، عن واثلة بن الأسقع الليثي قال:

لمّا نزل خالد بن الوليد مرج الصُفَّر[1] ركبتُ فرسي ثم أقبلتُ حتى انتهيتُ إلى باب الجابية - قال أبو عبيد: وهو باب من أبواب دمشق - فخرجتْ خيلٌ عظيمة، فأمهلتُها حتى إذا كانت بيني وبين دير ابن أبي أوفى حملتُ عليهم من خلفهم وكبّرتُ. فظنّوا أنهم قد أُحيط بمدينتهم، فانصرفوا راجعين.

وشددتُ على عظيمهم فدعستُهُ بالرمح، فوقع، وضربتُ بيدي إلى برذونه[2] فأخذتُ بلجامه، فركضتُ، فلما رأوني وحدي أقبلوا عليَّ، فالتفتُّ، فإذا رجلٌ قد ندر من بين أيديهم، فرميت بالعنان على قربوس[3] السرج، ثم عطفتُ عليه فدعستُه بالرمح، فقتلته، ثم عُدْتُ إلى البرذون واتبعوني ثمَّ كذلك، حتى واليتُ بين ثلاثة. فلما رأوا ما أصنعُ انطلقوا

---

(١) مرج الصُفَّر سهل واسع قبلي دمشق، حدّده ابن طولون بين قريتي الكسوة وغباغب.

(٢) البرذون: دابّة الحمل الثقيلة، أو خلاف العربي من الخيل.

(٣) القربوس: القسم المرتفع من السرج في مقدّمته ومؤخرته.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

راجعين، وأقبلتُ حتى أتيتُ الصفُّر. ثم أتيتُ خالد بن الوليد فذكرت له ما صنعتُ، وعنده عظيمُ الرّوم قد كان خرج إليه يلتمس الأمان لأهل المدينة، فقال له خالد: هل علمتَ أن الله قد قتلَ فلاناً - يعني خليفته - ؟ فقال بالروميّة: مثانوس[1] - يعني معاذ اللّه. فأقبل واثلة بالبرذون. فلما نظر إليه عظيم الروم عرفه. فقال أتبيعني السرج ؟ قال: نعم. قال: لك عشرة آلاف. فقال خالد لواثلة: بعه.

فقال واثلة: بِعْهُ أنتَ أيّها الأمير. فباعه.

قال: وسلّمَ إليّ سَلَبَهُ كلّه، ولم يأخذ منه شيئاً.

قال أبو عُبيد: فأرى في هذا الحديث المراوضة في طلب الأمان، ولم يستحكم، وقد صار آخر أمرها إلى الصلح.

٤٧٧ - حدّثني أبو مسهر عن يحيى بن حمزة، عن أبي المهلّب الصنعاني، عن أبي الأشعث وأبي عثمان الصنعانيين:

أن أبا عُبيدة بن الجرّاح أقام بباب الجابية فحاصرهم أربعة أشهر.

٤٧٨ - قال أبو مسهر: حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال:

دخلها يزيد بن أبي سفيان من الباب الصغير قسراً، ودخلها خالد بن الوليد من الباب الشرقي صُلْحاً، فالتقى المسلمون بالمقسلاّط[2]،

---

(١) لم نجد في معاجم اليونانية الحديثة هذه اللفظة، ولعلّها وردت مصحّفة. وأما لفظة «معاذ اللّه» فهي في اليونانية: ثيوس فيلاكسوي.

(٢) أصلها من كلمة Macella اللاتينية وتعني الأسواق المسقوفة، وقد حدّد المنجّد موقعها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فأمضوها كلّها على الصلح.

قال أبو عُبيد: وكذلك لو أنّ أهل مدينة من المشركين، عاقد رؤساؤهم المسلمين عقداً وصالحوهم على صلح، فإن الأخذ بالثقة والاحتياط أن لا يكون ذلك ماضياً على العوام إلاّ أن يكونوا راضين به.

كتاب الأموال، ص ١٧٦ - ١٧٧

كتاب صلح خالد بن الوليد إلى أهل دمشق

٥١٩ - حدثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن ابن سراقة، أن خالد بن الوليد كتب لأهل دمشق:

« هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل دمشق: إنّي قد أمّنتهم على دمائهم وأموالهم وكنائسهم ».

قال أبو عبيد: وقد ذكر فيه كلاماً لا أحفظه. وفي آخره: « شهد أبو عبيدة بن الجرّاح، وشُرَحبيل بن حسنة، وقُضاعي بن عامر، وكُتب سنة ثلاث عشرة ».

كتاب الأموال، ص ٢٠٧

= بعد رأس البزوريّة بقرب مئذنة الشحم في الطريق المستقيم (La Via Recta).

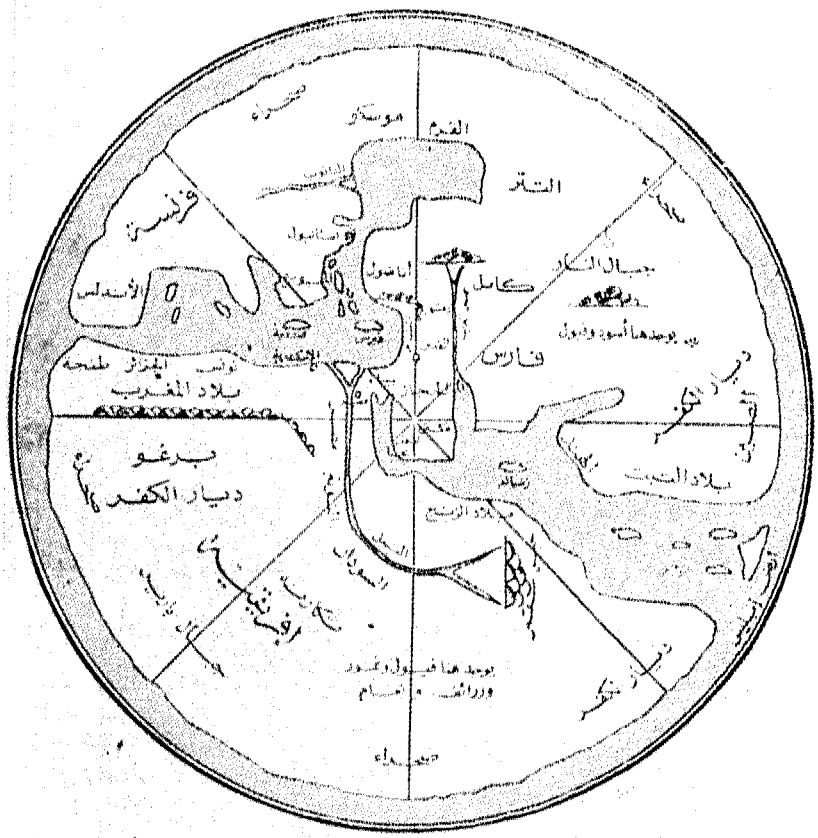

٢٣٣ ـ خريطة عربية وضعت فى أواسط القرن الثانى عشر من الميلاد (رسمها بريس الأدفى فى القاهرة)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ٢ -

الخُوارزمي
أبو عبد الله محمد بن موسى
(توفي بعد ٢٣٢ هـ/ ٨٤٧ م)

رياضي فلكي جغرافي مؤرّخ، من أهل خوارزم، يُنعت بالأستاذ، طبَّقت شهرته الآفاق شرقاً وغرباً، وقد أطلق المؤرّخ البريطاني جورج سارتون في مقدّمته لتاريخ العلم اسم «عصر الخوارزمي» على النصف الأول من القرن التاسع، لأنه «أكبر رياضيي عصره، وواحد من أكبر رياضيي جميع العصور على الإطلاق إذا أخذنا في الحسبان اختلاف الظروف». وكانت رسالته في الحساب وكتابه «المختصر في حساب الجبر والمقابلة» هما سبب وصول اسمه إلى أوروبا، حيث عُرف باسم: الغوريثمي Algorithmi ويعود إليه الفضل في نقل منهج الحساب الهندي إلى الشرق والغرب.

ورغم الأهمية البالغة لمؤلّفات الخوارزمي فإن المعلومات عن شخصيّته شحيحة للغاية، والمعروف أن الخليفة العبّاسي المأمون قد جعله قيّماً على خزانة كتبه، وعهد إليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها، وأمره باختصار كتاب «المجسطي» لبطليموس، فاختصره وسمّاه «السِّند هند» أي الدهر الداهر، فكان هذا الكتاب كما يقول الجغرافي المستشرق مالتِه برون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Malte Brun أساساً لعلم الفلك بعد الإسلام.

أما في علوم الجغرافيا فقد أرسى الخوارزمي لنفسه مكانة سامية بمصنّفه الشهير «صورة الأرض»، الذي اعتُبر فاتحة عهد جديد في ميدانه الخاص به، وإن تكن شهرة مؤلّفه لا تقوم على مؤلّفاته الجغرافيّة. واسم «صورة الأرض» هو الترجمة المتعارف عليها في ذلك العصر للفظ «جغرافيا» اليوناني، ولا غرو فإن مذهب الخوارزمي نفسه في الجغرافيا ينتمي بالأصل إلى المدرسة اليونانيّة التي تعتمد الزيوج (أي الجداول الجغرافيّة لقيم الأطوال والعروض بحسب الأقاليم والمدن).

ويبدو أن كتاب الخوارزمي المذكور قد حمل عدّة أسماء، فمثلاً يذكره الجغرافي أبو الفداء في القرن الرابع الهجري باسم «رسم الربّع المعمور». وعلى أي حال فالثابت أنه قد أتمّ تأليفه عقب وفاة المأمون، بين عامي ٢٢١ - ٢٣٢ هـ كما أثبت المستشرق بارتولد Bartold. ونظراً لغلبة الفلك والرياضة على الخوارزمي فقد وضع كتابه في الجغرافيا على هيئة «زيج»، أي جداول فلكيّة كما تقدّم. والكتاب ليس بترجمة لبطليموس ولكنه ترتيب لمادّته على هيئة جداول مع إضافات واسعة من ميدان الجغرافيا العربيّة وطائفة من التعديلات الأخرى، ويبدو جليّاً من خلال ذلك أن تبويب الخوارزمي لمادّته يختلف اختلافاً بيّناً عن نهج بطليموس.

هذا ويسترعي النظر بصورة خاصّة تقسيم الخوارزمي للأقاليم السبعة حسب درجات العرض، وهو تقسيم يختلف عن كل التقاسيم الأخرى المعروفة لدى العرب، ويعتمد أساساً على حسابات العلماء اليونان. وإذا كان الخوارزمي قد أبدى الكثير من الجرأة العلمية في تقسيمه الجديد للأقاليم فإنه قد أظهر أيضاً الكثير من الأصالة والإبتكار في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خارطاته التي تختلف اختلافاً تامّاً عن الخارطات المعروفة لدينا من العهود اللاحقة، وتقوم أهميتها قبل كل شيء على أنها تمثّل أقدم ما وصل إلينا من آثار الكارتوغرافيا (علم رسم الخرائط) العربيّة.

ومما يجدر ذكره أن تأثير هذا الكتاب على العلوم الجغرافيّة العربيّة كان هائلاً، وتبعه فيه الكثيرون ومنهم سُهراب كما سيمرّ بنا في مكانه.

وتاريخ وفاة الخوارزمي غير معروف، وقد ورد آخر ذكر له مقترناً بوفاة الخليفة العبّاسي الواثق بالله عام ٢٣٢ هـ، ويعتقد المستشرق الإيطالي كارلو نلّينو Carlo Nallino أنه قد توفي عقب ذلك بقليل.

وقد قام بنشر كتاب الخوارزمي المذكور «صورة الأرض من المدن والجبال والبحار والجزائر والأنهار» المستشرق النمساوي هانز فون مْجيِك Hans Von Mzhik، وطُبع في مطبعة آدولف هولتس هاوزن بڤيينّا عام ١٩٢٦، مع مقدّمة باللغة الألمانية. وعن هذه الطبعة أخذنا النص المتعلّق بدمشق.

المصادر:

صورة الأرض للخوارزمي، مقدّمة فون مْجيِك بالألمانيّة
الفهرست لابن النديم ٢٧٥
دائرة المعارف الإسلاميّة: مبحث الخوارزمي لڤيدمان ٩/ ١٨
كشف الظنون لحاجي خليفة ٥٧٩
تاريخ سنيّ ملوك الأرض لحمزة الأصفهاني ١٢١
تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوڤسكي ١/ ٩٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من فصل
المدن التي في الإقليم الرابع

العدد دقائق	العدد كما تجده*	أسماء المدن	العرض درج دقائق	الطول درج
(٢٦٥)		لبنان صيداء على البحر	يط ل	لح مه
(٢٦٦)	[١٧٩]	اطرابلس على البحر	س له	لد Q
(٢٦٧)	[١٨٠]	اللاذقيّة على البحر	سا Q	لد Q
(٢٦٨)		المثقّب على البحر	س ل	لو ك
(٢٦٩)	[١٧٧]	دمشق على حدّ الجبل**	س Q	لح Q
(٢٧٠)	[١٨١]	حمص	سا Q	لد Q

صورة الأرض ١٩

---

* العدد كما تجده في كتاب عجائب الأقاليم.

** بحساب الجُمّل تكون قيم الموقع الجغرافي لمدينة دمشق كما يلي: الطول = ٦٠ درجة، حيث (س = ٦٠)؛ والعرض = ٣٨، حيث (لح = ٣٠ + ٨). وأما الرمز Q الوارد في حقل الدقائق فهو رمز قيمة الصفر. ويُلاحظ أن هناك اختلافاً في القيم لدى سهراب كما سيمر في حينه.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من فصل
الإقليم الرابع وما فيه من العيون والأنهار

[بردى]: نهر من جبل الثلج، أوّله عند طول (يط مه) والعرض (لب يه) - (١٨٩٨)، ومصبّه في مدينة دمشق ويجوزها بقليل إلى بحيرة يصبّ فيها.

صورة الأرض ١٢٥

DAS KITAB
ʿAǦĀʾIB AL-AḳĀLĪM AS-SABʿA
DES SUHRĀB

Herausgegeben

NACH DEM HANDSCHRIFTLICHEN UNIKUM
DES BRITISCHEN MUSEUMS IN LONDON
/COD. 23379 ADD./

VON

HANS v. MŽIK

M C M X X X

Otto Harrassowitz · Leipzig

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ٣ -

الخليفة المتوكّل العبّاسي
جعفر بن المعتصم بن هارون الرشيد
(توفي ٢٤٧ هـ/ ٨٦١ م)

الخليفة العباسي المتوكل على الله ، أبو الفضل جعفر بن محمد ، بويع له بالخلافة عام ٢٣٢هـ ، وتوفي مقتولاً عام ٢٤٧هـ . وهو طبعاً لم يكن بالرحالة ولا الجغرافي ، ولكنه قام برحلة إلى دمشق اشتهرت في م ر التاريخ الإسلامي وارتبط ذكرها بشكل أساسي في سيرته .

والواقع أن هذه الرحلة تقف من ورائها أسباب وغايات سياسية ، وتشكّل حلقة أساسية من سلسلة الصراع على السلطة بين الخلفاء العباسيين وقادة جيوشهم من الترك ، ذلك الصراع الذي كاد يذهب طعمته الخليفة المعتصم ، ثم راح المتوكل نفسه ضحية له كما سنرى .

ابتدأت حدّة هذا الصراع تتنامى عندما أقدم المتوكل على تصفية القائد الطاغية إيتاخ الذي كان ينوي كما تذكر المصادر القضاء على الخليفة ، وزاد على ذلك بأن أخذ في إقصاء الترك عن المناصب الهامة وشرع في إيجاد جبهة عربية لمقاومة نفوذهم ، وبدّل ولاية العهد من ابنه المنتصر إلى المعتزّ لكون الأول ميّالاً إليهم بالأصل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غير أن أعماله تلك أوغرت صدور القادة الترك عليه ، واستمالوا إليهم ابنه المنتصر الذي شرع في مناصرتهم ، ووجدوا حجّة قوية في محاربته وتأليب الناس ضدّه عندما قرر هدم قبر الإمام الحسين (عليه السلام) وتسويته بالأرض . فبات المتوكل ها هنا يحسب لهم ألف حساب ويخشى جانبهم أكثر من قبل ، ولما ازدادت عليه حدّة الضغوط قرّر وهو في عصر قوته أن يغادر سامرّاء ويلتمس عاصمة جديدة يمارس منها حكمه ، واستقر رأيه أخيراً أن تكون تلك العاصمة دمشق ، ولو أن بعض المؤرخين كاليعقوبي يعزون سبب هذا القرار إلى أنه «وُصف له برد هوائها وكان محروراً» .

رحلة المتوكل إلى دمشق

ذو القعدة ٢٤٣هـ - ربيع الثاني ٢٤٤هـ

عزم المتوكل على المسير إلى دمشق فكتب إلى أحمد بن محمد ابن مدبِّر يأمره باتخاذ القصور وإعداد المنازل ، وكتب في إصلاح الطريق وإقامة المنازل والمرافد . ثم سار بحاشية كبيرة متوجهاً إليها عن طريق الموصل ، وكان خروجه كما ذكر اليعقوبي يوم الإثنين لعشر بقين من ذي القعدة عام ٢٤٣هـ ، فأدركه عيد الأضحى في مدينة بلد شمال الموصل ، فضحّى وأقام شعائر العيد . وبعد ذلك استمر في مسيره نحو دمشق ، فوصلها يوم الأربعاء لثمان بقين من صفر عام ٢٤٤ هـ ، ونزل بالقصور التي بنيت له بداريّا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتكاد المصادر تجمع على أن دمشق ومنطقتها قد أعجبت المتوكل أول الأمر ، وأنه أمر بالبناء فيها ونقل دواوين الحكومة إليها . إلا أنه سرعان ما عاد فاستوبأ البلد لجملة من العوامل الطبيعية ، فهي كما ذكر الطبري : الهواء بها بارد نديّ والماء ثقيل والريح تهب فيها مع العصر فلا تزال تشتد حتى يمضي عامة الليل ، وهي كثيرة البراغيث وغلَت فيها الأسعار ، وحال الثلج بين السابلة والميرة .

ويرى بعض الباحثين المعاصرين في أيامنا أن هذه الأسباب لم تكن بالفعل هي الموجب لعودة المتوكل عن دمشق إلى سامرّاء ورفضه الإقامة فيها خلال مدّة بسيطة من الزمن لم تتجاوز الشهرين فقط (٣٨يوماً كما قال اليعقوبي) . وبخاصة أن المتوكل كان قد نزل بدارياّ على بعد ساعة من دمشق ، بين صفر وربيع الثاني من عام ٢٤٤هـ ، الموافقين لحزيران وتموز أي في منتصف فصل الصيف حيث لا أمطار ولا ثلوج في إقليم دمشق بكامله .

ويبدو أن أسباباً أخرى كانت وراء اتخاذ المتوكل لقرار العودة عن دمشق إلى سامرّاء ، لعل أهمها تأثير القادة الترك أنفسهم والذين صحبوا المتوكل في رحلته إلى دمشق ، فقد اقتنع هؤلاء بأن المتوكل ما قصد من اللجوء إلى دمشق إلا تصفيتهم والخلاص من نفوذهم المتعاظم يوماً بعد يوم ، فأرادوا استباق الأحداث وأخذوا يختلقون له المتاعب والصعاب ، فشغبوا عليه بل ذهبوا إلى أكثر من هذا حيث دبّروا مؤامرة لقتله في دمشق والخلاص منه قبل أن يتخلص هو منهم . وكانت البداية في زرع بذور الشقاق بينه وبين القائد التركي بُغا الذي كان من أخلص أعوانه حقاً ، فإن تم لهم ذلك يكونوا قد جرّدوا المتوكل من سنده الأكبر وصار من السهل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القضاء عليه منفرداً .

فهكذا لم يحقق المتوكل بدمشق ما أراده ، وتأكد أن عمله هذا لن يجدي نفعاً وأنه بات ينبغي له العودة إلى سامرّاء عاصمته السابقة ، فكان هذا ما فعله ووصلها في جمادى الآخرة من عام ٢٤٤ هـ . ولمّا عاد إلى سامرّاء لم يشأ السكنى بين القادة الأتراك ، بل أنشأ لنفسه ضاحية جديدة في الماحوزة عرفت باسم «المتوكليّة» أو «الجعفريّة» نسبة إليه ، وأنفق عليها أموالاً جزيلة قدّرت بحوالي مليوني دينار .

وبالجملة عاش المتوكل البقية الباقية من حياته وخلافته أسيراً لرغبات القادة الأتراك ، حتى اعتُبر عصره مؤشراً حقيقياً لانحسار سيادة الخلافة العباسية وبقائها مجرد خلافة إسمية مهلهلة ، وصحّ قول الشاعر فيه :

خليفةٌ في قفصٍ بين وصيفٍ وبُغا
يقول ما قالا له كما تقول الببّغا

وسرعان ما نفذ القضاء بالمتوكل فلاقى حتفه مقتولاً لأربع خلون من شهر شوّال عام ٢٤٧هـ وقتل معه وزيره الفتح بن خاقان ، وأسدل الستار نهائياً على عصر السيادة العباسية الفعلية على العراق والشام والحجاز ومصر ، التي لم يُقدّر لها من البقاء أكثر من قرن ونيّف .

* * * * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأما النص المقتضب الذي وصفت به دمشق أعلاه فإن دلّ على شيء فإنما على حال الزراية التي أضحت المدينة تعيشها إبّان حكم بني العباس ، إثر أن أعملوا فيها جهدهم في الحرق والتدمير والتخريب يوم سقطت دولة بني أمية على يد عبد الله بن علي العباسي عام ١٣٢هـ . وبقيت دمشق على هذا الحال نيّفاً وأربعة قرون حتى كان عهد نور الدين محمود بن زنكي فأعاد إليها رونقها وبهاءها ، كما سيمر بنا في نص الوهراني من هذا الكتاب ، وبعده عهد بني أيوب كما سنرى في نص ابن جبير ، ثم عهد المماليك كما سنرى في نصّي ابن فضل الله العمري وابن بطوطة وغيرهما .

وكذلك مما يتعلق برحلة المتوكّل أن بعض المؤرخين في عصرنا حاولوا نسبة بعض آثار بساتين اللّوّان بين المزّة وكفرسوسية جنوب غرب دمشق إلى بقايا القصور التي عمّرت للخليفة المتوكل آنذاك . فقد ذكر محمد أديب تقي الدين الحصني في كتابه «منتخبات التواريخ لدمشق» أن اسم «اللّوّان» ما هو إلا تحريف لـ «الإيوان» ، قائلاً إنها من بعض بقايا قصور الخلفاء العباسيين التي كانت بين المزّة ودارياّ .

بينما ذكر الباحث أحمد وصفي زكريا في كتابه «الريف السوري» : أرض اللّوّان ، نقول إنها كانت فيما مضى قرية مستقلّة ، وكان الخلفاء الأمويون ثم العبّاسيون (المأمون والمتوكل) ، وبعدهم نائب السلطنة المملوكية الشهير تنكز في القرن الثامن الهجري ، بنوا فيها قصوراً لطيب هوائها وثمارها . ثم دثرت هذه القرية مع قصورها ، وتقسّمت أراضيها بين المزّة وكفرسوسية ودارياّ .

ونعتقد أن في هذه الآراء بعض تجاف عن الصواب ، فيما يتعلق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

باشتقاق التسمية على الأقل ، وكنا بيّنا رأينا فيها بكتابنا «معالم دمشق التاريخية» ، فلينظر في مكانه .

المصادر :

تاريخ اليعقوبي ٤٩٢-٤٩١/ ٢

تاريخ الأمم والملوك للطبري ، القسم الثالث ١٢/ ١٤٣٦-١٤٧١

تاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٤٢-١٤٣

مروج الذهب للمسعودي ٥/ ٣١-٣٦

الرحلة المتوكليّة إلى دمشق لجودة ٩-٢٥

منتخبات التواريخ لدمشق للحصني ١٠٥٨

الريف السوري لزكريا ٢/ ١٢٥، ١٦٠

معالم دمشق التاريخية للإيبش والشهابي ٤٧٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ٤ -

الجاحظ

عمرو بن بحر

(توفي ٢٥٥ هـ/ ٨٦٩ م)

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، الشهير بالجاحظ لجحوظ في عينيه، أشهر أئمّة الأدب العربي، ورئيس الفرقة الجاحظيّة من المعتزلة. ولد في البصرة عام ١٦٣ هـ وتوفي بها عام ٢٥٥هـ.

مؤلفاته في الأدب كثيرة جداً، أخصّها: البيان والتبيين، الحيوان، البخلاء، المحاسن والأضداد، التاج في أخلاق الملوك، الحنين إلى الأوطان، العثمانية. وقد ألّف كتاباً في «البلدان» فُقد ولم يصل إلينا، وأتى فيه بذكر دمشق. والنصّ الوحيد الذي وصلنا منه نقله ياقوت الحموي في «معجم الأدباء»، وقد قيل إن ابن الفقيه الهمذاني اقتبس كتاب الجاحظ في البلدان وضمّنه كتابه «البلدان».

وكان الجاحظ قد سافر في البلدان، ومنها دمشق وأنطاكية ومصر. وتبدو آثار هذه الأسفار في كتابه «الحيوان» بعد أن فُقد كتابه عن البلدان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المصادر :

التنبيه والإشراف للمسعودي (ط الصاوي) ٤٩٠
مروج الذهب للمسعودي ١/ ٢٠٦
أحسن التقاسيم للمقدسي ٢٤١
معجم الأدباء لياقوت ٦ / ٥٦
وفيّات الأعيان لابن خلّكان ١ / ٣٨٨
مسالك الأبصار لابن فضل اللّه العمري ١ / ١٩٣
تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوڤسكي ١ / ١٢٨
تاريخ آداب اللغة العربية لبروكلمان ١ / ١٨٥ والذيل ١/ ٢٣٩
الأعلام للزركلي ٥ / ٢٣٩
مدينة دمشق عند الجغرافيين للمنجّد ١٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مسجد دمشق

حكى الجاحظ في كتاب البلدان قال:

قال بعض السلف[1]: «ما يجوز أن يكون أحدٌ أشدّ شوقاً إلى الجنّة من أهل دمشق لما يرونه من حسن مسجدهم».

مسالك الأبصار للعمري ١/ ١٩٣

«وقول الدمشقيين ما تأمّلنا قط تأليف مسجدنا، وتركيب محرابنا وقبّة مصلاّنا إلا أثار لنا التأمّل، واستخرج لنا التفرّس بين غرائب حسن لم نعرفها، وعجائب صنعة لم نقف عليها، وما ندري أجواهر مقطعاته أكرم في الجواهر، أم تنضيد أجزائه في تنضيد الأجزاء».

الحيوان للجاحظ ١/ ٢٩

(١) رواه الوليد بن مسلم عن ابن ثَوْبان. أنظر مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ١/ ١٩٣.

٢٨ـ خريطة العالم المنسوبة إلى الكندي والسرخسي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن خُرَّداذْبه
أبو القاسم عُبيد اللّه بن عبد الله
(توفي على الأرجح ٢٧٢ هـ/ ٨٨٥ م)

ابن خرداذبه (بضم الخاء وتشديد الراء المفتوحة وسكون الذال وكسر الباء قبل الهاء الأخيرة) أقدم الجغرافيين المسلمين في العهد العبّاسي. ولد في خُراسان عام ٢٠٥ هـ وشبّ وتعلّم في بغداد، وقد اعتنق الإسلام بعد كان مجوسيّاً، وكان والده والياً على طبرستان جنوبي بحر قزوين، وإلى جانب العلوم التي تلقّاها أخذ الموسيقى والأدب عن إسحاق الموصلي، تولّى البريد والأخبار في بلاد الجبل (ميديا بإيران) في عهد الخليفة المعتمد العبّاسي، فأتيح له أن يجمع معلومات صحيحة عن المسافات والبلاد. ألّف كتاب «المسالك والممالك» سنة ٢٣٢ هـ فعني فيه خاصّة بذكر المسافات بين البلدان.

ذكره المسعودي فقال: إنه أحسن كتاب في موضوعه. وطعن عليه أبو الفرج الأصفهاني فقال: إنه قليل التصحيح لما يرويه ويضمّنه كتبه. ورأى المقدسي أن كتابه مختصر جداً لا يحصل منه كبير فائدة. وكان كتابه لا يفارق ابن حوقل، وقد اقتبس اسم كتابه ثلاثة من الجغرافيين الذين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جاؤوا بعده : الجيهاني وابن حوقل والبكري .

يفيدنا نص ابن خرداذبه بتحديد المسافات التي كانت بين دمشق وكورها وأقاليمها في القرن الثالث الهجري ، ومنه يتبيّن أن كورة دمشق كانت تمتد من لبنان إلى البلقاء . هذا وقد نشر كتاب المسالك والممالك المستشرق الهولندي ميخيل دى خُوْيّه M. J. De Goeje ، مع مقدّمة باللغة الفرنسية وطبع بمطبعة بريل في لايدن بهولاندة عام ١٨٨٩ م .

المصادر :

مقدّمة كتاب المسالك والممالك بالفرنسية لدى خويّه

مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٧٠

كتاب الأغاني للأصفهاني ١ / ٣٦

أحسن التقاسيم للمقدسي ٤

المسالك والممالك لابن حوقل ٥

الفهرست لابن النديم ١ / ٢١٢

تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوڤسكي ١ / ١٥٥

تاريخ آداب اللغة العربية لبروكلمان ، الذيل ١ / ٤٠٤

جهود المسلمين في الجغرافيا لنفيس أحمد ٤٤

الحضارة الإسلامية لآدم متز ٢ / ١

مدينة دمشق عند الجغرافيين للمنجّد ١١

الرحلة والرحّالة المسلمون لأحمد رمضان ٥٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطريق من حمص إلى دمشق

من حمص إلى جُوسِيَة ستّة عشر ميلاً، ثم إلى قَارَا ثلاثون ميلاً، ثم إلى النَّبْك إثنا عشر ميلاً، ثم إلى القُطَيِّفَة عشرون ميلاً، ثم إلى دِمَشْق أربعة وعشرون ميلاً. ودمشق هي إرَمُ ذاتُ العِماد، وكانت قبلُ دار نوحٍ صلّى اللّه عليه، ومن جبل لُبْنان كان مبتدأ سفينته، واستوتْ على الجُودِيّ جبل قَرْدَى. ولمّا كثر ولد نوح نزلوا بابِل السواد في مُلك نِمْرُود بن كُوْش، وهو أوّل ملك كان في الأرض.

كورة دمشق وأقاليمها

سهل الغُوطَة، وإقليم سَنِير، ومدينة بَعْلَبَكّ، والبِقاع، وإقليم لُبْنَان، وكورة جُونِيَة، وكورة طَرَابُلُس، وكورة جُبَيل، وكورة بَيْروت، وكورة صَيْدَا، وكورة البَثَنِيَّة، وكورة حَوْران، وكورة الجَوْلان، وظاهر البَلْقاء، وجبل الغَوْر، وكورة مَآب، وكورة جِبَال، وكورة الشَرَاة، وكورة بُصْرى، وكورة عَمّان، والجابِيَة.

قال حسّان بن ثابت:

مِنْ دُونِ بُصْرَى ودُونَها جَبَلُ الثَّلْجِ عَلَيْهِ السَّحابُ كالقِدَرِ

وقال آخر:

سَلِّمْ على دِمَنٍ أقْوَتْ بعَمَّانِ واسْتَنْطِقِ الرَّبْعَ هَلْ يَرْجِعْ بِتِبْيانِ

وخَرَاجُ دمشق أربع مائة ألف دينار ونيِّف.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطريق من دمشق إلى طَبَريّة

من دمشق إلى الكُسْوَة إثنا عشر ميلاً، ثم إلى جاسِم أربعة وعشرون ميلاً.

قال حسّان بن ثابت :

قد عفا جاسِمٌ إلى بيتِ راسٍ فالجَوابي فحارِثُ الجَوْلان

ثم إلى فِيْق أربعة وعشرون ميلاً، ثم إلى طَبَريّة مدينة الأرْدُنّ ستة أميال.

المسالك والممالك ٧٦ - ٧٨

الطريق من الرّقّة إلى حمْص ودمشق على الرُّصَافة

من الرّقّة إلى الرُّصافة أربعة وعشرون ميلاً، ثم إلى الزَّرّاعة أربعون ميلاً، ثم إلى القَسْطَل ستة وثلاثون ميلاً، ثم إلى سَلَميّة ثلاثون ميلاً، ثم إلى حِمْص أربعة وعشرون ميلاً، ثم إلى شَمْسِين ثمانية عشر ميلاً، ثم إلى قارا إثنان وعشرون ميلاً، ثم إلى النَبْك إثنا عشر ميلاً، ثم إلى القُطَيفة عشرون ميلاً، ثم إلى دمشق أربعة وعشرون ميلاً.

المسالك والممالك ٩٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطريق من حمص إلى دمشق على بعلبك وهو طريق البريد

من حمص إلى جُوسِيَة أربع سكك، ثم إلى بعلبكّ ستّ سكك، ثم إلى دمشق تسع سكك.

المسالك والممالك ٩٨

الطريق من الكوفة إلى دمشق

من الحِيْرَة إلى القُطْقُطانَة، ثم إلى البُقْعة، ثم إلى الأبيض، ثم إلى الحوشي، ثم إلى الجمع، ثم إلى الخطى، ثم إلى الجُبَّة، ثم إلى القلوفي، ثم إلى الروادي، ثم إلى السَّاعِدَة، ثم إلى البقيعة، ثم إلى الأعْناك، ثم إلى أذْرِعات، ثم إلى منزل، ثم إلى دمشق.

المسالك والممالك ٩٩

KITÂB AL-MASÂLIK WA'L-MAMÂLIK

(LIBER VIARUM ET REGNORUM)

AUCTORE

Abu'l-Kâsim Obaidallah ibn Abdallah

IBN KHORDÂDHBEH

ET EXCERPTA E

KITÂB AL-KHARÂDJ

AUCTORE

Kodâma ibn Dja'far

QUAE CUM VERSIONE GALLICA EDIDIT, INDICIBUS ET GLOSSARIO INSTRUXIT

M. J. DE GOEJE.

LUGDUNI-BATAVORUM
APUD E. J. BRILL
1889.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ٦ -

ابن قتيبة
عبد الله بن مسلم
(توفي ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩ م)

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّيْنَوَري ، أبو محمد ، من أقطاب أئمة الأدب ومن المصنّفين المكثرين . ولد ببغداد عام ٢١٣ هـ وسكن الكوفة ، ثم ولي قضاء الدِّيْنَوَر من أعمال همذان مدة فنسب إليها . وتوفي ببغداد .

من أشهر مؤلفاته : «أدب الكاتب» و«المعارف» و«عيون الأخبار» و«الإمامة والسياسة» و«كتاب المعاني» و«الشعر والشعراء» و«الأشربة» ، وغيرها .

أما كتابه «المعارف» فهو من المؤلفات الجامعة لألوان المعرفة ، ولنا أن نشبهه بدائرة معارف ميسّرة لأبناء عصره ، قدّم فيه مؤلفه حصيلة المعارف الأدبية والتاريخية والعلمية الشائعة آنذاك ، مما يلزم معرفته لحضور مجالس الملوك والأشراف .

وأول نشرة علمية للكتاب كانت على يد المستشرق الألماني فرديناند ڤستنفلد عام ١٨٥٠ ، ثم تلتها طبعة مصرية بعناية محمد اسماعيل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصاوي بالقاهرة عام ١٩٣٤ ، وأخيراً صدرت في القاهرة عام ١٩٦٠ بمطبعة دار الكتب طبعة علمية فاخرة بتحقيق الدكتور ثروت عكاشة ، الذي نال بعمله في هذا الكتاب درجة الدكتوراة في الآداب من جامعة باريس . والحق أن هذه الطبعة النفيسة تبقى حتى يومنا الحاضر أرفع مثال لفن الطباعة والتنضيد باللغة العربية بلا منازع ، ونحن على كثرة انتيابنا دور الكتب العربية وتنقيبنا في نوادرها لم نر ما يدانيها في جمالها ورونقها ودقة ترتيبها .

وفي فصل «المساجد» ذكر ابن قتيبة المسجد الأموي باقتضاب .

المصادر :

كتاب المعارف لابن قتيبة ، مقدمة عكاشة ٣-١٠٠
وفيات الأعيان لابن خلّكان ١/ ٢٥١
لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ٣/ ٣٥٧
الأعلام للزركلي ٤/ ٢٨٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من فصل
المساجد

و بنى مسجد دمشق الوليد بن عبد الملك سنة ثمان وثمانين .

كتاب المعارف ٥٦٥

* * * * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المعارف

لابن قتيبة الدينوري

المتوفى سنة ٢٧٦ هجرية

صححه وعلق عليه وراجعه على نسخة جوتنجن ونسخة خطية أخرى
في دار الكتب المصرية

محمد اسماعيل عبد الله الصاوي

طبع بنفقة

السيد علي محمد عبد اللطيف

صاحب المكتبة الحسينية المصرية

بشارع المشهد الحسيني بمصر

الطبعة الأولى

١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م

(المكتبة الإسلامية)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة باريس

رسالة مقدمة للحصول على درجة دكتوراه الجامعة

المعارف

لابن قتيبة

أبي محمد عبد الله بن مسلم

حققه وقدم له

ثروت عكاشه

دكتور في الآداب

القاهرة

مطبعة دار الكتب

١٩٦٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ٧ -

البَلاذُري
أبو العبّاس أحمد بن يحيى بن جابر
(توفي ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م)

أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلاذُري، من أوائل المؤرّخين العرب الذين تركوا آثاراً أساسية هامّة، وكان له عدا التاريخ اهتمام بالجغرافية والأنساب والشعر. ولد في بغداد بأواخر القرن الثاني للهجرة، واتّصل بالمأمون في أول حياته ثم بالمستعين والمعتزّ في أواخرها، وجالس المتوكّل العبّاسي ومات في أيام المعتمد، وله في المأمون مدائح. وكان يجيد الفارسيّة وترجم عنها كتاب «عهد أردشير»، وأصيب في آخر عمره بذهول شبيه بالجنون فشُدَّ بالبيمارستان إلى أن توفي عام ٢٧٩ هـ.

نسبته إلى حَبّ البَلاذُر (Anacardium)، وهو من النباتات الطبية المستعملة لتقوية الحفظ (الذاكرة)، ولكن الإكثار منه يؤدي إلى الجنون كما يُحكى. قيل إن البلاذري كان يفرط في أكله فكان سبب علّته، غير أن كراتشكوفسكي يدعو إلى طرح هذا الرأي، بدعوى أنه من غير المألوف لدى العرب إضافة النسبة عقب وفاة صاحبها، فضلاً عن أن جدّه قبله كان يحمل هذا اللقب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وللبلاذري كتابان جيّدان هما: القَرابة وتاريخ الأشراف، وقد اشتهر باسم «أنساب الأشراف»، والآخر «فتوح البلدان»، يرجّح أنه ألّفه بعد عام ٢٥٥ هـ، وهو آخر ما وصلنا من مؤلّفات فتوح البلدان، فالبلاذري كما قيل كان خاتمة مؤرّخي الفتح، وكتابه المعنون أهم مصدر من المصادر التاريخية وأكثرها صحّة عن الفتوح العربية، حتى قال المسعودي عنه في مقدّمة مروج الذهب: «لا نعلم في فتوح البلدان أحسن منه». وقد نقل منه ياقوت في معجم البلدان نقولاً كثيرة، واعتمد عليه وجعله من مصادره.

وقد تكلّم البلاذري في فتوح البلدان عن دمشق، ونصّه مهم جداً لمعرفة أخبار فتحها.

وأول من نشر كتاب فتوح البلدان كاملاً المستشرق الهولندي ميخيل دى خُوْيَه M. J. De Goeje في لايدن بهولاندة، في ثلاثة أقسام من سنة ١٨٦٣ إلى ١٨٦٦م، مع مقدّمة باللاتينية، وصدر بعنوان:

Liber Expugnationis Regionum

كما أعاد نشره المستشرق الألماني آلفَرْت Ahlwardt عام ١٨٨٣م، كما تُرجم إلى الإنكليزيّة والألمانيّة واللاتينيّة والفرنسيّة، ونشر قطعاً منه كل من المستشرق الفرنسي رينو Reinaud، والمستشرق الإيطالي أماري Amari. ولقد أعيد نشره مراراً في العالم العربي، وخير طبعة صدرت له هي التي نشرها أستاذنا العلاّمة الدكتور صلاح الدين المنجّد في القاهرة عام ١٩٥٦م عن مكتبة النهضة المصريّة، وعنها أخذنا النصّ.

ومما يجدر ذكره أن للبلاذري كتاباً ثالثاً هو «كتاب البلدان الكبير» لم يتمّه، ولم يصلنا هذا الكتاب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المصادر :

معجم الأدباء لياقوت ٥/ ٩٢
معجم البلدان لياقوت ٥/ ٩٣
تاريخ دمشق لابن عساكر : ترجمة البلاذري
الفهرست لابن النديم ١١٣
لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ١/ ٣٢٢
سير أعلام النبلاء للذهبي : ترجمة البلاذري
الوزراء والكتّاب للجهشياري ٢٥٦
الموسوعة الإسلامية : مادة (البلاذري) لبيكر
تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ١/ ١٦١
أعلام التاريخ والجغرافية عند العرب للمنجّد ١/ ١١- ٣٩
مقدّمة د. المنجّد على نشرته لكتاب فتوح البلدان
مدينة دمشق عند الجغرافيين للمنجّد ٣٣
الأعلام للزركلي ١/ ٢٥٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يوم مرج الصُفَّر

٣٢٧ - قالوا: ثم اجتمعت الروم جمعاً عظيماً وأمدّهم هرقلُ بمددٍ. فلقيهم المسلمون بمرج الصُفَّر[١] وهم متوجّهون إلى دمشق، وذلك لهلال المحرّم سنة أربع عشرة. فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى جرت الدماء في الماء وطحنت بها الطاحونة، وجُرح من المسلمين زهاء أربعة آلاف. ثم ولّى الكفرةُ منهزمين مفلولين لا يلوون على شيء، حتى أتوا دمشق وبيت المقدس. واستُشهد يومئذ خالد بن سعيد بن العاصي بن أميّة، ويكنّى أبا سعيد. وكان قد أعرس في الليلة التي كانت الوقعة في صبيحتها بأم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومي امرأة عِكْرمة بن أبي جهل، فلما بلغها مصابه انتزعت عمود الفُسْطاط[٢] فقاتلت به. فيقال إنها قَتَلت يومئذ سبعة نفر وإن بها لَرَدْعَ الخَلُوق[٣].

٣٢٨ - وفي رواية أبي مِخْنَف أن وقعة المرج بعد أجنادين بعشرين ليلة، وأن فتح مدينة دمشق بعدها، ثم بعد فتح مدينة دمشق وقعةُ فِحْل. ورواية الواقدي أثبت.

---

(١) تقدّم ذكره في نص القاسم بن سلاّم البغدادي، وهو سهل واسع قبلي دمشق، يبعد عنها نحو ٣٨ كيلومتراً. حدّده ابن طولون بين قريتي الكسوة وغباغب. كما حدّد دهمان موقعه: يحدّه شمالاً قريتا الطيبة وزاكية، وغرباً شقحب، وجنوباً الزريقيّة، وشرقاً عالقين.

(٢) الفُسطاط: بيت الشعر الكبير.

(٣) ردع الخلوق: أي أثر الطيب، فالردع هو الأثر أو البقيّة، والخلوق الطيب من الزعفران.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي يوم المرج يقول خالد بن سعيد بن العاصي :

مَنْ فارسٌ كرهَ الطِعانَ يُعيرُني رُمحاً إذا نزلوا بمرجِ الصفُّرِ

وقال عبد الله بن كامل بن حبيب بن عُمَير بن خُفَاف بن امرىء القيس ابن بُهْثَة بن سُلَيْم :

شَهِدَتْ قبائلُ مالكٍ وتَغَيَّبَتْ عنّي عُمَيرةُ يومَ مرج الصفُّرِ

يعني مالك بن خُفَاف .

٣٢٩ - وقال محمد بن هشام الكلبي : استُشهد خالد بن سعيد يوم المرج ، وفي عنقه الصَّمصامة سيفهُ[١] . وكان النبي (ص) وجّهه إلى اليمن عاملاً ، فمرَّ برهط عمرو بن معدي كرِب الزبيدي من مَذْحِج ، فأغار عليهم ، فسبا امرأة عمرٍو وعدَّةً من قومه ، فعرض عليه عمرو أن يمنَّ عليهم ويسلموا ، ففعل وفعلوا ، فوهب له عمرو سيفه الصَّمصامة وقال :

خليلٌ لم أهَبْه مِنْ قلاه ولكنَّ المواهب للكرام
خليلٌ لم أخنْه ولم يخُنّي كذلك ما خِلالي أو ندامي
حبَوتُ به كريماً من قريش فسُرَّ به وصِينَ عن اللِّئام

(١) الصمصام هو السيف الصارم لا ينثني ، وأشهر ما عُرف به سيف عمرو بن معدي كَرِب الزبيدي فارس اليمن والعرب في الجاهليّة والإسلام (توفى ٢١ هـ) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال: فأخذ معاويةُ السيف من خالد يوم المرج حين استُشهد فكان عنده، ثم نازعه فيه سعيد بن العاصي بن أُمية فقضى له به عثمان، فلم يزل عنده. فلما كان يوم الدار وضُرب مروان على قفاه وضُرب سعيد فسقط صريعاً، أخذ الصَّمصامةَ منه رجلٌ من جُهَيْنة فكان عنده. ثم إنه دفعه إلى صَيْقَلٍ ليجلوَه، فأنكر الصيقل أن يكون للجُهَني مثله، فأتى به مروان بن الحكم وهو والي المدينة. فسأل الجُهَني عنه فحدّثه حديثه فقال: أما واللّه لقد سُلبتُ سيفي يوم الدار، وسُلِب سعيد بن العاصي سيفه. فجاء سعيد فعرف السيف فأخذه وختم عليه، وبعث به إلى عمرو بن سعيد الأشْدَق وهو على مكّة. فهلك سعيد، فبقي السيف عند عمرو بن سعيد. ثم أصيب عمرو بن سعيد بدمشق وانتُهِب متاعه، فأخذ السيفَ محمد بن سعيد أخو عمرو لأبيه. ثم صار إلى يحيى بن سعيد. ثم مات فصار إلى عنبَسَة بن سعيد بن العاصي. ثم إلى سعيد بن عمرو بن سعيد. ثم هلك فصار إلى محمد بن عبد اللّه بن سعيد، وولده ينزلون ببارق. ثم صار إلى أبان بن يحيى بن سعيد، فحلاّه بحلية ذهب فكان عنده أم ولد له. ثم إن أيوب بن أبي أيوب ابن سعيد بن عمرو بن سعيد باعه من المهدي أمير المؤمنين بنيّف وثمانين ألفاً، فردَّ المهدي حليته عليه. ولمّا صار الصَّمصامة إلى موسى الهادي أمير المؤمنين أُعجب به وأمر الشاعر، وهو أبو الهول، أن ينعته فقال:

حازَ صَمْصَامةَ الزُّبيديّ عمروٍ ... خيرُ هذا الأنام موسى الأمينُ

سيفُ عمروٍ وكان فيما علمنا ... خيْرَ ما أُطبقت عليه الجفونُ

أخضرُ اللونِ بين حدَّيْه بُرْدٌ ... من ذُعافٍ تميس فيه المنونُ

فإذا ما سَلَلْته بَهَرَ الشمـ ... ـس ضياءً فلم تكَد تستبينُ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما يبالي إذا الضَّريبـة حانت أشِـمالٌ سـطَتْ به أم يمـينُ
نِعْمَ مِخراقُ ذي الحفيظةِ في الهيـــــجا يُعَصَّا به ونِعْمَ القرينُ

ثم إن أمير المؤمنين الواثق بالله دعى له بصَيْقَل وأمره أن يُسْقِنَه، فلمّا فعل ذلك تغيَّر.

فتح مدينة دمشق وأرباضها

٣٣٠ - قالوا: لمّا فرغ المسلمون من قتال مَن اجتمع لهم بالمرج أقاموا خمس عشرة ليلة، ثم رجعوا إلى مدينة دمشق لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرّم سنة أربع عشرة، فأخذوا الغوطة وكنائسها عَنوة. وتحصّن أهل المدينة وأغلقوا بابها. فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي في زهاء خمسة آلاف ضمّهم إليه أبو عُبيدة. وقوم يقولون إن خالداً كان أميراً، وإنما أتاه عزله وهم محاصرون دمشق. وسُمِّي الديرُ الذي نزل عنده خالدٌ: «دير خالد»(١). ونزل عمرو بن العاص على باب توما. ونزل شُرَحْبيل على باب الفراديس. ونزل أبو عبيدة على باب الجابية. ونزل يزيد بن أبي سُفيان على الباب الصغير إلى الباب الذي يُعرف بكَيْسان. وجُعل أبو الدرداء

(١) دير خالد المذكور يقع في أيّامنا لصيق مقام الشيخ أرسلان خارج باب توما، وقد أقام فيه خالد مسجداً صلّى فيه أثناء حصار دمشق، والثابت أنه أول مسجد أقيم بدمشق. أنظر: مسجد خالد بن الوليد بدمشق لأحمد الإيبش، الحوليات الأثريّة السورية، عدد ٣٥ (١٩٨٥).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عويمر بن عامر الخزرجي على مَسْلَحَةٍ[1] ببَرْزَة.

وكان الأسقف الذي أقام لخالد النُزل في بدأته ربما وقف على السور فدعا له خالد، فإذا أتى سلَّم عليه وحادثه. فقال له ذات يوم: يا أبا سُليمان! إنّ أمركم مقبلٌ، ولي عليك عدّة، فصالحني عن هذه المدينة، فدعا خالد بدواة وقرطاس فكتب:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها: أعطاهم أماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يُهدم ولا يُسكن شيء من دورهم. لهم بذلك عهد اللّه وذمّة رسوله، صلّى اللّه عليه وسلّم، والخلفاء والمؤمنين، لا يُعرضُ لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية».

ثم إن بعض أصحاب الأسقف أتى خالداً في ليلة من الليالي فأعلمه أنها ليلة عيد لأهل المدينة، وأنهم في شُغل، وأنّ الباب الشرقي قد رُدم بالحجارة وتُرك، وأشار عليه أن يلتمس سُلّماً. فأتاه قوم من أهل الدير الذي عند عسكره بسُلّمين فرقى جماعة من المسلمين عليهما إلى أعلى السور، ونزلوا إلى الباب وليس عليه إلا رجل أو رجلان. فتعاونوا عليه وفتحوه، وذلك عند طلوع الشمس[2].

وقد كان أبو عُبيدة بن الجرّاح عانى فتح باب الجابية وأصعد جماعة

---

(١) المَسْلَحَة أو المسلح: موضع السلاح، وكل ثغر أو مخفر للجند لمراقبة العدو.

(٢) المتعارف عليه لدى مؤرّخي الفتوح أن خالداً تمكّن من اقتحام الباب الشرقي مساء يوم الأحد الخامس عشر من رجب عام ١٤ هـ/ ٣ ايلول ٦٣٥ م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من المسلمين على حائطه، فانصبّ مقاتلةُ الروم إلى ناحيته فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً، ثم إنّهم ولّوا مدبرين. وفتح أبو عُبيدة والمسلمون معه باب الجابية عَنوةً، ودخلوا منه. فالتقى أبو عبيدة وخالد بن الوليد بالمقْسِلاّط، وهو موضع النحّاسين بدمشق، وهو البَرِيْص[1] الذي ذكره حسّان بن ثابت في شعره حين يقول:

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيْصَ عليهمُ بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحيقِ السَّلْسَلِ

وقد رُوي أن الروم أخرجوا ميّتاً لهم من باب الجابية ليلاً، وقد أحاط بجنازته خلقٌ من شجعانهم وكُماتهم، وانصبّ سائرهم إلى الباب فوقفوا عليه ليمنعوا المسلمين من فتحه ودخوله إلى رجوع أصحابهم من دفن الميّت، وطمعوا في غفلة المسلمين عنهم، وإنّ المسلمين بدروا بهم، فقاتلوهم على الباب أشدّ قتال وأبرحه حتى فتحوه في وقت طلوع الشمس.

فلمّا رأى الأسقف أن أبا عُبيدة قد قارب دخول المدينة بدر إلى خالد فصالحه وفتح له الباب الشرقي، فدخل والأسقف معه ناشراً كتابه الذي كتبه له. فقال بعض المسلمين: واللّه ما خالد بأمير فكيف يجوز صلحه؟ فقال أبو عبيدة: إنه يجيز على المسلمين أدناهم. وأجاز صلحه وأمضاه، ولم يلتفت إلى ما فُتِح عنوة، فصارت دمشق صلحاً كلها. وكتب أبو عبيدة بذلك إلى عمر وأنفذه، وفُتحت أبواب المدينة فالتقى القوم جميعاً.

---

(١) البريص: قصر قديم كان وسط دمشق عند محلّة مئذنة الشحم في أيامنا، ذكره المسعودي.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣٣١ - وفي رواية أبي مِخْنَف وغيره أن خالداً دخل دمشق بقتال، وأن أبا عبيدة دخلها بصلح، فالتقيا بالزيَّاتين. والخبر الأول أثبت.

٣٣٢ - وزعم الهيثم بن عديّ أن أهل دمشق صولحوا على أنصاف منازلهم وكنائسهم.

٣٣٣ - وقال محمد بن سعد: قال أبو عبد الله الواقدي: قرأت كتاب خالد بن الوليد لأهل دمشق فلم أر أنصاف المنازل والكنائس. قد رُوي ذلك ولا أدري من أين جاء به من رَواه. ولكن دمشق لمّا فتحت لحق بَشَرٌ كثير من أهلها بِهِرَقْل وهو بأنطاكية، فكثرت فضولُ منازلها فنزلها المسلمون.

٣٣٤ - وقد روى قوم أن أبا عبيدة كان بالباب الشرقي وأن خالداً كان بباب الجابية. وهذا غلط (١).

---

(١) ذكر د. المنجّد في نشرته لفتوح البلدان أن على هامش إحدى النسخ المخطوطة: يقول محمد بن عساكر: قد اعتمد المؤلّف على الرواية في فتح دمشق من باب الجابية عنوة بيد أبي عبيدة رضي الله عنه، وأكّد ذلك بقوله هنا، والخبر الأول أثبت، وهو على الحقيقة أضعف الروايات في فتح دمشق. والصحيح الثابت بالأخبار والآثار أن خالداً رضي الله عنه دخلها من الباب الشرقي قسراً ودخلها أبو عبيدة سلماً من باب الجابية. هذا من حيث صحة الأخبار، وأما من حيث دلالة الآثار فإن جامع دمشق لم يكن بيد المسلمين منه قبل عمارتة إلا الجانب الشرقي بحكم السيف، ودليلنا أن المقصورة التي تنسب إلى الصحابة والسبع القرأة به أيضاً، ولم تزل الكنيسة من غربه إلى أن هدمها الوليد بن عبد الملك لمّا عزم على بنائه في خلافته. وفي رواية =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣٣٥ - قال الواقدي: وكان فتحُ مدينة دمشق في رجب سنة أربع عشرة. وتاريخ كتاب خالد بصلحها في شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة. وذلك أن خالداً كتب الكتاب بغير تاريخ، فلما اجتمع المسلمون للنهوض إلى من تجمَّع لهم باليرموك أتى الأسقف خالداً فسأله أن يجدّد له كتاباً ويُشهد عليه أبا عبيدة والمسلمين. ففعل، وأثبت في الكتاب شهادة أبي عُبيدة ويزيد بن أبي سفيان وشُرحبيل بن حسنة وغيرهم، فأرّخه بالوقت الذي جدّده.

٣٣٦ - وحدثني القاسم بن سلام قال: حدّثنا أبو مسهر، عن سعيد ابن عبد العزيز التنوخي قال: دخل يزيدُ دمشق من الباب الشرقي صلحاً فالتقيا بالمقسلاّط، فأُمضيت كلها على الصلح.

٣٣٧ - وحدثني القاسم قال: حدثنا أبو مسهر، عن يحيى ابن حمزة، عن أبي المهلّب الصنعاني، عن أبي الأشعث الصنعاني أو أبي عثمان الصنعاني أن أبا عُبيدة أقام بباب الجابية محاصراً لهم أربعة أشهر.

٣٣٨ - حدثني أبو عبيد قال: حدّثنا نعيم بن حماد، عن ضمرة ابن ربيعة، عن رجاء بن أبي سلمة قال: خاصم حسان بن مالك عجم أهل دمشق إلى عمر بن عبد العزيز في كنيسة كان رجل من الأمراء أقطعه إياها.

= المؤلف أولاً من أن خالداً أتى بمسلمين من الدير المجاور لعسكره، فرقى أصحابه فيهما إلى سور الباب الشرقي دليل يقوي ما ذكرناه هنا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقال عمر : إن كانت من الخمس العشرة الكنيسة التي في عهدهم فلا سبيل لك عليها .

قال ضَمْرة عن علي بن أبي حَملةَ : خاصمنا عجم أهل دمشق إلى عمر بن عبد العزيز في كنيسة كان فلان قطعها لبني نصر في دمشق ، فأخرجنا عمر عنها وردّها إلى النصارى . فلما ولي يزيد بن عبد الملك ردّها إلى بني نصر .

٣٣٩ - حدثنا أبو عُبيدة قال : حدثنا هشام بن عمار ، عن الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي أنه قال : كانت الجزية بالشام في بدءِ الأمر جَرِيباً[١] ودیناراً على كل جمجمة . ثم وضعها عمر بن الخطّاب على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الوَرِق[٢] أربعين درهماً ، وجعلهم طبقات لغنى الغني وإقلال المقلّ وتوسط المتوسط .

قال هشام : وسمعت مشايخنا يذكرون أن اليهود كانوا كالذمّة للنصارى ، يؤدّون إليهم الخراج فدخلوا معهم في الصلح .

وقد ذكر بعض الرواة أنّ خالدَ بن الوليد صالح أهل دمشق فيما صالحهم عليه على أن ألزم كلّ رجل من الجزية ديناراً وجريب حنطة وخلاً وزيتاً لقوّات المسلمين .

---

(١) الجَرِيب : مكيال قدر أربعة أقفزة ، والقَفِيز مكيال قديم يعادل بالتقدير الحديث أربع عشرة أوقيّة ونصف الأوقيّة . والمقصود به هنا : جريب الحنطة ، كما سيرد أدناه .

(٢) الوَرِق : الفضّة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣٤٠ - حدثنا عمرو الناقد، حدثنا عبد الله بن وهب المصري، عن عمر بن محمّد، عن نافع، عن أسلم مولى عمر بن الخطاب، أن عمر كتب إلى أمراء الأجناد يأمرهم أن يضربوا الجزية على كل من جرت عليه الموسى[١] وأن يجعلوها على أهل الوَرِق على كل رجل أربعين درهماً، وعلى أهل الذهب أربعة دنانير، وعليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة والزيت مديان[٢] حنطة وثلاثة أقساط زيتاً، كل شهر لكل إنسان بالشام والجزيرة، وجعل عليهم وَدَكاً[٣] وعسلاً لا أدري كم هو، وجعل لكل إنسان بمصر في كل شهر أردبّاً[٤] وكسوة، وضيافة ثلاثة أيام.

٣٤١ - وحدّثنا عمرو بن حماد بن أبي حنيفة قال: حدثنا مالك بن أنس، عن نافع، عن أسلم، أن عمر ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير، وعلى أهل الوَرِق أربعين درهماً، مع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام.

٣٤٢ - وحدثني مصعب، عن أبيه، عن مالك، عن نافع، عن اسلم بمثله.

---

(١) أي البالغ من الرجال.

(٢) لعلّ المراد بها: مُدّان، والمدّ مكيال يعادل عند أهل الحجاز رطلاً وثلث.

(٣) الوَدَك: الدَسَم والدهن من اللحم.

(٤) الإرْدَبّ: كيل كبير للحبوب، يعادل ١٥٠ كيلوغراماً.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣٤٣ - قالوا: لمّا ولِي معاوية بن أبي سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنّا في المسجد بدمشق. فأبى النصارى ذلك، فأمسك. ثم طلبها عبد الملك بن مروان في أيامه للزيادة في المسجد، وبذل لهم مالاً فأبَوا أن يُسلِّموها إليه. ثم إنّ الوليد بن عبد الملك جمعهم في أيامه، وبذل لهم مالاً عظيماً على أن يعطوه إيَّاها فأبَوا. فقال: لئن لم تفعلوا لأهدمنّها. فقال بعضهم: يا أمير المؤمنين! إنّ من هدم كنيسة جُنّ وأصابته عاهة. فأحفظه قوله، ودعا بمعول وجعل يهدم بعض حيطانها بيده، وعليه قباء خزٍّ[1] أصفر. ثم جمع الفَعَلَة والنقّاضين فهدموها، وأدخلها في المسجد. فلما استُخلف عمر بن عبد العزيز شكا النصارى إليه ما فعل الوليد بهم في كنيستهم. فكتب إلى عامله يأمره بردّ ما زاده في المسجد عليهم. فكره أهلُ دمشق ذلك وقالوا: يُهدم مسجدنا بعد أن أذَّنا فيه وصلَّينا ويُرَدُّ بيعةً؟. وفيهم يومئذ سليمان بن حبيب المحاربي وغيره من الفقهاء. وأقبلوا على النصارى فسألوهم أن يُعْطَوا جميع كنائس الغوطة التي أخذت عَنوةً وصارت في أيدي المسلمين، على أن يصفحوا عن كنيسة يوحنّا، ويُمسكوا عن المطالبة بها. فرضوا بذلك وأعجبهم. فكتب به إلى عمر فسرّه وأمضاه.

وبمسجد دمشق في الرواق القبلي مما يلي المئذنة، كتابٌ في رخامة بقرب السقف: «مما أمر ببنيانه أمير المؤمنين الوليد سنة ست وثمانين».

---

(١) القَبَاء ثوب يُلبس فوق القميص ويُتمنطق عليه. والخَزّ هو الإبريسَم، أي أحسن الحرير.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣٤٤ - وسمعت هشام بن عمّار يقول: لم يزل سور مدينة دمشق قائماً حتى هدمه عبد الله بن علي بن عبد اللّه بن العبّاس بعد انقضاء أمر مروان وبني أميّة(١).

٣٤٥ - وحدّثني أبو حفص الدمشقي، عن سعيد بن عبد العزيز، عن مؤذّن مسجد دمشق وغيره قالوا: اجتمع المسلمون عند قدوم خالد على بُصرى ففتحوها صلحاً، وانبثّوا في أرض حوران جميعاً فغلبوا عليها. وأتاهم صاحب أذرِعات(٢) فطلب الصلح على مثل ما صولح عليه أهل بُصرى على أنّ جميع أرضِ البَثَنِيّة(٣) أرضُ خَراج، فأجابوهم إلى ذلك. ومضى يزيد ابن أبي سفيان حتى دخلها، وعقد لأهلها. وكان المسلمون يتصرّفون بكورتيْ حوران والبَثَنِيّة. ثم مضوا إلى فلسطين والأردُنّ وغزوا ما لم يكن فُتح. وسار يزيد إلى عَمّان ففتحها فتحاً يسيراً بصلح على مثل صُلح بُصرى، وغلب على أرض البلقاء. وولّي أبو عُبيدة وقد فُتح هذا كلّه، فكان أمير الناس حين فُتحت دمشق، إلا أن الصلح كان لخالد، وأجاز صُلحه. وتوجّه يزيد بن أبي سفيان في ولاية أبي عبيدة ففتح عَرَنْدَل(٤)

---

(١) وكان ذلك عام ١٣٢ هـ.

(٢) أذرِعات: ذكرها ياقوت (١/ ١٣٠): بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمّان، ونقل عن ابن عساكر: مدينة بالبلقاء. وهي اليوم مدينة درعا جنوب سورية، قاعدة حوران.

(٣) البَثَنِيّة من أقاليم حوران جنوب سورية، بين دمشق ودرعا (ياقوت ١/ ٣٣٨).

(٤) ذكرها ياقوت (٤/ ١١١): عُرَنْدَل قرية من أرض الشَرَاة من الشام.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صلحاً، وغلب على أرض الشَّرَاة[1] وجبالها.

قال: وقال سعيد بن عبد العزيز أخبرتي الوضين أن يزيداً أتى بعد فتح مدينة دمشق صيدا وعِرْقَة[2] وجُبَيْل وبيروت وهي سواحل، وعلى مقدّمته أخوه معاوية، ففتحها فتحاً يسيراً وجلا كثيراً من أهلها، وتولّى فتح عِرْقَة معاوية نفسه في ولاية يزيد. ثم إنّ الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر بن الخطاب أو أول خلافة عثمان بن عفّان فقصد لهم معاوية حتى فتحها، ثم رَمَّها وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع.

٣٤٦ - قالوا: فلمّا استُخلف عثمان وولّى معاويةَ الشام وجّه معاويةُ سفيانَ بن مُجيب الأزدي إلى أطْرابُلُس، وهي ثلاث مدن مجتمعة[3]، فبنى في مرج على أميال منها حصناً سُمّي حصن سُفيان، وقطع المادة عن أهلها من البحر وغيره وحاصرهم، فلمّا اشتدّ عليهم الحصار اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة وكتبوا إلى ملك الروم يسألونه أن يمدّهم أو يبعث إليهم بمراكب يهربون فيها إلى ما قِبَله. فوجّه إليهم

---

(١) الشّراة: ذكرها ياقوت (٣/ ٣٣٢): صُقْع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول. وهي سلسلة جبال صخريّة تمتدّ من شمال الحجاز إلى فلسطين والأردن.

(٢) ذكرها ياقوت (٤/ ١٠٩): بلدة في شرقي طرابلس. وهي معروفة اليوم.

(٣) اسم طرابلس المتعارف عليه اليوم باللاتينية: Tripoli، والمشتهر أن هذا الاسم مشتقّ من اليونانية: Tria-Poli، حيث أن Tria تعني ثلاث، و Polis مدينة. فيكون المعنى: ثلاث مدن. وهذا ما ذهب إليه البلاذري أعلاه.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بمراكب كثيرة فركبوها ليلاً وهربوا. فلمّا أصبح سفيان - وكان يبيت كل ليلة في حصنه ويحصّن المسلمين فيه، ثم يغدو على العدو - وجد الحصن الذي كانوا فيه خالياً فدخله. وكتب بالفتح إلى معاوية، فأسكنه معاوية جماعة كبيرة من اليهود. وهو الذي فيه المينا اليوم. ثم إنّ عبد الملك بناه بعدُ وحَصَّنه.

٣٤٧ - قالوا: وكان معاوية يوجّه في كل عام إلى أطْرابُلُس جماعة كثيفة من الجُند يشحنها بهم فإذا انغلق البحر قفل وبقي العامل في جُمَيِّعَة منهم يسيراً، فلم يزل الأمر فيها جارياً على ذلك حتى ولِي عبد الملك، فقد في أيامه بطريق من بطارقة الروم ومعه بشرٌ منهم كثير، فسأل أن يُعطى الأمان على أن يقيم بها ويؤدّي الخراج، فأجيب إلى مسألته. فلم يلبث إلا سنتين أو أكثر منهما بأشهر حتى تحيَّن قفول الجند عن المدينة، ثم أغلق بابها وقتل عاملها وأسر مَن معه من الجند وعِدَّة من اليهود ولحق وأصحابه بأرض الروم. فقدر المسلمون بعد ذلك عليه في البحر وهو متوجّه إلى ساحل للمسلمين في مراكب كثيرة فقتلوه، ويقال: بل أسروه وبعثوا به إلى عبد الملك فقتله وصلبه.

وسمعت من يذكر أن عبد الملك بعث إليه من حَصَره بأطرابلس، ثم أخذه سلماً وحمله إليه فقتله وصلبه. وهرب من أصحابه جماعة فلحقوا ببلاد الروم.

وقال عليّ بن محمد المدائني، قال عتاب بن إبراهيم: فتح أطرابلس سفيانُ بن مُجيب، ثم نقض أهلها أيام عبد الملك، ففتحها الوليد بن عبد الملك في زمانه.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣٤٨ - وحدّثني أبو حفص الشامي، عن سعيد، عن الوَضين قال: كان يزيد بن أبي سفيان وجّه معاوية إلى سواحل دمشق، سوى أطرابلس فإنه لم يكن يطمع فيها. فكان يقيم على الحصن اليومين والأيام اليسيرة، فربّما قوتل قتالاً غير شديد، وربما رمى ففتحها.

قال: وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحلٍ رتّبوا فيها على قدر من يحتاج لها إليه من المسلمين، فإن حدث في شيء منها حَدَثٌ من قِبل العدو، سرّبوا إليها من الأمداد. فلما استُخلفَ عثمان ابن عفّان رضي اللّه عنه كتب إلى معاوية يأمره بتحصين السواحل وشَحْنها، وإقطاع من يُنْزله إيّاها القطائعَ ففعل.

٣٤٩ - وحدثني أبو حفص عن سعيد بن عبد العزيز قال: أدركتُ الناس وهم يتحدّثون أنّ معاوية كتب إلى عمر بن الخطاب بعد موت أخيه يزيد يصف له حال السواحل. فكتب إليه في مرمّة[1] حصونها، وترتيب المُقاتلة فيها، وإقامة الحرس على مناظرها، واتخاذ المواقيد لها. ولم يأذن له في غزو البحر. وأنّ معاوية لم يزل بعثمان حتى أذن له في الغزو بحراً، وأمره أن يُعدّ في السواحل إذا غزا أو أغزى جيوشاً سوى من فيها من الرتب، وأن يقطع الرتب أرضين، ويعطيهم ما جلا عنه أهله من المنازل، ويبني المساجد ويكبّر ما كان ابتني منها قبل خلافته. قال الوَضين: ثم إن الناس بعدُ انتقلوا إلى السواحل من كلّ ناحية.

---

(١) أي ترميمها وإصلاحها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣٥٠ - حدثني العبّاس بن هشام الكلبي، عن أبيه، عن جعفر ابن كلاب الكلابي أن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ولّى عَلْقمَةَ بن عوف ابن الأحوص بن جعفر بن كلاب حوران، وجعل ولايته من قِبَل معاوية. فمات بها. وله يقول الحُطيئة العبسي - وخرج إليه فكان موته قبل وصوله، وبلغه أنه في الطريق يريده، فأوصى له بمثل سهم من سهام ولده -:

فما كان بيني لو لقيتُك سالماً وبين الغنى إلاّ ليالٍ قلائلُ

٣٥١ - وحدثني عدة من أهل العلم منهم جارٌ لهشام بن عمّار أنه كانت لأبي سفيان بن حرب أيام تجارته إلى الشام في الجاهلية ضيعة بالبلقاء تدعى بقُبَّش، فصارت لمعاوية وولده. ثم قُبضت في أول الدولة وصارت لبعض ولد أمير المؤمنين المهدي رضي اللّه عنه. ثم صارت لقوم من الزيّاتين يُعرفون ببني نعيم من أهل الكوفة.

٣٥٢ - حدثني عباس بن هشام، عن أبيه، عن جدّه قال: وَفَدَ تميم ابن أوس أحد بني عبد الدار بن حبيب من لخم، ويكنّى أبا رقية، النبي (صلعم) ومعه أخوه نُعَيْم بن أوس، فأقطعهما رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم حبرى وبيت عينون ومسجد إبراهيم عليه السلام، فكتب بذلك كتاباً. فلما افتتح الشام دفع ذلك إليهما. فكان سليمان بن عبد الملك إذا مرّ بهذه القطعة لم يعرج وقال: أخاف أن تصيبني دعوة النبي (صلعم).

٣٥٣ - وحدّثني هشام بن عمّار أنه سمع المشايخ يذكرون أنّ عمر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بن الخطاب، عند مقدمه الجابية من أرض دمشق، مرّ بقوم مجذّمين من النصارى، فأمر أن يُعطوا من الصدقات، وأن يُجرى عليهم القوت.

وقال هشام: سمعت الوليد بن مسلم يذكر أن خالد بن الوليد شرط لأهل الدير الذي يُعرف بدير خالد شرطاً في خراجهم بالتخفيف عنهم حين أعطوه سُلّماً صعد عليه. فأنفذه لهم أبو عُبيدة.

ولما فرغ أبو عبيدة من أمر مدينة دمشق سار إلى حمص فمر ببَعْلَبَكّ، فطلب أهلها الأمان والصلح، فصالحهم على أن أمّنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وكتب لهم:

« بسم اللّه الرحمن الرحيم. هذا كتاب أمانٍ لفلان بن فلان وأهلِ بعلبك رومِها وفُرْسها وعَرَبها، على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودورهم، داخل المدينة وخارجها، وعلى أرحائهم، وللروم أن يرعوا سرحهم ما بينهم وبين خمسة عشرة ميلاً، ولا ينزلوا قرية عامرة. فإذا مضى شهر ربيع وجمادى الأولى ساروا إلى حيث شاؤوا. ومَنْ أسلم منهم فله مالنا وعليه ما علينا، ولتجّارهم آن يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد التي صالحنا عليها، وعلى مَن أقام منهم الجزية والخراج. شهد اللّه، وكفى باللّه شهيدا».

فتوح البلدان ١/ ١٤١ - ١٥٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ٨ -

ابن الفقيه الهمذاني
أبو بكر أحمد بن محمد بن اسحاق

(توفي بعد سنة ٢٩٠ هـ/ ٩٠٣م)

ابن الفقيه الهمذاني محدّث وجغرافي من القرن الثالث الهجري، ولد في همذان وارتحل وكتب الكثير عن بلدان العالم الإسلامي وخاصّة عن بلاد العرب والحجاز. ألّف كتاب «البلدان» بعد وفاة الخليفة المعتضد، ودوّن فيه أخبار رحلاته فوصف فيه الأرض والبحار في الصين والهند وبلاد العرب التي خصّ منها البصرة والكوفة، فضلاً عن مصر والمغرب وباقي العراق. ومما يدلّ على أهمية المعلومات التي ذكرها ابن الفقيه في مصنّفه أن المقدسي وياقوت الحموي قد ذكراه كثيراً في كتبهما واقتبسا منه.

وقد جعل ابن الفقيه كتابه هذا في خمسة مجلّدات كما روى المقدسي، أو ألف ورقة كما ذكر ابن النديم. والمعروف أنه ألّفه حوالي عام ٢٧٩ هـ وأتمّه قرابة عام ٢٩٠ هـ. غير أن هذا الكتاب لم يصل إلينا، بل وصلنا مختصر له بعنوان «مختصر كتاب البلدان»، لعلي بن جعفر الشيرازي من أبناء القرن الخامس الهجري، وقد أتمّه عام ٤١٣ هـ.

ويذكر المقدسي أن الهمذاني لم يذكر في كتابه إلا المدائن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العظمى، وأنه أدخل في كتابه ما لا يليق به من العلوم، مرّة يُزهّد في الدنيا وتارة يُرغّب فيها، ودفعة يُبكي وحيناً يُضحك ويُلهي. ويقول إن كتابه قد أخذ أحسن ما في كتاب البلدان للجاحظ. ويضيف ابن النديم أن الهمذاني سلخ أيضاً كتاب الجيهاني.

ونجد في المختصر الذي وصل إلينا معلومات جغرافية وتاريخية وسياسية واقتصادية بالإضافة إلى مسالك البلدان.

هذا وقد قام بنشر المختصر المستشرق الهولندي العلاّمة دى خُوْيّه De Goeje في مطبعة بريل في لايدن بهولاندة عام ١٨٨٥م، مع دراسة وحواشٍ بالعربية واللاتينية.

ومن هذه الطبعة أخذنا النصّ الخاص بدمشق.

المصادر:

الفهرست لابن النديم ١/ ٢١٩

أحسن التقاسيم للمقدسي ٣، ٤

جهود المسلمين في الجغرافيا لنفيس أحمد ٤٨

تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ١/ ١٦٢

مدينة دمشق عند الجغرافيين للمنجّد ٢٢

تاريخ آداب اللغة العربية لبروكلمان، الذيل الأول ٤٩٥

الرحلة والرحّالة المسلمون لأحمد رمضان ٨٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القول في الشام

قال: سمّيت الشام شاماً لأنها شأمة للكعبة. وقالوا: سمّيت لشامات بها حمر وسود.

وقال ابن الأعرابي: إذا جزْتَ جبلي طيّء، يقال لأحدهما سَلْمَى وللآخر أجَأ، فقد أشأمت حتى تجوز غَزّة ودمشق وفلسطين والأردن وقنّسرين من عمل العراق. وقالوا: الشام من الكوفة إلى الرملة، ومن بالس إلى أيْلَة.

وقال عبد الله بن عمرو: قُسم الخير عشرة أجزاء، فجُعل منها تسعة أعشار في الشام وجزء في سائر الأرضين.

وقال وهب الذِّماري: إن اللّه جلّ وعزّ أوحى إلى الشام أنّي باركتك وقدّستك وجعلْتُ فيك مقامي وإليك محشرَ خلقي، فاتّسعي لهم كما يتّسع الرّحم، إن وُضع فيه اثنان وسعهما وإن وُضع ثلاثة وسعهم، وعيني عليك من أوّل السنين إلى آخر الدهر مَنْ عَدِمَ فيك المال لم يعدم الخبز والزيت.

وروى جُبَير بن نُفَير الحضرميّ قال: شكتْ الشام إلى ربّها فقالت: يا ربّ! فضّلت الأرضين عليّ بالجبال والأنهار وتركتني كظهر الحمار. فأوحى اللّه عزّ وجلّ إليها أن المسكين يشبع فيك وعيني عليك ويدي إليك.

وفي خبر آخر قال: قال رسول اللّه (صلعم): الشام صفوة اللّه من بلاده، وإليه يجتبي صفوتَه من عباده، يا أهل اليمن عليكم بالشام فإن صفوة اللّه من الأرض الشام.

وقال الحجّاج لابن القريّة: أخبرني عن مُكْران. قال: ماؤها وَشَل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتمرها دَقَل وسهلها جبَل ولصُّها بَطَل، إن كثر بها الجيش جاعوا وإن قلّوا ضاعوا. قال: فأخبرني عن خُراسان. قال: ماؤها جامد وعدوّها جاهد وبأسهم شديد وشرّهم عنيد. قال: فأخبرني عن اليَمَن. قال: أرض العَرَب وأهل بيوتات وحَسَب. قال: فأخبرني عن عُمَان. قال: حرُّها شديد وصيدها عتيد وأهلها بهائم ليس بها رائم. قال: فأخبرني عن البحرين. قال: كناسة بين مصرين، كثيرة جبالها جهلة رجالها. قال: فأخبرني عن مكّة. قال: رجالهم علماء وفيهم جَفاء، ونساؤها كُساة عُراة. قال: فأخبرني عن المدينة. قال: رسخ العلم فيها ثم علا، وانتشر منها في الآفاق. قال: فأخبرني عن اليَمَامة. قال: أهل جفاء وجَلَد وثَروة وعدد وصبر ونُكر. قال: فأخبرني عن البَصرة. قال: حرُّها شديد وماؤها مالح وحِبها صالح، مأوى كلّ تاجر وطريق كلّ عابر. قال: فأخبرني عن واسط. قال: جنَّة بين حَماة وكَنَّة تحسدانها، ودِجلة والزاب يتباريان عليها. قال: فأخبرني عن الكوفة. قال: سفلت عن برد الشام وارتفعت عن حرّ اليمن، فطاب ليلها وكثُر خيرها. قال: فأخبرني عن الشام. قال: عروس في نسوة جلوس كلُّهن يزُفْنَها و يرفدنها.

وقال عديّ بن كعب في قوله ﴿ ونَجَّيناه ولُوطاً إلى الأرض التي بَاركنا فيها للعَالمين﴾[1]، قال: الشام.

مختصر كتاب البلدان ٩١-٩٣

(١) سورة الأنبياء - ٢١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القول في دمشق

قال الكلبيّ: دِمَشْقُ بناها دمشق بن قاني بن مالك بن أرفخشذ ابن سام بن نوح(١).

وقال الأصمعيُّ: أُخِذَت دمَشقُ من دَمْشَقوها، أي أسرعوها.

وقال كعب في قول اللّه عزّ وجلّ ﴿والتِّينِ﴾ قال: الجبل الذي عليه دمشق، ﴿والزَّيتُون﴾ قال: الذي عليه بيت المقدس. ﴿وطُورِ سِينين﴾ حيث كلّم اللّه موسى عليه السلام، ﴿والبَلَد الأمين﴾ مكّة.

وقال كعب: مَرْبَضُ ثورٍ في دمشق خير من دار عظيمة بحمص.

قال في قوله عزّ وجلّ ﴿لم يُخْلَق مثلُها في البلاد﴾ قال: دمشق.

وقال كعب: معقل المسلمين من الملاحم دمشق، ومعقلهم من الدجّال نهر أبي فُطْرُس، ومن يأجوج و مأجوج الطور.

وقال هارون الرشيد للحسين بن عمّار: ولّيتُك دمشق وهي جنّة تحيط بها غُدُرٌ تتكفّأ أمواجُها على رياض كالدراري، فما بَرِحَ بك التعدّي لأرفاقهم أن جعلتَها أجرد من الصخر وأوحش من القفر.

قال: واللّه يا أمير المؤمنين ما قصدتُ لغير التوفيق من جهته، ولكنّي رأيت أقواماً ثَقُلَ الحقُّ على أعناقهم فتفرّقوا في ميادين التعدّي، ورأوا المراغمة بترك العمارة أوقع بأضرار السلطان، وأرادوا بذلك المشقّة على الولاة، وإنْ سَخِط أمير المؤمنين فقد أخذ بالحظّ الأوفر من مساءتي.

فقال الرشيد: هذا أجزلُ كلام سُمع من خائف.

---

(١) للتوسّع في هذه الروايات أنظر كتابنا: معالم دمشق التاريخيّة، ص ٢٠٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال الأصمعي: جِنانُ الدنيا ثلاث: غُوطةُ دمشق، ونهر بَلْخ، ونهر الأبُلَّة. وحُشوش الدنيا ثلاثة: الأبُلَّة، وسِراف، وعُمان.

وقال: عروسا الدنيا الرَيُّ ودمشق.

وقال يحيى بن أكثم: ليس في الأرض بقعة أنزه من ثلاث بقاع: قهندز سمرقند، وغوطة دمشق، ونهر الأبُلَّة.

وقال المدائنيّ: دمشقُ مدينتها الغوطة، وكورَها إقليم سَنير، وكورة جُبَيْل، وبَيْروت، وصَيْدا، وبَثَنِيَّة، وحوران، وجولان، وظاهر البلقاء، وجبرين الغَوْر، وكورة مآب، وكورة جِبَال، وكورة الشَّرَاة، وبُصْرَى، وعَمّان، والجابية، والقريتان، والحولَة، والبقاع. والسواحل منها ستَّة: صيدا وبيروت وأطرابُلُس وعَرْقَة وصُور. منبرها إلى دمشق وخَرَاجُها إلى الأردن. وخَرَاج دمشق أربع مائة ألف ونيّف. ودمشق هي أربعة أخماس صلح، وخُمس عَنْوةً وهو خُمْس خالد بن الوليد. وفُتحت سنة ١٤ في رجب للنصف منه في خلافة عمر بن الخطّاب.

وقال البُحْتُري في دمشق:

أمّا دمَشْقُ فَقَدْ أبْدَتْ مَحَاسِنَها ... وقَدْ وَفَى لَكَ مُطْرِيْهَا بما وَعَدَا

إذا أرَدْتَ مَلأتَ العَيْنَ من بَلَدٍ ... مُسْتَحْسَنٍ وزمانٍ يُشْبِهُ البَلَدَا

تُمْسِي السَّحابُ على أجْبالها فِرَقاً ... ويُصْبِحُ النَّوْرُ في صَحْرائها بَدَدَا

فلَسْتَ تُبْصِرُ إلا واكفاً خَضِلاً ... أو يانعاً خَضِراً أو طائراً غَرِدا

كأنَّما القَيْظُ ولَّى بَعْدَ جَيْئَتِهِ ... أوِ الرَّبِيعُ دَنَا من بَعْدِ ما بَعُدَا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال أبو تمّام :

لولا حدائــقُـها وأنّــي لا أرَى عَرْشاً هناك ظَنَنْتُها بَلْقِيسا
وأرى الزَّمانَ غَدَا عليك بوَجهـه جَذْلانَ بَسَّاماً وكانَ عَبُوسا
قد نُوِّرَتْ تلك البُطُونُ وَقُدِّسَتْ تلك الظُّهُورُ بقُرْبِهِ تَقْدِيسا

وقالوا عـجائبُ الدنيـا أربعة : قنطرة سَنْجَة ، ومنارة الإسكندريَّة ، وكنيسة الرُّها ، ومسجد دمشق .

ولمدينة دمشق ستَّة أبواب : باب الجابية ، وباب الصغير ، وباب كَيْسان ، وباب الشَرْقيّ ، وباب توما ، وباب الفَراديس . هذه التي كانت على عهد الروم .

ولمّا أراد الوليد بن عبد الملك بناء مسجد دمشق دعا نصارى دمشق فقال : إنّا نريد أن نزيد في مسجدنا كنيستكم هذهونعطيكم موضعَ كنيسة حيث شئتم . فحذّروه ذلك ، وقالوا : إنّا نجدُ في كتابنا أنّه لا يهدِمُها أحدٌ إلا خُنِق . فقال الوليد : فأنا أوّلُ من يهدمها . فقام عليها ، وعليه قِباءٌ أصفر فهدمها بيد ، وهدمَ الناس معه ، ثم زاد في المسجد .

فلمّا هدمها كتب إليه ملك الروم : إنَّكَ هدمتَ الكنيسة التي رأى أبوك تركها ، فإن كان حقّاً ما عملتَ فقد أخطأ أبوك ، وإن كان باطلاً فقد خالفتَ أباك .

فلم يعرف الوليدُ جواباً . فاستشار الناس وكتب إلى العراق ، فقال الفرزدق : أجبْه بقول اللّه جلّ وعَزّ : ﴿ وداوُدَ وسُلَيْمَانَ إذْ يَحكُمان في الحَرْثِ إذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ وكُنّا لحُكمهم شاهدين ﴾ ففَهَّمنا سُلَيْمان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكُلاً آتَيْنا حُكْماً وعِلْماً ﴾[1]. وكتب إليه الوليد بذلك فلم يُجبْه.

والوليد ممن زاد في المساجد وبناها، فبنى المسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد قُبا، ومسجد دمشق. وأوّل من حفر المياه في طريق مكّة إلى الشام، وأوّل من عمل البيمارستانات للمرضى. وقدم الشام وأخذ في بناء مسجد دمشق، وأنفق عليه خراج المملكة سبع سنين ليكون ذكراً له. وفرغ من المسجد في ثماني سنين، فلمّا حُمل إليه حساب نفقات مسجد دمشق على ثمانية عشر بعيراً أمر بإحراقها.

قال في كتاب المسالك والممالك: أنفق على مسجد دمشق خراج الدنيا ثلاث مرّات، وبلغ ثمن البقل الذي أكله الصنّاع في مدّة أيام العمل ستة آلاف دينار.

وهذا المسجد مقعد عشرين ألف رجل، وإنّ فيه ستّ مئة سلسلة ذهب للقناديل.

قال زيد بن واقد: وكّلني الوليد على العمّال بمسجد دمشق فوجدنا فيه مغارة، فعرَّفنا الوليدَ ذاك. فنزله في الليل فإذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة أذرع في مثلها، وإذا فيها صندوقٌ وفيه سفط مكتوب عليه: هذا رأس يحيى ابن زكرياء. فرأيناه، فأمر به الوليد أن يُجعل تحت عمود معيَّن، فجُعل تحت العمود المُسَفَّط الرابع الشرقيّ، ويُعرف بعمود السكاسك.

وقال أبو مهران: رأس يحيى بن زكرياء تحت عمود السكاسك.

وقال زيد أيضاً: رأيتُ رأس يحيى بن زكريّاء حين وُضع تحت العمود، والبشرة والشعرة لم تتغيّر.

---

(١) - سورة الأنبياء: ٧٨ - ٧٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قالوا: فمن عجائب مسجد دمشق أن لو بقي الرجل فيه مئة سنة لكان يرى فيه في كلِّ وقت أعجوبة لم يرها قبل.

وقال كعب: ليُبْنَيَنَّ في دمشق مسجدٌ يبقى بعد خراب الأرض أربعين عاماً.

والمئذنة التي بدمشق كانت ناطوراً للروم في كنيسة يحيى. فلمّا هدم الوليدُ الكنائس وأدخلها المسجد تُركت على حالها. وهدم الوليد عشرة كنائس واتَّخذها مسجداً.

ولمّا ولِي عمر بن عبد العزيز الخلافة قال: إنّي أرى في مسجد دمشق أموالاً أُنفقت في غير حقّها، فأنا مُسْتَدْرِك ما استدركتُ منها ورادُّها إلى بيت المال، أنزعُ هذا الرّخام والفسيفساء وأطيّنه، وأنزعُ هذه السلاسل وأصيّر بدلها حبالاً. فاشتدّ ذلك على أهل دمشق، فخرج أشرافُها إليه، وكان فيهم يزيد بن سمعان وخالد بن عبد اللّه القسريّ. فقال خالد لهم: دعوني والكلام. قالوا: تكلَّمْ.

فلمّا دخلوا عليه قال له خالد: بلغَنا أنك هممتَ بمسجدنا بكذا وكذا.

قال: نعم.

قال: واللّه ما ذلك لك.

قال: فلمن ذاك؟ لأمِّك الكافرة؟ وكانت أمّه نصرانيّة.

فقال: إن تكُ كافرة فقد ولدتُ مؤمناً.

فاستحيى عمر وقال: صدقتَ.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وورد على عمر رسل الروم، فدخلوا مسجد دمشق لينظروا إليه، فرفعوا رؤوسهم إلى المسجد فنكّس رئيس منهم رأسه واصفرّ لونه، فقالوا له في ذلك. فقال: إنّا كنا معاشرَ أهل روميّة نتحدّث أن بقاء العرب قليل، فلمّا رأيتُ ما بنوا علمتُ أن لهم مدّة سيبلغونها. فأُخبر عمر بذلك فقال: أرى مسجدكم هذا غيظاً على الكفّار. فترك ما همّ به من أمر المسجد.

والمسجد مبنيٌّ بالرخام والفسيفساء، مسقّف بالسّاج، منقوش باللازورد والذهب، والمحرابُ مرصّع بالجواهر المثمّنة والحجارة العجيبة.

وبنى معاوية الخَضْراءَ بدمشق في زمن عثمان بن عفّان. وأُمِّر على الشام وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، واستُخْلِفَ وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وتوفّي لثمان وسبعين سنة.

وهو أول من اتّخذ المحاريبَ والمقاصيرَ والشُّرَط والحَرَس والخصيان، وأصْفى الأموال. وقد أنكر قوم بناء الدور والأبنية والنفقة والتبذير عليها، وهذا طلحة بنى داره بالآجرّ والقَصّة[1] وأبوابه ساج[2]، وبنى عثمان بن عفّان بالحجارة المنقوشة المطابقة وخشب الصنوبر والساج، وحُمل له من البصرة في البحر، ومن عدن في البحر، وحُمل له القَصّة من بطن نَخْل.

وبنى الزُّبير أربعة دور: داراً بمصر وأخرى بالاسكندرية، وأخرى بالكوفة وأخرى بالبصرة، وأنفق زيد بن ثابت على داره ثلاثين ألف درهم.

---

(١) القَصّة هي الجصّ المستخدم في البناء والزخرفة.

(٢) الساج شجر ينمو في آسيا الجنوبية، ويستخدم خشبه الثمين في القصور.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال كعب الحَبْر : أربع مدائن من مدائن الجنَّة : حمص ودمشق وبيت جِبْرين وظُفار اليمن . وأجناد الشام أربعة : حمص ودمشق وفلسطين والأردن .

ولقي كعب رجلاً فقال : مِن أين أقبل الرجل ؟

قال : من الشام .

قال : أفمن أهله أنت ؟

قال : نعم .

قال : فلعلَّك من الجند الذين ينظر اللّه إليهم كل يوم مرتين ؟

قال : وأيُّ جندٍ هُم ؟ قال : جند فلسطين .

قال : لا .

قال : فلعلَّك من الجند الذين يلقون اللّه في الثياب الخضر ؟

قال : وأيُّ جُنْدٍ هم ؟

قال : جند الأردن .

قال : لا .

قال : فلعلّك من الجند الذين يستظلُّون تحت العرش يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه ؟

قال : وأيُّ جندٍ هم ؟

قال : جند دمشق .

قال : لا .

قال : فلعلَّك من الجند الذين يبعث اللّه منهم سبعين ألف نبي ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال: وأيُّ جند هم ؟

قال: جند حمص.

قال: لا.

قال: فمن أين أنت ؟ قال: من قنّسْرين. قال: ليست تلك من الشام، تلك قطعة من الجزيرة يفرق بينهما الفُرات.

مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني، ص ١٠٤ - ١٠٩

وبدمشق لُبْنان، وهو الجبل الذي يكون عليه العُبّاد والأبدال، وعليه من كلّ الثمر والفواكه، وفيه عيون كثيرة عذبة. وهو متّصل ببلاد الروم.

وعند باب دمشق جَيْرُون، وهي من بناء سليمان بن داود. وهي سقيفة مستطيلة على عُمُد، وحولها مدينة تُطيف بجيرون. قال أبو عُبيدة: الجيرون عمود عليه صومعة، وهو من البناء المذكور، ومن البناء المذكور الأبْلَق الفَرْد والوَرْد أيضاً قصرٌ بناه سليمان بن داود.

مختصر كتاب البلدان ١١٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

[قول لهارون الرشيد]

وكان هارون الرشيد يقول: الدنيا أربعة منازل، قد نزلت منها ثلاثة: أحدها دمشق، والآخر رقّة، والثالث الريّ. ولم أر في هذه المواضع موضعاً أحسن من السَّربان، شارعاً في مدينة الريّ في وسطه نهر وعن جنبيه أشجار ملتفّة متّصلة، وفيما بينها سوق. والمنزل الرابع سمرقند.

مختصر كتاب البلدان ٢٧٣

[أبيات للحسن بن هانىء]

ألا كُلُّ بَصْرِيٍّ يَرَى أنَّما العُلَى ... مُكَمَّمَةٌ سُحْقٌ لَهُنَّ جَرِينُ
فإنْ يَغْرِسُوا نَخْلاً فإنَّ غِراسَنا ... ضِرابٌ وطَعْنٌ في النُّحُورِ سَخِينُ
فإنْ أكُ بَصْرِيّاً فإنَّ مُهاجَرِي ... دِمَشْقُ ولكنَّ الحَدِيثَ شُجُونُ
لأزْدِ عُمَانَ بالمُهَلَّبِ ثَرْوَةٌ ... إذا افْتَخَرَ الأقْوامُ ثمّ تَلِينُ
وبَكْرٌ تَرَى أنَّ النُّبُوَّةَ أُنْزِلَتْ ... على مَسْمَعٍ في الرَّحْمِ وهو جَنِينُ
ولا لُمْتُ قَيْساً في قُتَيْبَةَ بَعْدَها ... وفَخْراً به إنَّ الحَدِيثَ فُنُونُ

مختصر كتاب البلدان ١٢٢

صورة العراق

للبلخي (المتوفى سنة ٣٢٢ هـ — ٩٣٤ م)

هو احمد بن سهل البلخي المعروف بأبي زيد البلخي المتوفى عام ٣٢٢ (٩٣٤م)، جغرافي عربي ولد في خراسان من عائلة بلخ، ودرس الفلسفة هو والكندي وتعاقبا على زعامة بيت الحكمة في بغداد. ومن مؤلفاته كتاب صور الاقاليم، ويعد من اهم الكتب الجغرافية التي ظهرت في العالم الى كتاب صفة "صور الاقاليم" وذلك على غرار ما كان عليه هذا العلم عند اليونان. وقد ذكر ياقوت صاحب كتاب المعجم ستة باسماء ٤٣ معجماً له اقتدت كلها في عهد متقدم، اما المخطوط خليفة فلم يصل الى علمه سوى ستة من هذه المصنفات ومن بينها كتاب "صور الاقاليم". وقد ذكره كل من المقدسي ٣٧٥ هـ (٩٨٥م) وابن حوقل المتوفى ٧٨٠ هـ (١٣٣٩م). وقد نسب الى البلخي كتاب "البدء والتاريخ" مخطوطاً مذيلاً القديم، اي ما قبل القرن الثالث عشر الهجري الى ابو زيد مطهر بن طاهر المقدسي (طبع من هذا الكتاب خمسة اجزاء ومعها ترجمة الى اللغة الفرنسية بقلم الاستاذ كلمان هوار، باريس ١٨٩٩/١٩٠٦).

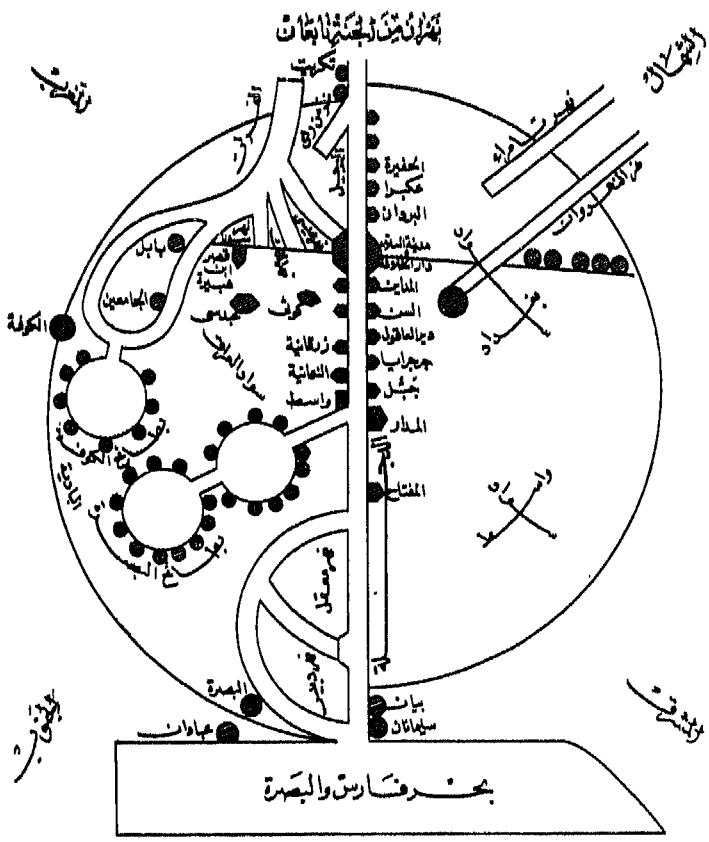

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ٩ -

اليعقوبي
أحمد بن أبي يعقوب بن واضح
(توفي حوالي ٢٩٢ هـ/ ٩٠٥ م)

هو أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، رحّالة ومؤرّخ وجغرافي شهير، كان جدّه من موالي الخليفة المنصور، ولد ببغداد وغادرها في صغره فعاش طويلاً بأرمينيا وخراسان وزار الهند وفلسطين، وأقام في كنف الطولونيين أثناء مقامه الطويل بمصر والمغرب.

وقد ألّف اليعقوبي « كتاب البلدان »، الذي جمع فيه كل ما رأى وسمع، وهو أقدم الكتب التي وصلت إلينا من نوعه. وقد ذكر في مقدّمته: «إنّي عُنيت في عنفوان شبابي وعند احتيال سنّي وحدّة ذهني بعلم أخبار البلدان ومسافة ما بين كل بلد وبلد، لأني سافرت حديث السن واتّصلت أسفاري ودام تغرّبي، فكنت متى لقيت رجلاً من تلك البلدان سألته عن وطنه ومِصْره... وزرعه ما هو وساكنيه مَن هم عرب أو عجم... وشرب أهله ولباسهم ودياناتهم ومقالاتهم...».

هذا وقد صدرت لكتاب البلدان طبعات عديدة في أوروبا بالقرن الماضي، أحسنها طبعة المستشرق الهولندي دى خُوْيَه De Goeje في لايدن بهولاندة عام ١٨٩٢م بذيل كتاب « الأعلاق النفيسة » لابن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رسته، مع مقدّمة باللغة اللاتينيّة. وبعدها صدرت ترجمة نموذجية للكتاب باللغة الفرنسية قام بها المستشرق الفرنسي گاستون ڤييت G. Wiet عام ١٩٣٧م تحتوي على تعليقات وافية.

ولليعقوبي كتب أخرى جيّدة، منها: تاريخ اليعقوبي، انتهى به إلى خلافة المعتمد على الله العبّاسي، نشره المستشرق الهولندي مارتن هوتسما M. T. Houtsma في لايدن بهولاندة. ومنها أيضاً: أخبار الأمم السالفة، ومشاكلة الناس لزمانهم.

هذا وقد اختلف المؤرّخون في سنة وفاته، فقال ياقوت: سنة ٢٨٤ هـ، ويُرجَّح أنها بعدعام ٢٩٢ هـ، لورود أبيات لليعقوبي نظمها في هذه السنة المذكورة.

ويفيدنا نصّ اليعقوبي بذكر المسافات بين مدن الشام، وفتح دمشق، وكور جُنْد دمشق، ومنازل القبائل العربية فيها، وقيمة خراج دمشق.

المصادر:

معجم الأدباء لياقوت الحموي ٥/ ١٥٣
تاريخ اليعقوبي: مقدّمة دى خُوْيّه، طبعة لايدن
الحضارة الإسلامية لآدم متز ٢/ ٣
تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوڤسكي ١/ ١٥٨
مدينة دمشق عند الجغرافيين للمنجّد ١٧
الرحلة والرحّالة المسلمون لأحمد رمضان ٧١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دمشق

ومن حمص إلى مدينة دمشق أربع مراحل، فالمرحلة الأولى جُوسِيَة وهي من حمص، والثانية قارا وهي أول عمل جند دمشق، والثالثة القُطيفة وبها منازل لهشام بن عبد الملك بن مروان، ومنها إلى مدينة دمشق. ومَنْ سلك من حمص على طريق البريد أخذ من جوسية إلى البقاع ثم إلى مدينة بعلبَكّ، وهي إحدى مدن الشام الجليلة، وبها بنيان عجيبٌ بالحجارة، وبها عينٌ عجيبةٌ يخرج منها نهر عظيم، وداخل المدينة الأجنّة والبساتين. ومن مدينة بعلبك إلى عقبة الرُّمان، ثم إلى مدينة دمشق.

ومدينة دمشق مدينة جليلة قديمة. وهي مدينة الشام في الجاهليّة والإسلام، وليس لها نظير في جميع أجناد الشام في كثرة أنهارها وعماراتها. ونهرها الأعظم يُقال له بَرَدا.

افتُتحت مدينة دمشق في خلافة عمر بن الخطّاب سنة أربع عشرة. افتتحها أبو عبيدة بن الجرّاح من بابٍ لها يُقال له باب الجابية صلحاً بعد حصار سنة، ودخل خالد بن الوليد من باب لها يُقال له باب الشرقي بغير صلح. فأجاز أبو عبيدة الصلح في جميعها، وكتبوا إلى عمر بن الخطاب فأجاز ما عمل به أبو عُبيدة.

وكانت دمشق منازل ملوك غسّان، وبها آثار لآل جَفْنَة(١).

---

(١) آل جفنة: ملوك الغساسنة في ديار الشام قبل الإسلام، وهم سلالة عربية يمنيّة الأصل. أشهر ملوكهم الحارث بن جَبَلَة، و المُنذر بن الحارث، وآخرهم جَبَلَة بن الأيهم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والأغلب على مدينة دمشق أهل اليمن، وبها قومٌ من قيس.

ومنازل بني أميّة وقصورهم أكثر منازلها، وبها خضراء مُعاوية وهي دار الإمارة. ومسجدها الذي ليس في الإسلام أحسن منه بالرخام والذهب بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان في خلافته.

ولجند دمشق من الكور:

الغوطة، وأهلها غسّان وبطون من قيس، وبها قوم من ربيعة.

وحَوران، ومدينتها بُصرى، وأهلها قوم من قيس من بني مُرَّة، خلا السُّويدا فإن بها قوماً من كلب.

والبَثنيَّة، ومدينتها أذرعات، وأهلها قوم من يمن ومن قيس.

والظاهر، ومدينتها عمّان.

والغَور، ومدينتها أريحا. وهاتان المدينتان بأرض البلقاء، وأهلهما قوم من قيس، وبها جماعة من قريش...

وجِبال، ومدينتها عَرَنْدَل، وأهلها قوم من غسّان ومن بَلْقَيْن وغيرهم.

ومَآب وزُغَر، وأهلها أخلاط من الناس، وبها القرية المعروفة بمُؤتَة التي قُتل فيها جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رَواحة.

والشَّراة، ومدينتها أذْرُح، وأهلها موالي بني هاشم، وبها الحُمَيْمَة منازل علي بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب وولده.

والجَوْلان، ومدينتها بانياس، وأهلها قوم من قيس أكثرهم بنو مُرَّة، وبها نفر من أهل اليمن.

وجبل سَنِير، وأهلها بنو ضبَّة، وبها قوم من كَلْب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبَعْلَبَكّ، وأهلها قوم من الفُرس، وفي أطرافها قوم من اليمن.
وجبل الجَلِيل، وأهلها قوم من عامِلَة.
ولُبنان صَيْدَاَ، وبها قوم من قريش ومن اليمن.

كتاب البلدان لليعقوبي، طبعة لايدن، ص ٣٢٥

ولجُند دمشق من الكُور على الساحل كورة عِرْقَة، ولها مدينة قديمة فيها قوم من الفرس ناقلة، وبها قوم من ربيعة من بني حَنِيفَة.

ومدينة أطْرابُلُس وأهلها قوم من الفُرس، كان معاوية بن أبي سفيان نقلهم إليها. ولهم مينا عجيب، يحتمل ألف مركب.

وجُبَيْل وصيدا وبَيْروت، وأهل هذه الكور كلّها قوم من الفرس نقلهم إليها معاوية بن أبي سفيان.

وكلّ كورة دمشق افتتحها أبو عبيدة بن الجرّاح في خلافة عمر ابن الخطّاب سنة أربع عشرة.

وخَرَاج دمشق سوى الضياع يبلغ ثلثمائة ألف دينار.

كتاب البلدان لليعقوبي، طبعة لايدن، ص ٣٢٧

صورة الجزيرة
للبلخي
(المتوفى سنة ٣٢٢ هـ، ٩٣٤م)

تحقيق الدكتور احمد سوسه

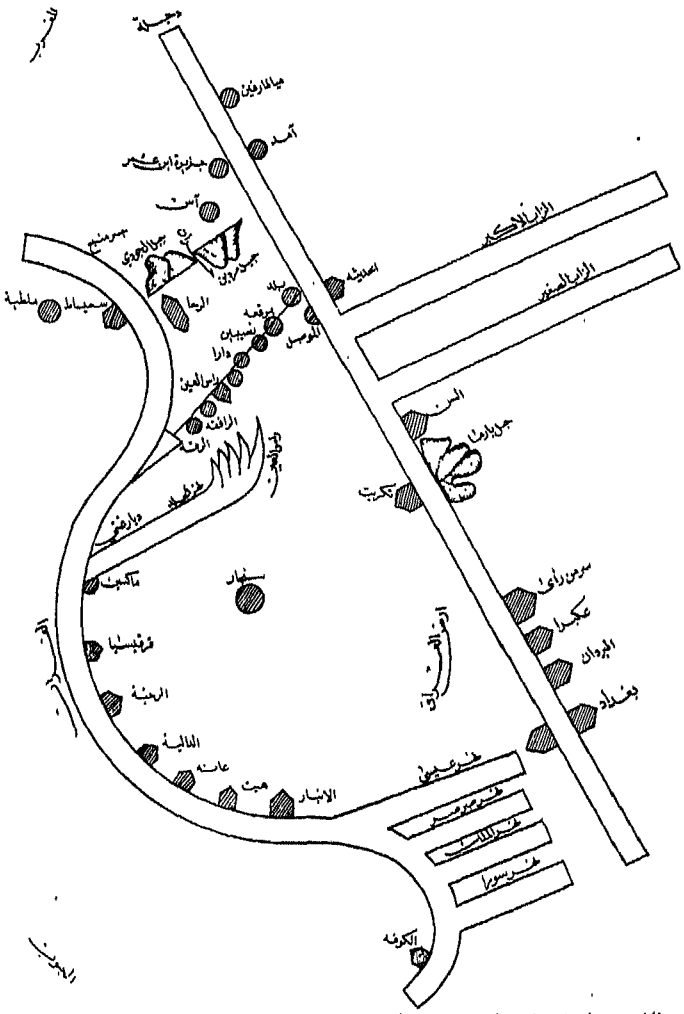

ملحوظة : ان الخارطة الاصلية كانت مقلوبة على الطريقة القديمة اعنى الشمال فيها في اسفل الخارطة والجنوب في اعلاها وقد عكسناها اجارة للطريقة الحديثة في رسم الخرائط لتسهيل المراجعة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ١٠ -

ابن رُسْتهْ
أبو علي أحمدَ بن عمر
(أواخر القرن الثالث الهجري)

ابن رُسْته، أحمد بن عمر، أحد الرحّالين الجغرافيين الفُرس في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، لا يُعرف عن حياته إلا القليل وهو أن أصله من أصفهان وأنه كان بالحجاز على ما يظهر في عام ٢٩٠ هـ. تأثّر في كتابته بالفرغاني وأبي معشر وكذلك بابن خُرداذبه صاحب كتاب «المسالك والممالك»، كما يُعتبر ابن رسته أستاذاً للكوزموغرافي القزويني. وأما اسم «رُسته» بالفارسية فيعني: شجاع.

صنّف ابن رُسته موسوعته «الأعلاق النفيسة» وهو مقيم في مسقط رأسه أصفهان، ولذا فقد كان لها الحظّ الأوفر من عنايته عندما شرع في وصف المدن والممالك. ويعتقد كراتشكوفسكي أنه قد ألّف كتابه هذا ما بين عامي ٢٩٠ - ٣٠٠ هـ. ولم يتبقّ من هذه الموسوعة الضخمة سوى الجزء السابع في الفلك والجغرافيا، وهو مخطوط فريد محفوظ في مكتبة المتحف البريطاني بلندن.

وتبدأ الجغرافيا الطبيعية لديه بوصف مكّة والكعبة مع تحديد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأبعاد بدقّة متناهية، ويلي وصف المدينة قسم مكرّس لجميع صنوف العجائب من العالمين النباتي والحيواني وللمباني الشهيرة، ثم يعقب هذا وصف البحار والأنهار والأقاليم السبعة بما فيها من المدن المشهورة. وفي وصفه للأقطار يُفرد أهمية خاصّة لإيران، ولكنّه لا يُهمل الكلام على بلاد العرب الجنوبيّة ومدينة صنعاء ومصر والعراق، وبخاصّة بغداد عاصمة الخلافة العبّاسيّة. وفي ما يتعلّق بالقسطنطينيّة عاصمة البيزنطيين يحدّثنا عن موكب الأمبراطور المهيب إلى أياصوفيا، ثم يصف الكنيسة نفسها وساعتها القديمة المشهورة.

ويبدو أن ابن رسته لم يتعمّق في رحلاته ببلاد الشام، إذ أن ما ذكره عنها لا يتعدّى المعطيات التعريفيّة العامّة، ولا يبعد أن يكون منقولاً.

وأول من نشر فقرات من الأعلاق النفيسة كان المستشرق خڤولسون Chwolson مع ترجمة روسيّة عام ١٨٦٩م، ثم قام بنشر مخطوطة المتحف البريطاني بأكملها المستشرق الهولندي دى خُوْيّه De Goeje مع مقدّمة باللغة اللاتينية وحواش بالعربيّة واللاتينيّة، وطبعت في مطبعة بريل في لايدن بهولاندة عام ١٨٩٢م، وذلك ضمن سلسلة «المكتبة الجغرافيّة العربيّة» التي يشرف عليها المستشرق المذكور (الجزء ٧). كما نشر مع نصّ الأعلاق النفيسة كتاب البلدان لأحمد بن علي بن واضح الكاتب اليعقوبي.

ومن هذه الطبعة أخذنا النصوص المتعلّقة بدمشق.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المصادر :

الأعلاق النفيسة لابن رسته ، مقدّمة دى خُوْيّه باللاتينيّة
تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوڤسكي ١/ ١٦٤
دراسات الإستشراق في أوروپا وروسيا لبارتولد ١/ ١٩٤٠
الرحلة والرحالة المسلمون لأحمد رمضان ٨٩
الإدريسي في الجغرافيا العربيّة لأحمد سوسة ١/ ٩٩

C. Brockelmann: Geschichte der Arabische Litteratur; Supp. I, S. 406.

Blachère: R.: Extraits des principaux géographes arabes du moyen age. Paris, 1932. p. 34 - 44.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من فصل
صفة الأنهار

ومخرج نهر الأُرُنْد[1] من أرض جبال دمشق مما يلي البريّة، ويجتاز بأنطاكيّة ومصبّه في بحر الشأم. ومخرج بَرَدَى نهر دمشق من جبال دمشق ويجتازها فيسقيها ويسقي غُوطة دمشق ثم ينصبّ في بحيرة دمشق.

الأعلاق النفيسة ٩١

كور الشأم

حلَب وقنّسرين وأنطاكية وشَيْزَر وحَماة وحمص وفامِيَة وبعلبكّ ودمشق والطبريّة والرملة وايليا. ومن الشأم كور تسمّى الثغور الشاميّة، وهي أذَنَة والمَصِّيصة وطَرَسُوس وعين زَرْبة والهارونيّة والكنيسة السوداء والعواصم وأنطاكية وتِيزِين وقُورُس ومَنْبِج ودلُوك ورَعْبَان. وكان أيام عمر بن الخطّاب (رضه) يرد عليه وفود اليمن وغيرهم من العرب، فإذا اجتمعوا أمّر عليهم والياً وأمضاهم إلى ناحية الشأم، فجنّد عمر الشأم أربعة أجناد متفرّقة في أيدي عمّاله، وهم: أبو عبيدة بن الجرّاح، وخالد بن الوليد،

---

(١) أي نهر العاصي، وهو اسمه باللاتينيّة Orontes.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص. فبقيت الشأم على ذلك التجنيد حتى زاد فيها يزيد بن معاوية قنّسرين، وكانت من أرض الجزيرة. فصارت أجناد الشام أربعة: جند فلسطين وهي الرّملة، وجند الأردن وهي الطبريّة وجند دمشق وجند قنّسرين.

الأعلاق النفيسة ١٠٧

الطريق من دمشق إلى المدينة

من دمشق إلى منزل، ثم إلى منزل آخر، ثم إلى ذات المنازل، ثم إلى سَرْغ، ثم إلى تَبُوك، ثم إلى المُحْدَثَة، ثم إلى الأقْرَع، ثم إلى الجُنَينة، ثم إلى الحِجْر، ثم إلى وادي القرى، ثم إلى الرحبة، ثم إلى ذي المروة، ثم إلى المرّ، ثم إلى السويداء، ثم إلى ذي خشب، ثم إلى المدينة.

الأعلاق النفيسة ١٨٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

BIBLIOTHECA GEOGRAPHORUM ARABICORUM

EDIDIT

M. J. DE GOEJE.

PARS SEPTIMA.

KITÂB AL-AʿLÂK AN-NAFÎSA VII

AUCTORE

Abû Alî Ahmed ibn Omar

IBN ROSTEH

ET

KITÂB AL-BOLDÂN

AUCTORE

Ahmed ibn abî Jakûb ibn Wâdhih al-Kâtib

AL-JAKÛBÎ.

EDIT. SECUNDA.

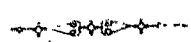

LUGDUNI BATAVORUM.
APUD E. J. BRILL.
1892.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ١١ -

البَلْخي
أبو زيد أحمد بن سهل
(توفي ٣٢٢ هـ/ ٩٣٤م)

أحمد بن سهل البلخي، أحد الكبار الأفذاذ من علماء الإسلام، جمع بين الشريعة والفلسفة والأدب والفنون. ولد حوالي عام ٢٣٥ هـ بإحدى قرى بَلْخ في خُراسان، وارتحل إلى بغداد مركز الحضارة آنذاك فأقام بها ثماني سنوات، وتتلمذ فيها على الكندي الفيلسوف المعروف (توفي بعد ٢٥٦ هـ)، وأصبح من ألزم تلامذته. ثم عاد إلى بلخ فعرض عليه أميرها أحمد بن سهل بن هاشم الوزارة فأباها وتولّى بدلاً عنها وظيفة الكاتب في ديوان الأمير. وأقام في بلخ حتى وفاته عام ٣٢٢ هـ.

نحا البلخي في تأليفه منحى الفلاسفة، وارتبط اسمه بما يقرب من ستين مصنّفاً لا نعرف منها إلا أسماءها، وقد عدّدها ابن النديم في فهرسته. على أن أخصّ هذه المؤلّفات هو مصنّفه الجغرافي «صور الأقاليم»، وهو كتاب في المسالك والممالك والجغرافيا، وفيه سبق علماء البلدان في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإسلام كافّة إلى استعمال رسم الأرض. وقد وضع البلخي مصنّفه هذا في سنيّ شيخوخته، حوالي عام ٣٠٨ هـ، وتسمّيه بعض المصادر: «أشكال البلاد» أو «تقويم البلدان». وكتابه يشبه الأطلس مصحوباً ببعض التوضيحات، وقد انتقده المقدسي في مقدمة كتابه «أحسن التقاسيم».

ومن مؤلّفات البلخي الأخرى، كما عدّدها ابن النديم: «أقسام العلوم» و «شرائع الأديان» و«كتاب السياسة الكبير» و«كتاب السياسة الصغير» و«الأسماء والكنى والألقاب» و«ما يصحّ من أحكام النجوم» و«أقسام علوم الفلسفة» و«كتاب الشطرنج» و«أدب السلطان والرعيّة» و«كتاب القرود» و«فضائل بلخ» و«أخلاق الأمم» و«نظم القرآن». كما نُسب إليه «كتاب البدء والتاريخ»، والواقع أنه لمطهّر بن طاهر المقدسي.

ومن كتاب «صورة الأقاليم» مخطوطة نادرة قديمة في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بالمدينة المنوّرة (آلت اليوم إلى مكتبة الملك عبد العزيز آل سعود). وفي المخطوط ذكر لدمشق، ونصّه يشبه تماماً ما ورد عند الإصطخري وابن حوقل، فكأنّهما أخذا عنه.

ولمّا كان الكتاب ما يزال مخطوطاً فقد نقلنا النصّ المتعلّق بدمشق منه عن نشرة أستاذنا الدكتور صلاح الدين المنجّد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المصادر :

أحسن التقاسيم للمقدسي ٤
الفهرست لابن النديم ١/ ١٩٨
معجم الأدباء لياقوت ٣/ ٦٤ - ٨٦
تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ٢٢
لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ١/ ١٨٣
الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي ٢/ ١٥
الحضارة الإسلامية لآدم متز ٢/ ٢
تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ١/ ١٩٨
جهود المسلمين في الجغرافيا لنفيس أحمد ٥٢
مدينة دمشق عند الجغرافيين للمنجّد ٥٢
C. Brockelmann: Geschichte der Arabische Litteratur; Supp. I, S. 408.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دمشق

مدينة دمشق، وهي من أجلّ مدن الشام. وهي في أرضٍ واسعة بين جبال، تحفّ بها مياه كثيرة وأشجار وزروع متّصلة. وتسمى تلك البقعة «الغُوطة»، عرضها مرحلة في مرحلتين، ليس بالمغرب[1] مكان أنزه منه. ومخرج مائها من تحت كنيسة يُقال لها «الفيجة»[2]، وهو أول ما يخرج مقداره ارتفاع ذراع في عرض بَاع، ثم يجري في شُعُبٍ دَجْلَةٍ، ثم يُستنبط منه نهر «المزّة» ونهر «القناة»[3]. ويظهر عند الخروج من الشِعّب بموضع يُقال له «النَّيْرَب»[4]. ويُقال إنه المكان الذي قال اللّه عزّ وجلّ [فيه]: ﴿وآويناهما إلى ربوةٍ ذاتِ قرارٍ ومَعين﴾. ثم يبقى من هذا الماء عمود النهر فيُسمّى «بَرَدَا»، وعليه قنطرة في وسط مدينة دمشق لا يعبره الراكب غزارةً وكثرة[5]، فيُفضي إلى قرى الغوطة، ويجري الماء في عامّة دورهم وسِككهم وحمّاماتهم.

---

(١) قوله «بالمغرب» لأن الشام تقع إلى الغرب من موطنه بلاد فارس.

(٢) المعروف أن منبع عين الفيجة الشهير غربي دمشق يخرج من بناء معبد وثني مبني بالحجر.

(٣) الواضح أنه يريد ما عُرف فيما بعد بـ: نهر القنوات، أحد الفروع الرئيسيّة السبعة لبردى.

(٤) النَيْرَب كلمة سريانية (نَرْبَا)، وتعني الوادي. وكان بدمشق نيربان، الأعلى والأدنى، وكانا من أجمل متنزّهات دمشق، موقعهما اليوم عند حيّي المالكي وأبي رمّانة الحديثين. أنظر كتابنا: معالم دمشق التاريخيّة، ٥٣٠.

(٥) هذا يعني أن عمقه بدمشق آنذاك كان يتجاوز المترين ونيّف، فتأمّل.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبها مسجدٌ ليس في الإسلام أعمر ولا أكبر بقعة منه. وأمّا الجدار والقبّة التي فوق المحراب عند المقصورة فمن بناء الصابئين ولصَلاتهم، ثم صار في أيدي اليونانيين، فكانوا يعظّمون فيه دينهم. ثم صار إلى اليهود وملوك عَبَدة الأوثان، فقُتل في ذلك الزمان يحيى بن زكريّا عليه السلام، ونُصب رأسه على باب هذا المسجد باب يسمَّى باب جيرون، نُصب رأس يحيى بن زكريا، ثم نُصب رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات اللّه عليه.

فلمّا كان الوليد بن عبد الملك عمّره، فجعل أرضه رخاماً مفروشاً، وجعل وجه جدرانه رخاماً مجزّعاً، وأساطينه رخاماً. ومحرابه مذهّب مرصّع بالجواهر، ودَوْرُ السقف كلّه ذهب مُكْتَب، كما يطوف بترابيع جدار المسجد. ويُقال إنه أنفق بسببه وحده خَراج الشام خمس سنين.

وسطحه رصاص، وسقفه خشب مذهب. وإذا أرادوا غسله بُثق الماء إليه فدار على رقعة المسجد، حتى إذا فجر منه انبسط فيه على جميع الأركان سواء.

صورة الأقاليم للبلخي، مخطوطة عارف حكمة

نقلاً عن د. صلاح الدين المنجّد

صورة ديار العرب

للبلخي (المتوفى سنة ٣٢٢هـ ٩٣٤م)

تحقيق الدكتور أحمد سوسه

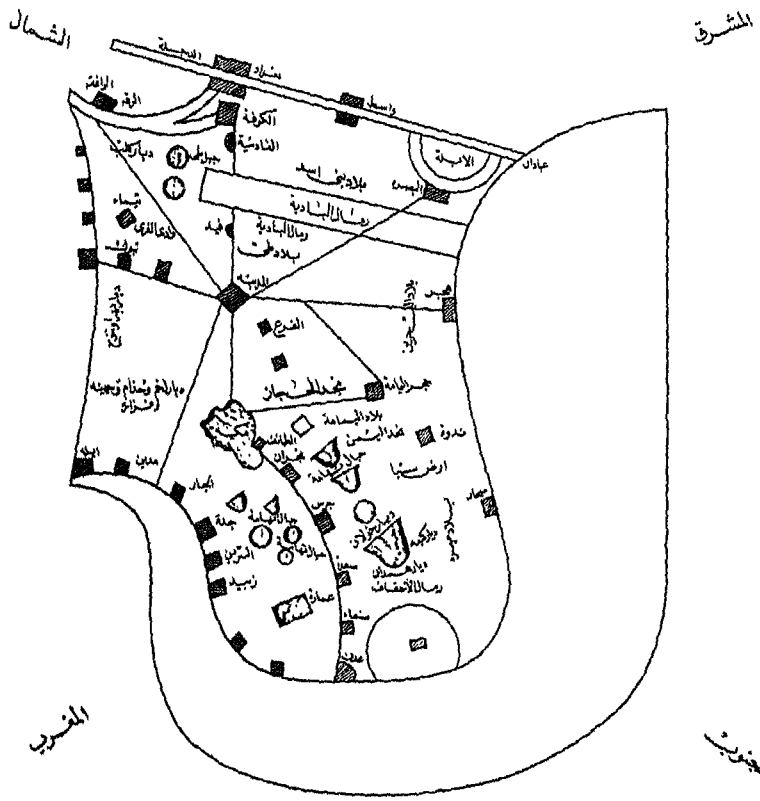

ملحوظة: ان الخارطة الاصلية كانت مقلوبة على الطريقة القديمة اعني الشمال فيها في اسفل الخارطة والجنوب في اعلاها وقد عكسناها مجاراة للطريقة الحديثة وهو الخط الشمالي الذي يشير الى الشمال.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ١٢ -

ابن عبد ربّه الأندلسي
أبو عمر أحمد بن محمّد
(توفي ٣٢٨ هـ/ ٩٤٠م)

أحمد بن محمد بن عبد ربّه بن حبيب، الأديب الإمام القرطبي صاحب «العقد الفريد». ورغم أنه لم يكن برحّالة أو جغرافي فقد آثرنا أن نستقي منه ما ذكره عن الشام ودمشق، على اعتبار أن مصنّفه الآتي ذكره يُعتبر من الموساعات الأدبية الأندلسية التي تطرّقت إلى أخبار البلدان، ومنها أخبار المشرق وآدابه، والمشرق في عُرف أهل المغرب والأندلس يعني ديار الإسلام الواقعة شرقي حوض البحر الأبيض المتوسط، كمصر والشام والحجاز والعراق.

ولد ابن عبد ربّه بقرطبة عام ٢٤٦ هـ، وكان جدّه الأعلى (سالم) مولى لهشام بن عبد الرحمن بن معاوية. ونشأ في هذه المدينة وتثقّف ثقافة عصره، من فقه وتفسير وحديث ونحو وعروض وتاريخ وأدب، واتّصف بصفات الندمان من حبّ للموسيقى وغرام بالصوت الحسن. وظهر أثر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك كلّه في كتابه العقد، ففيه الثقافة الدينية واضحة وكذلك الثقافة الأدبية، فضلاً عن الميل إلى الغناء والموسيقى.

كان ابن عبد ربّه أديباً شاعراً، يقول فيه الفتح بن خاقان: إنه «حجّة الأدب، وإن له شعراً انتهى منتهاه، وتجاوز سِماك الإحسان وسُهاه». ويقول ابن سعيد: «إمام أهل أدب المائة الرابعة، وفرسان شعرائها في المغرب كلّه». ولم يُعرف عن ابن عبد ربّه رحلة إلى المشرق، فعلمه الواسع بأدب المشرق جاءه من أشياخه الذين أخذ عنهم بالأندلس، ومن طول قراءته للكتب. وقد عاب معاصروه العقد بأنه عُني بأدب المشرق، وكان الأولى به أن يُعنى بأدب الأندلس منشئه ومرْباه.

وعلى أي حال يبقى «العقد الفريد» واحداً من أشهر كتب الأدب، ويُصنَّف بين كتب المختارات أو المحاضرات، كالبيان والتبيين للجاحظ والكامل للمبرِّد والأمالي للقالي وعيون الأخبار لابن قتيبة. سمّاه صاحبه «العقد» وأضاف إليه النسّاخ المتأخّرون لفظ «الفريد»، وتصوّره عقداً مؤلّفاً من خمس وعشرين جوهرة كريمة، ثم الواسطة، وبعدها خمس وعشرون مماثلة للأولى. ومنها الزبرجدة الثانية التي أخذنا منها نص الشام.

قام بنشر الكتاب أحمد أمين وأحمد الزين وابراهيم الأبياري، وصدر في ٦ أجزاء عن لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٤٠.

المصادر:

العقد الفريد لابن عبد ربّه، مقدّمة أحمد أمين للجزء الأول
الأعلام لخير الدين الزركلي ١/ ١٩٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من كتاب الزّبرجدة الثانيّة
في بيان طبائع الإنسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان

الشـــامات

أول حدّ الشام من طريق مصر رَفَح، ثم يليها غَزّة، ثم الرَّملة رملة فلسطين، ومدينتها العظمى فلسطين وعسقلان، وبها بيت المقدس. وفلسطين هي الشَّام الأولى.

ثم الشام الثانية، هي الأردن، ومدينتها العظمى طبريّة، وهي التي على شاطىء البحيرة، والغور واليرموك. وبيسان فيما بين فلسطين والأردن.

ثم الشام الثالثة الغُوطة، ومدينتها العظمى دمشق، ومن سواحلها طرابلس.

ثم الشام الرابعة وهي أرض حمص.

ثم الشام الخامسة وهي قنّسرين، ومدينتها العظمى - حيث السلطان - حلب. وبين قنّسرين وحلب أربعة فراسخ، وساحلها أنطاكية مدينة عظيمة على شاطىء البحر، في داخلها البساتين والأنهار والمزارع، وهي مدينة حبيب النجّار، الذي جاء من أقصى المدينة يسعى[1]. وبها مسجد يُنسب إلى حبيب النجّار.

---

(١) إشارة إلى قصة المؤمن الذي قتله قومه الكافرون، في القرآن الكريم، سورة ياسين - ٢٠.

ومن ثغور الشام الخامسة : المَصيصة و طَرَسوس ونهرا جيحان وسيحان .

العقد الفريد، ٦/ ٢٥١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

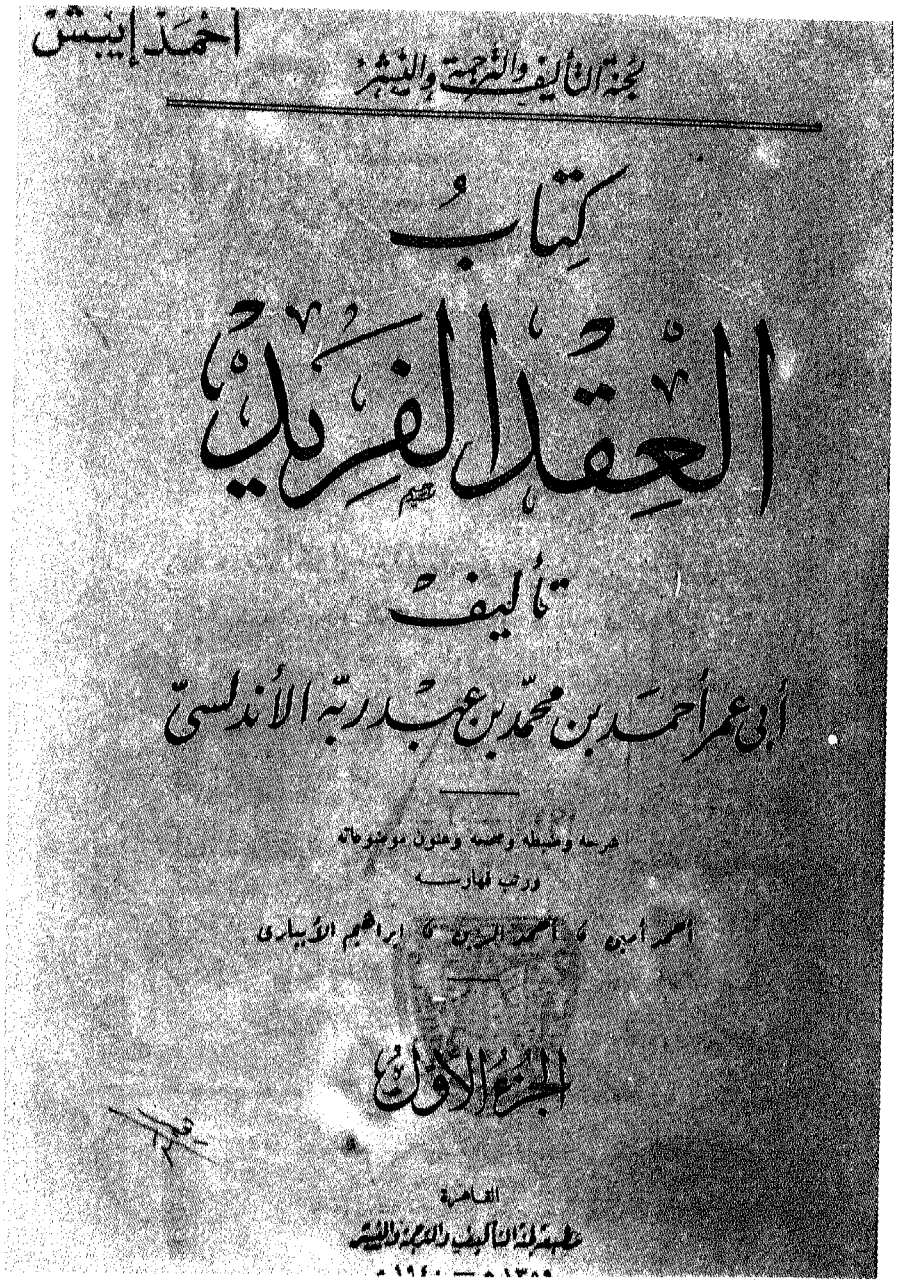

احمد إيبش

لجنة التأليف والترجمة والنشر

كتاب العقد الفريد

تأليف

أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

ضبطه وصححه وعلق حواشيه

ورتب فهارسه

أحمد أمين — أحمد الزين — إبراهيم الأبياري

الجزء الأول

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠ م

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ١٣ -

الهَمْداني
الحسن بن أحمد، ابن الحائك
(توفي ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥م)

هو الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني، نسبة إلى قبيلة هَمْدان المعروفة في اليمن جنوب الجزيرة العربيّة. ويخلط الكثيرون بينه وبين ابن الفقيه الهَمَذاني (أو الهَمَذاني) الذي تقدّم ذكره والذي تعود نسبته إلى مدينة هَمَذان بإيران (وتُكتب: هَمَذان). كما عُرف الحسن بن أحمد الهَمْداني أيضاً بلقب «ابن الحائك» أو «النسّابة» أو «ابن ذي الدُّمَينة» أو «لسان اليَمَن» لأنه تمكّن من حلّ رموز الكتابة العربيّة القديمة.

وتاريخ ولادته مجهول، ولا يُعرف عن حياته الكثير، وقد أفادنا بمعلومات شخصيّة عن نفسه في كتابه «الإكليل». والمعروف عنه أنه ولد بصنعاء ونشأ بها وزار مكّة وطاف البلاد، ثم اختار «رَيْدَة» وطنا له بعد صنعاء، وفي أواخر حياته اختار الإقامة في «صَعْدة»، وهي من ديار خولان قضاعة، وانتهت حياته نهاية مأساويّة حينما سُجن في زمن الإمام الزيدي أحمد الناصر عام ٣١٥ هـ بسبب مكيدة حاكها له خصومه. وقضى نحبه في سجن صنعاء عام ٣٣٤ هـ.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي مصنّفات الهَمْداني ترتسم أمام ناظرينا شخصيّة فذّة لعالم موسوعي وشاعر مُجيد، فقد كان ذا معرفة واسعة في محيط الجغرافيا الفلكيّة وما يتعلّق بها من علوم رياضيّة، وكان على معرفة جيّدة بآثار بطليموس الجغرافي اليوناني. ولم يكن الهَمْداني جغرافيّاً فحسب، بل وخبيراً كبيراً بأنساب العرب وتاريخ الجزيرة العربيّة، وخاصّة آثارها القديمة. ومما يدعو إلى الدهشة حقّاً أنه استطاع حلّ رموز الكتابة العربية القديمة.

ويقدّم مصنّفه « الإكليل» الذي يقع في عشرة أجزاء الدليل الساطع على سعة معارفه، فقد أفرغ فيه جُماع معرفته بالأنساب والتاريخ والآثار وآداب الحِمْيَريين القديمة وأساطيرهم. وقد نال هذا الكتاب من عناية المستشرقين وعلماء الغرب (وأولهم مولر Müller) الشيء الكثير.

والكتاب الآخر الذي اشتهر به الهَمْداني هو «صفة جزيرة العرب»، الذي يجب أن تُفرد له مكانة خاصّة وفريدة بين مصنّفات الأدب الجغرافي العربي، والذي يعتبره المستشرق الألماني شپرنگر Sprenger إلى جانب كتاب المقدسي «أحسن التقاسيم» أقيم ما أنتجه العرب في الجغرافيا. وقد اعتمد فيه الهَمْداني على ملاحظاته الشخصية في وصفه لليَمَن، وعلى ما استقاه من الرحّالين والجغرافيين فيما يتعلّق بوصف بقيّة الجزيرة العربيّة. وقد كرّس القسم الأكبر من كتابه لوصف جزيرة العرب، وذلك على خمسة أبواب رئيسيّة في وصف تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن. وتحتلّ اليمن ومخاليفها بالطبع مكان الصدارة في كتابه، وفيها يُفصّل في الكلام على مساكن قبيلته هَمْدان. وقد أفرد في كتابه قسماً خاصّاً لذكر عجائب اليمن وخصائصها التي لا يشاركها فيها بلد آخر، وبآخره أرجوزة جغرافيّة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا يزال كتاب الهَمْداني هذا محتفظاً إلى أيامنا الحاضرة بقيمته العلميّة، وأما في مجال الجغرافيا الإقليمية فإنه يمتاز على جميع مصنّفات القرنين الثالث والرابع للهجرة، ولا يبزّه في القرن الرابع إلا أثر واحد، ذلكم هو كتاب « الهند» للبيروني العظيم.

وأوّل من نبّه إلى كتاب «صفة جزيرة العرب» كان المستشرق الألماني مولر Müller، ونشره محققاً في لايدن بهولاندة عام ١٨٨٤م. ثم توالت طبعاته العربية، ومنها في مطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٩٥٣ بتحقيق محمد ابن عبد الله النجدي، ومنها نشرة محمد محيي الدين عبد الحميد بالقاهرة أيضاً عام ١٣٧٣ هـ.

غير أن بلاد الشام لم تنل من عناية الهَمْداني الكثير، ولم يخصّها في كتابه المذكور بأكثر من الإلماحة السريعة التي ننقلها أدناه. وقد رجعنا فيها إلى طبعة الأستاذ محمد بن علي الأكوَع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٨٣.

المصادر:

معجم الأدباء لياقوت الحموي ٣/ ٩
إنباه الرواة للقفطي ١/ ٢٩٧
صفة جزيرة العرب للهَمْداني، مقدّمة الأكوَع
كتاب الإكليل للهَمْداني، مقدّمة الأكوَع
تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ١/ ١٧٠
الرحلة والرحّالة المسلمون لأحمد رمضان ٩٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من فصل
معرفة أطوال مدن العرب
المشهورة وعروضها

وعرض مكّة عن الفزاري ثلاث وعشرون درجة وثُلث، وعن حَبَش إحدى وعشرون درجة وهو أقمن[1]، وطولها عن الفزاري مئة وستّ عشرة درجة من المشرق، وعن حبش مئة وعشر، وقال بعض أهل صنعاء: مئة وعشرون، وهو أحرى.

وقال حبش: طول المدينة مئة وثماني عشرة، وعرضها درج الميل أربع وعشرون، والفزاري يقول: عرضها ثلاثون إلا كسراً، وذلك ما لا يوجد.

وقال: إن طول بيت المَقْدِس مئة وسبع وعشرون، وعرضه إحدى وثلاثون درجة وخمسة أسداس درجة.

دمشق: طولها مئة وأربع وعشرون درجة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة.

صفة جزيرة العرب للهمداني ٨٢

---

(١) أقمن: أي أجدى وأجدر، والقمين: الجدير.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ١٤ -

سُهراب

سهراب بن سرابيون

(توفي بعد ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م)

جغرافي من أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع للهجرة، يكاد لا يُعرف شيء عن حياته، ويحيط باسمه الكثير من الغموض والإبهام، وفي المخطوطة الفريدة لمصنّفه الموجودة بالمتحف البريطاني (التي نُسخت عام ٧٠٩ هـ) يدعو المؤلّف نفسه في المقدّمة باقتضاب: «أفقر الورى سُهراب». وقد ساد خلط كبير حول اسمه، فأطلق عليه البعض اسم «ابن سرابيون» خالطين بينه وبين الطبيب المعروف في ذلك العصر، بينما دعاه البعض الآخر «أبا الحسن ابن البهلول». ويتّجه الباحث نفيس أحمد إلى أن سهراب مصري الأصل من الأقباط، كما ينبغي لنا الإشارة إلى أن اسم «زوهراب» اسم مألوف تماماً في الثقافة الأرمنيّة. ولا يزال الشك يعتور عنوان الكتاب نفسه وهو «كتاب عجائب الأقاليم السبعة»، ذلك أن الكتاب لا يوجد به أي ذكر للعجائب. وربما كان ناشر الكتاب (فون مْجيِك) محقّاً في قوله إن اسم الكتاب هو ببساطة «كتاب الأقاليم السبعة».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذا الكتاب هو الأثر الوحيد المعروف عن سُهراب، وهو ينمّ بوضوح كبير على أن مؤلّفه كان أحد جغرافيي المدرسة اليونانيّة أصحاب الزيوج (وهي الجداول الجغرافيّة المبيّنة لقيم الطول والعرض بالدرجات والدقائق)، وهو فوق ذلك نسخة مطوّرة لكتاب العلاّمة الخوارزمي الشهير «صورة الأرض»، الذي كان تأثيره على العلوم العربية هائلاً في ذلك العصر. ويرى كراتشكوفسكي أن كتاب سُهراب يكمّله ويقترب منه اقتراباً شديداً، بحيث يمكن اعتباره مسوّدة أخرى للخوارزمي. ويبدو ذلك جليّاً في النصّ الذي سنقدّمه عن دمشق، وفيه يعتمد سهراب على زيج الخوارزمي فينقل منه قيم الطول والعرض للأقاليم والمدن (بحسب طريقة حساب الجُمَّل)، ويعطي لكل مدينة رقماً تسلسلياً بحسب تصنيفه الخاص ثم يردفه بالرقم الوارد في تصنيف الخوارزمي.

أما تاريخ تأليف الكتاب فيمكن تحديده وفقاً للاستقراء الداخلي لمادّته بين عامي ٢٨٩ - ٣٣٤ هـ، أي قبل دخول البويهيين بغداد. ويكشف المؤلّف عن معرفة جيّدة بالعراق بحيث لا يرقى الشك إلى أنه عاش بها، وكان معاصراً لأبي زيد البلخي مؤسّس المدرسة الكلاسيكية للجغرافيين العرب، ولكنه يمثّل اتجاهاً مخالفاً لمذهب تلك المدرسة، فمصنّفه استمرار للمذهب اليوناني في الجغرافيا ولو بطريقة تخالف بعض الشيء طريقة «صورة الأرض» للخوارزمي.

وتتمثّل الأهمية الرئيسيّة لكتاب سهراب في اتساع المادة المستقاة من المصادر العربية، ويبدو أن غرضه كان إضافة مادّة جديدة إلى ما جمعه الخوارزمي قبل قرن مضى. وينطبق ذلك بالدرجة الأولى على الأنهار والجبال، وكذلك وصف المؤلّف شبكة قنوات بغداد بصورة وافية مما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استرعى أنظار المستشرق الفرنسي گي لوسترانج Guy Le Strange في القرن الماضي وزوّده بمادّة جوهريّة في وضع وصفه التخطيطي بأرض السواد وقتذاك، فنشر ما يتعلّق بأنهار العراق في المجلة الآسيوية (J.A.) عام ١٨٩٥. كما تزوّدنا مقدّمة كتاب سهراب بتفاصيل جوهريّة تساعد في وضع خارطة مسطّحة مربّعة اعتماداً على مادّة الكتاب نفسه.

ويعود الفضل في نشر كتاب «عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة» إلى المستشرق النمساوي هانز فون مْجيك Hans Von Mzhik، الذي نشره في مطبعة آدولف هُولتس هاوزن بڤيينّا عام ١٩٢٩، مع مقدّمة باللغة الألمانية. وعن هذه الطبعة أخذنا النص المتعلّق بدمشق.

وقبل اختتام هذا البحث يجدر بنا الإشارة إلى معاصر الخوارزمي الأصغر، وهو فيلسوف العرب الشهير يعقوب الكندي (المتوفى حوالي عام ٢٦٠هـ). غير أن كتابه «رسم المعمور من الأرض» الذي أشار إليه المسعودي قد فُقد مع الأسف ولم يصل إلينا.

المصادر:

عجائب الأقاليم السبعة لسُهراب، مقدّمة فون مجيك
تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوڤسكي ١/ ١٠٣- ١٠٥
جهود المسلمين في الجغرافيا لنفيس أحمد ٤٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من فصل
الإقليم الرابع
وهو بابل والعراق

وله من الكواكب الشمس ومن البروج الثور والميزان

العدد دقائق	العدد عند الخوارزمي*	أسماء المدن	العرض درج دقائق	الطول درج
[١٧٤]	(٢٦٢)	مدينة بيروت	يط ل	لد o
[١٧٥]		مدينة آمد	سد م	لد م
[١٧٦]	(٢٦٠)	مدينة صور على البحر	نط يه	لح م
[١٧٧]	(٢٦٩)	مدينة دمشق على جبل **	س o	لب o
[١٧٨]	(٢٦٣)	مدينة جُبيل	س o	لد o
[١٧٩]	(٢٦٦)	مدينة طرابلس على البحر	س له	لد o
[١٨٠]	(٢٦٧)	مدينة اللاذقيّة	سا o	لح ل
[١٨١]	(٢٧٠)	مدينة حمص	سا o	لد o

عجائب الأقاليم السبعة ٢٤ - ٢٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من فصل
الأنهار الكبار المنعوتة

معرفة نهر بردى وهو نهر دمشق

وذلك أن أوّله من جبل الثلج عند طول (سا ٥) وعرض (لح ٥)*** [١٥٥٨] يمرّ ماداً متّصلاً بجبل الثلج فيمرّ الجبل والنهر مادّين إلى مدينة دمشق، ويسقي هذا النهر ضياع دمشق والغوطة ويصبّ في جوف دمشق في بحيرة فيها.

---

* - أثبت سهراب هذه الأرقام التسلسليّة في جداوله الجغرافيّة (زيجه) تحت عنوان: العدد كما تجده في كتاب صورة الأرض للخوارزمي. أنظر: عجائب الأقاليم السبعة ١٢.

** - شرح المؤلّف في مقدّمة كتابه طريقة اختزاله لقيم درجات ودقائق الطول والعرض للمدن الواردة في زيجه، وذلك بحسب اسلوب «حساب الجُمَّل» المعروف في علوم الروحانيّات وفي التأريخ الشعري. وعلى ذلك يكون حساب الموقع الجغرافي لمدينة دمشق كما يلي: الطول = ٦٠ درجة، حيث (س = ٦٠)؛ والعرض = ٣٢ درجة، حيث (لب = ٣٠ + ٢). وأما الرمز 0 الوارد في حقل الدقائق فهو رمز قيمة الصفر.

*** - القيمة حسب ما تقدّم أعلاه تعادل: الطول = ٦١ درجة و٥ دقائق، حيث (سا = ٦٠+١، ٥ = ٥)؛ العرض = ٣٨ درجة و٥ دقائق، حيث (لح = ٣٠ + ٨).

كتاب عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة

وكيف هيئة المدن وإحاطة البحار بها وتشقق أنهارها
ومعرفة جبالها وجميع ما وراء خط الاستواء والطول
والعرض بالمسطرة والحساب والعدد والبحث على جميع ما ذكر

تصنيف

سُهراب

قد اعتنى بنسخه وتصحيحه

هانس فون مژيك

طبع في مدينة ڤينا الجليلة
بمطبعة آدولف هولزهوزن
سنة ١٣٤٧ هـ وهي ١٩٢٩ م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ١٥ -

قُدامة بن جعفر
أبو الفَرَج الكاتب البغدادي
(توفي حوالي ٣٣٧ هـ/ ٩٤٨م)

أبو الفرج قُدامة بن جعفر البغدادي، كاتب من البلغاء الفصحاء المتقدّمين في علم المنطق والفلسفة. آرامي الأصل من عائلة تقيم في البصرة، أسلم على يدي الخليفة العبّاسي المكتفي باللّه، وتنعكس على مؤلّفاته آثار الفلسفة اليونانيّة. وقد برع في علوم الجغرافيا، وشغل في أواخر حياته منصب صاحب البريد. وتاريخ وفاته غير معروف على وجه التحديد، ويتراوح ما بين عامي ٣١٠ - ٣٣٧ هـ.

ألّف كتاب «الخَراج وصنعة الكتابة»، وهو ليس مصنّفاً جغرافيّاً بالمعنى الدقيق، وإنما أعدّه ليكون عوناً للكتّاب في الدواوين العبّاسية، وقد ضمّنه معلومات جغرافيّة واقتصاديّة مهمّة عن العالم الإسلامي في القرن الثالث. وقد تمّ تأليفه على ما يبدو حوالي عام ٣١٦ هـ، وكان يتكوّن من ثمانية أقسام لم يصلنا منها سوى أربعة فقط تمثّل الجزء الثاني من الكتاب، وقد نُشر من بينها الشطر الذي يتعلّق بالخَراج. وهذا الجزء المنشور يذكّر بكتاب ابن خُرداذبه «المسالك والممالك» من حيث المضمون.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولقدامة أيضاً مؤلّفات هامّة في الأدب، وكان يُضرب به المثل في البلاغة. ومن هذه المؤلّفات: «نقد الشعْر» و«نقد النثر» ويُعرف أيضاً باسم «كتاب البيان»، ومنها أيضاً: «جواهر الألفاظ» و«السياسة» و«البلدان» و«زهر الربيع» في الأخبار والتاريخ، و«نزهة القلوب» و«الردّ على ابن المعتزّ فيما عاب به أبا تمّام».

وأمّا «كتاب الخَراج» فقد نشر منه نُبذاً المستشرق الهولندي دى خُويْه M. J. De Goeje، وألحقها بنشرته لكتاب «المسالك والممالك» لابن خرداذبه، الصادر عام ١٨٨٩م في لايدن بهولاندة، كما مرّ بنا.

وقد ذكر قُدامة فتح مدينة دمشق في كتاب الخَراج، ويتبيّن بجلاء أنه قد نقل ما كتبه عنها حرفياً من «فتوح البلدان» للبلاذُري، بعد أن حذف أسانيد الرواة من الأخبار.

ولقد قمنا بنقل النصوص المتعلّقة بالطرق والمسافات الخاصة بدمشق من النّبذ التي نشرها دى خُويْه من كتاب الخَراج، ثم أردفنا ذلك بالنص المتعلّق بفتح دمشق نقلاً عن نشرة أستاذنا الدكتور صلاح الدين المنجّد، التي اعتمد فيها مخطوطة كتاب الخَراج المحفوظة في مكتبة كوپريلي Köprülü باسطنبول (برقم: ١٠٧٦)، وفي هذه المخطوطة أكثر مما جاء في نشرة دى خُويْه، إلا أنها لم تُنشر حتى الآن، ولا يتعدّى ما نشره المنجّد منها النصّ الخاص بفتح دمشق، والذي لا يقدّم الجديد بدوره على اعتباره منقولاً بالحرف عن البلاذري كما تقدّم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المصادر :

معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦/ ٢٠٣
الفهرست لابن النديم ١٣٠
المنتظم لابن الجوزي ٦/ ٣٦٣
النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٣/ ٢٩٧
مقدّمة دى خُوْيّه بالفرنسية على ما نشره من كتاب الخراج لقُدامة ،
بذيل كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه
تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ١/ ١٦٥
مدينة دمشق عند الجغرافيين للمنجّد ٥٥
جهود المسلمين في الجغرافيا لنفيس أحمد ٥١
الرحلة والرحّالة المسلمون لأحمد رمضان ٦٣
C.Brockelmann: Geschichte der Arabische Litteratur; Supp. I, S. 228.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطريق الآخذ إلى أكناف نواحي المغرب[1]

من بغداد إلى البردان سكّتان، ومن بردان إلى عكبرا أربع سكك، ومن عكبرا إلى سُرّ من رأى سبع سكك، ومن سرّمن رأى إلى جبلتا سبع سكك، ومن جبلتا إلى السنّ عشر سكك، ومن السنّ إلى الحديثة تسع سكك، ومن الحديثة إلى الموصل سبع سكك، ومن الموصل إلى أوّل عمل بلد سكّة، ومن آخر عمل الموصل إلى سكّة بلد ثلاث سكك، ومن بلد إلى اذرمة تسع سكك، ومن اذرمة إلى نصّيبين ستّ سكك، ومن نصّيبين إلى كفر توثا ثلاث سكك، ومكن كفر توثا إلى راس عين عشر سكك، ومن راس عين إلى الرقّة خمس عشرة سكّة، ومن الرقّة إلى النقيرة آخر عمل ديار مضر عشر سكك، ومن النقيرة إلى منبج خمس سكك، ومن منبج إلى حلب تسع سكك، ومن حلب إلى قنّسرين ثلاث سكك، ومن قنّسرين إلى أول عمل حمص سكّة واحدة، ومن سكّة المرج وهي أول سكّة تلي عمل قنّسرين إلى صوران سبع سكك، ومن صوران إلى حماة سكّتان، ومن حماة إلى حمص أربع سكك، ومن حمص إلى المحمّدية أربع سكك، ومن المحمّدية إلى بعلبك خمس سكك، ومن بعلبك إلى دمشق تسع سكك، ومن دمشق إلى دير أيّوب آخر عملها سبع سكك، ومن دير أيّوب إلى طبريّة ستّ سكك، ومن طبريّة قصبة الأردن إلى اللجون من عمل الأردن أربع سكك، ومن اللجون إلى الرّملة قصبة فلسطين تسع سكك، ومن الرّملة إلى آخر عمل فلسطين وهي سكّة المعينة تسع سكك، ومن

---

(١) تقدّم القول أن الشام بالنسبة لبلاد فارس والعراق تقع إلى الغرب، ومن هنا التسمية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سكّة المعينة إلى آخر طريق الجفار وهي سكّة الداورة سبع عشرة سكّة .

كتاب الخراج ، ٢٢٨

من الباب الرابع
في الجبال

وأما الإقليم الرابع ففيه أربعة وعشرون جبلاً ، منها جبل الثلج[١] بدمشق وطوله ثلاثة وثمانون ميلاً ، وجبل سنير[٢] من هذه الناحية وطوله خمسة وأربعون ميلاً ، وجبل اللّكام[٣] بهذه الناحية طوله مائة ميل .

كتاب الخَراج ٢٣٢

---

(١) - جبل الثلج هو المعروف في أيامنا بالحرمون أو جبل الشيخ .

(٢) - جبل سنير هو سلسلة لبنان الشرقية Antilibanus ، ويتبع له القلمون وجبل قاسيون.

(٣) - جبل اللكام هو المعروف في أيامنا بجبل الأقرع Amanus .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الباب السادس
في مملكة الإسلام وأعمالها وارتفاعها

ثم يلي ذلك أعمال حمص من الشام وارتفاعه[1] مائة ألف وثمانية عشر ألف دينار، ثم يلي ذلك أعمال جند دمشق من الشام وارتفاعه مائة ألف وعشرة آلاف دينار، ثم أعمال جند الأردن من الشام وارتفاعها مائة ألف وتسعة آلاف دينار، ثم أعمال جند فلسطين من الشام ومدينة الرملة وبيت المقدس وارتفاعها من العين مائة ألف وخمسة وتسعون ألف دينار.

تفصيل ذلك عيناً وورقاً[2]

جند حمص: مائتي ألف وثمانية عشر ألف دينار.

جند دمشق: مائة ألف وعشرة آلاف دينار.

جند الأردن: مائة ألف وتسعة آلاف دينار.

جند فلسطين: مائتي ألف وتسعة وخمسين ألف دينار.

كتاب الخراج ٢٤٦، ٢٥١

---

(١) الارتفاع هنا مصطلح مالي يريد به الكاتب نسبة الخَراج السنوي المؤدى للعاصمة بغداد.

(٢) العَيْن هو الذهب المضروب من السكّة خلاف الوَرَق، والوَرِق هي الفضة. وكانت في عصر المؤلف تضرب الدنانير من الذهب (العين)، والدراهم من الفضة (الوَرِق).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الثغور البحريّة

وسواحل جند دمشق: عرقة طرابلس وجُبيل وبيروت وصيدا وحصن الصرَفَنْد وعدنون.

من الباب الحادي عشر
في ديوان البريد والسكك
والطرق إلى نواحي المشرق والمغرب

طريق دمشق من الرصافة

من الرقّة إلى الرصافة ثمانية فراسخ، ومن الرصافة طريقان أحدهما إلى دمشق في البريّة وآخر على حمص في العمران. فأمّا طريق العمران: فمن الرصافة إلى الزرّاعة أربعون ميلاً، ومن الزرّاعة إلى قسطل ستة وثلاثون ميلاً، ومن قسطل إلى سلميّة ثلاثون ميلاً، ومن سلميّة إلى حمص أربعة وعشرون ميلاً، ومن حمص إلى شمسين الشعر ثمانية عشر ميلاً، ومن شمسين إلى قارا إثنان وعشرون ميلاً، ومن قارا إلى النبك إثنا عشر ميلاً، ومن النبك إلى القطيفة عشرون ميلاً، ومن القطيفة إلى دمشق أربعة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعشرون ميلاً.

فأما طريق البريّة من الرصافة إلى دمشق: فمن الرصافة إلى الخربة واسمها بطلاميا خمسة وثلاثون ميلاً، ومن بطلاميا إلى العذيب أربعة وعشرون ميلاً، ومن العذيب إلى نهيْا عشرون ميلاً، ومن نهيا إلى القريتين عشرون ميلاً، ومن القريتين إلى جرود ستة وثلاثون ميلاً، ومن جرود إلى دمشق ثلاثون ميلاً.

ومن سلميّة إلى دمشق في طريق يُعرف بالأوسط: من سلميّة إلى فرعايا ثمانية عشر ميلاً، ومن فرعايا إلى ماء شريك عشرون ميلاً، ومن ماء شريك إلى صَدَد ثمانية عشر ميلاً، ومن صدد إلى النبك خمسة وثلاثون ميلاً.

ومن حمص أيضاً إلى دمشق على طريق البقاع: من حمص إلى جوسية ثلاثة عشر ميلاً، ومن جوسية إلى إيعاث عشرون ميلاً، ومن إيعاث إلى بعلبك ثلاثة أميال، ومن بعلبك يسرة على جبل يسمّى رمى خمسون ميلاً. ومن أخذ من بعلبك إلى طبريّة على طريق الدراج: فمن بعلبك إلى عين الجرّ عشرون ميلاً، ومن عين الجرّ إلى القرعون وهو منزل في بطن الوادي خمسة عشر [ميلاً]، ومن قرعون إلى قرية يقال لها العيون تمضي إلى كفر ليلى عشرون ميلاً، ومن كفر ليلى إلى طبريّة خمسة عشر ميلاً، وفي هذا الطريق جبّ يوسف عليه السلام.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإن أخذ الطريق إلى جبال الأردن من دمشق : فالطريق المستقيم من دمشق إلى الكسوة إثنا عشر ميلاً ، ومن الكسوة إلى جاسم أربعة وعشرون ميلاً ، ومن جاسم إلى افيق أربعة وعشرون ميلاً ، ومن افيق إلى طبريّة ستة أميال . ثم من طبريّة يفترق الطريق إلى الرملة فرقتين : فمن طبريّة إلى اللجون على الطريق المستقيم عشرون ميلاً . والطريق الآخر على بيسان ستة عشر ميلاً ، ثم إلى اللجون ثمانية عشر ميلاً ، ثم من اللجون إلى قلنسوة على وادي عارا - وفيه سباع - عشرون ميلاً ، ومن قلنسوة إلى الرملة أربعة وعشرون ميلاً .

كتاب الخَراج ٢١٩

* * * * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فتح مدينة دمشق

لمّا فرغ المسلمون من قتال مَن اجتمع لهم بمرج الصفَّر، وكان اجتمع لهم من الروم جمعٌ عظيم ولقوهم بهذا المرج، أوّل يومٍ من المحرّم سنة أربع عشرة، أقاموا بعد ذلك خمس عشرة ليلة، ثم رجعوا إلى مدينة دمشق لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرّم سنة أربع عشرة، فأخذوا [١١٩ب] الغوطة وكنائسها عَنوة. وتحصّن أهل المدينة وأغلقوا أبوابها. فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي في زهاء خمسة آلاف ضمّهم إليه أبو عُبيدة بن الجرّاح. وسُمِّي الديرُ الذي نزل خالد عنده «دير خالد». ونزل عمرو بن العاص على باب توما. ونزل شُرَحْبيل على باب الفراديس. ونزل أبو عبيدة على باب الجابية. ونزل يزيد بن أبي سُفيان على الباب الصغير إلى الباب الذي يُعرف بكَيْسان. وجُعل أبو الدرداء عويمر بن عامر الخزرجي على مَسْلَحَةٍ ببَرْزَة.

وكان الأسقف الذي أقام لخالد النُزُل في بداية ربما وقف على السور فيدعو به خالد، فإذا أتى سلَّم على خالد وحادثه. فقال له الأسقف ذات يوم: يا أبا سُليمان! إنّ أمركم مقبلٌ، ولي عليك عدّة، فصالحني عن هذه المدينة، فدعا خالد بدواة وقرطاس فكتب فيه:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها: أعطاهم أماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا تُهدم ولا يُسكن شيء من دورهم. لهم بذلك عهد اللّه وذمّة رسوله، صلّى اللّه عليه، والخلفاء والمؤمنين، لا يُعرض لهم إلا بخير إذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أعطوا الجزية».

ثم إن بعض أصحاب الأسقف أتى خالداً في ليلة من الليالي فأعلمه أنها ليلة عيد لأهل المدينة، وأنهم في شُغل، وأنّ الباب الشرقي قد رُدم بالحجارة وتُرك، وأشار [١٢٠ آ] عليه بأن يلتمس سُلّماً يصعد عليه. فأتاه قوم من أهل الدير بسُلّمين فرقى جماعة من المسلمين عليهما إلى أعلى السور، ونزلوا إلى الباب وليس عليه أحد إلا رجل أو رجلان. فتعاونوا عليه ففتحوه، وذلك عند طلوع الشمس.

وقد كان أبو عُبيدة بن الجرّاح عانى فتح باب الجابية، وأصعد جماعة من المسلمين على حائطه، فانصبّت مقاتلةُ الروم إلى ناحيته، فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً، ثم إنّهم ولّوا مدبرين. وفتح أبو عُبيدة والمسلمون معه باب الجابية عَنوةً، ودخلوا منه. فالتقى أبو عبيدة وخالد بالمِقْسلاّط، وهو موضع النحّاسين بدمشق، الذي يسمّى البَرِيْص، وذكره حسّان بن ثابت في شعره فقال:

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيْصَ عليهمُ بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحيقِ السَّلْسَلِ

وقد رُوي أن الروم أخرجوا ميّتاً لهم من باب الجابية، وقد أحاط بجنازته خلقٌ من شجعانهم وكُماتهم، وانصبّ سائرهم إلى الباب فوقفوا عليه ليمنعوا المسلمين من فتحه ودخوله إلى رجوع أصحابهم من دفن الميّت، وطمعوا في غفلة المسلمين عنهم، وإنّ المسلمين بدروا بهم، فقاتلوهم على الباب أشدّ قتال وأبرحه حتى فتحوه في وقت طلوع الشمس.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلمّا رأى الأسقف أن أبا عُبيدة قد قارب دخول المدينة بدر إلى خالد فصالحه وفتح له الباب الشرقي، فدخل والأسقف معه ناشراً [١٢٠ب] كتابه الذي كتبه له. فقال بعض المسلمين: واللّه ما خالد بأمير، فكيف يجوز صلحه؟ فقال أبو عبيدة: إنه يجيز على المسلمين أدناهم. وأجاز صلحه وأمضاه، ولم يلتفت إلى ما فُتِح عنوة، فصارت دمشق كلها صلحاً. وكتب أبو عبيدة بذلك إلى عمر فأنفذه، وفُتحت أبواب المدينة فالتقى القوم جميعاً.

وحكى أبو عبيد القاسم بن سلاّم أن حسان بن مالك خاصم عجم أهل دمشق في كنيسة أقطعه كل واحد من الأمراء إياها. فقال عمر: إن كانت من الخمس العشرة الكنيسة التي في عهدهم فلا سبيل لغيرهم عليها.

وقالوا: إنه لمّا وُلي معاوية بن أبي سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنّا في المسجد الجامع بدمشق. فأبى النصارى ذلك، فأمسك. ثم طلبها عبد الملك بن مروان في أيامه لمثل ما كان طلبها معاويّة، وبذل لهم مالاً، فأبَوا أن يُسلِّموها إليه.

ثم إنّ الوليد بن عبد الملك جمعهم في أيامه، وبذل لهم مالاً عظيماً على أن يعطوه إيَّاها، فأبَوا. فقال: لئن لم تفعلوا لأهدمنّها. فقال بعضهم: يا أمير المؤمنين! إنّ من هدم كنيسةً جُنّ. فأحفظه ذلك حتى دعا بمعول، فجعل يهدم بعض حيطانها بيده، وكان عليه قباء خزٍّ أصفر. ثم جمع الفَعَلَة فهدمها، وأدخلها في المسجد.

فلما استُخلف عمر بن عبد العزيز شكا إليه النصارى ما فعل الوليد. فكتب إلى عامله يأمره بردّ ما زيد في المسجد منها [١٢١آ] عليهم. فكتب إليه أن أهل دمشق قد كرهوا ذلك وقالوا: يُهدم مسجدنا بعد أن أذَّنا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيه وصلّينا ويُرَدُّ بيعةً ؟ . وفيهم يومئذ سليمان بن حبيب المحاربي وغيره من الفقهاء . وأقبلوا على النصارى فسألوهم أن يُعوّضوا منها ردّ جميع كنائسهم بالغوطة التي أخذت منهم عَنوةً وصارت في أيدي المسلمين ، على أن يصفحوا عن كنيسة يوحنّا ، ويُمسكوا عن المطالبة بها . فرضوا بذلك وأعجبهم . فكتب به إلى عمر ، فسرّه وأمضى الأمر فيه .

وفي المسجد الجامع في الرواق القبلي مما يلي المئذنة ، كتابٌ في رخامة بقرب السقف : «مما أمر ببنائه أمير المؤمنين الوليد سنة ست وثمانين» .

وكانت الجزية بالشام في بدءِ الأمر على كل جمجمة جَرِيباً ودیناراً ، حتى وضعها عمر بن الخطّاب على أهل الذهب أربعة دنانير ، وعلى أهل الوَرِق أربعين درهماً . ثم جعلهم طبقات على قدر غنى الغني وإقلال المقلّ وتوسّط المتوسط . وكانت اليهود بالشام كالذمّة للنصارى ، يؤدّون إليهم الخراج فدخلوا في الصلح معهم .

ثم أتى يزيد بن أبي سفيان بعد فتح مدينة دمشق صيدا وعِرْقَة وجُبَيْل وبيروت ، وهي سواحل دمشق ، وعلى مقدّمته أخوه معاوية ، ففتحها فتحاً يسيراً وجلا كثيراً من أهلها . وتولّى فتح عِرْقَة معاوية نفسه .

ثم إنّ الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان . فقصد لهم معاوية [١٢١ب] حتى فتحها ، ثم رَمَّها وشحنها بالمقاتلة ، وأقطعهم القطائع .

كتاب الخَراج ، مخطوطة كوپريلي

نقلاً عن د . المنجّد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

BIBLIOTHECA GEOGRAPHORUM ARABICORUM

EDIDIT

M. J. DE GOEJE.

PARS SEXTA.

KITÂB AL-MASÂLIK WA'L-MAMÂLIK

AUCTORE

Abu'l-Kâsim Obaidallah ibn Abdallah

IBN KHORDÂDHBEH

ACCEDUNT EXCERPTA E

KITÂB AL-KHARÂDJ

AUCTORE

Kodâma ibn Dja'far.

LUGDUNI-BATAVORUM
APUD E. J. BRILL.
1889

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ١٦ -

الإصطخري
ابراهيم بن محمّد الفارسي
(توفي ٣٤٦ هـ/ ٩٥٧م)

الإصطخري، أبو إسحاق الفارسي الكرخي، جغرافي رحّالة من العلماء وأحد أبرز شخصيّات المدرسة الكلاسيكيّة لجغرافيي القرن الرابع الهجري.

نشأ بإصْطَخْر في أواسط إيران من بلاد فارس، وتحوّل إلى دار السلام بغداد، وقام بسياحة طاف بها بلاد العرب وبعض بلاد الهند، وبلغ الأقيانوس الأطلسي، واستعان بكتاب «صور الأقاليم» لأبي زيد البلخي، ولم تكن مصادر علم البلدان موفورة في عصره. حيث أن أول من دوّن علم الجغرافيا عند العرب على نحو ما عند اليونان هو أبو زيد البلخي الذي ألّف في أوائل القرن الرابع الهجري كتابه «صور الأقاليم» كما مرّ بنا.

كان الإصطخري محبّاً للأسفار والرحلات، سافر وحقّق بنفسه كثيراً من مواقع البلاد والبحار وتأكّد من وصفها. ويتّضح من مطالعة كتابه أنّه قد سافر كثيراً فزار بلاد ما وراء النهر وإيران موطنه الأصلي والشام ومصر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويُعتبر الإصطخري تلميذاً لأبي زيد البلخي ومعاصراً له، وقد نهج أسلوب استاذه عندما ألّف كتابه «المسالك والممالك»، وأنهى أول مسوّدة له والبلخي على قيد الحياة وذلك حوالي عام ٣١٨ - ٣٢١ هـ، غير أن كتابه قد انتشر في الشرق بوجه خاص على هيئة طوامير ترتفع إلى المسوّدة التي عُملت حوالي عام ٣٤٠ هـ.

والإصطخري كغيره من جغرافيي مدرسة القرن الرابع الهجري يقتصر على وصف العالم الإسلامي وحده مقسّماً إيّاه إلى عشرين إقليماً، متّبعاً في ذلك خطّة أستاذه البلخي. وبدأ في كتابه بوصف جزيرة العرب وبحر فارس مع المحيط الهندي والمغرب مع الأندلس وصقلية، ومصر والشام وبحر الروم والجزيرة والعراق وإيران الجنوبيّة والهند وإيران الوسطى والشمالية، مع أرمينيا وأذربيجان وبحر الخزر، ويختتم كلامه بوصف بلاد ما وراء النهر. ووصف كل قسمٍ على حدة، مع ذكر للبلاد والمدن وتجاراتها ومزارعها وصناعة أهلها وحرفهم.

وقد فصّل في مقدّمة كتابه منهجه واسلوبه فقال: «إنّي ذكرت في كتابي هذا أقاليم الأرض على الممالك، وقصدت منها بلاد الإسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما يعود بالأعمال المجموعة إليها. ولم أقصد الأقاليم السبعة التي عليها قسمة الأرض، بل جعلتُ كل قطعة أفردتها مفردة مصوّرة تحكي موضوع ذلك الإقليم».

ومن أهم ما يميّز كتاب «المسالك والممالك» أن الإصطخري قد وضّحه بالخرائط المفصّلة، التي نبيّن أهمّها إلى جانب النصوص التي ننقلها هنا عن دمشق. وكان الإصطخري في كتابه قد قسم البلاد إلى ٢٠ إقليم كما ذكرنا، فجعل لكل إقليم خارطة دوّن فيها خطوط الطول والعرض، ثم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وضع خارطة شاملة سمّاها «صورة الكلّ»، وجميع هذه الصور مجدولة بالألوان ضمن قواعد مخصوصة بكل لون. والجدير بالذكر أن النسخة الأولى من كتاب الإصطخري تُعرف باسم: «كتاب الأقاليم»، وتقتصر على ١٩ مصوَّر (خريطة)، نشرها المستشرق مولر.

وكان لكتاب الإصطخري تأثير كبير لم يقف عند حدّ الأدب العربي وحده، بل ظهرت له ترجمات فارسية وتركية. وكان هذا الكتاب باعثاً للجغرافي ابن حوقل على تأليف كتابه الشهير «المسالك والممالك»، والذي أضاف إليه أيضاً مصوّرات جغرافيّة على نسق ما فعل أستاذه الإصطخري. وهذا ما سنراه في ترجمة ابن حوقل في حينه.

وأول من نشر «المسالك والممالك» المستشرق مولر Müller بمقدّمة لاتينية عام ١٨٣٩م، وذلك تحت عنوان «كتاب الأقاليم». ثم أعاد نشره المستشرق الهولندي دى خُوْيّه De Goeje في لايدن بهولاندة عام ١٨٧٠م ضمن سلسلة المكتبة الجغرافية العربية (الجزء الأول). ثم طُبع للمرة الثانية في لايدن عام ١٩٢٧م. وأعيد نشر الكتاب في مصر عام ١٩٦١ بتحقيق محمد جابر الحيني وشفيق غربال.

هذا وقد ورد ذكر دمشق في كتاب الإصطخري، ونصّه يشبه ما ورد عند البلخي. وقد رجعنا فيه إلى كتاب «الأقاليم» بتحقيق مولر Müller، وكتاب «المسالك والممالك» بتحقيق الحيني وغربال.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المصادر :

كتاب الأقاليم للإصطخري، مقدّمة مولر
المسالك والممالك للإصطخري، مقدّمة دى خُوْيَّه
المسالك والممالك للإصطخري ، مقدّمة الحيني
هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي ١/ ٦
تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوڤسكي ١/ ١٩٩
دائرة المعارف الإسلامية، مادة الإصطخري ٢/ ٢٥٦
الرحّالة المسلمون في العصور الوسطى لزكي محمد حسن ٣٦
جهود المسلمين في الجغرافيا لنفيس أحمد ٥٣
مدينة دمشق عند الجغرافيين للمنجّد ٦٢
الرحلة والرّحالة المسلمون لأحمد رمضان ٧٩.
العراق في الخوارط القديمة لأحمد سوسة ١٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دمشق

وأما جُنْد دمشق فإن قصبتها مدينة دمشق. وهي أجلّ مدينة بالشام كلها، وهي في أرض واسعة بين جبال تحيط بها مياهكثيرة، وأشجار وزروع متّصلة، وتسمى تلك البقعة الغُوطة، عرضُها مرحلة في مرحلتين ليس في الشام مكان مثله.

ويخرج ماؤها من تحت كنيسة يقال لها الفيجة، وهو أول ما يخرج يكون ارتفاعه ذراعاً في عرض باع، ثم يجري في شعب تتفجّر منها العيون، فيأخذ منه نهر عظيم أجراه يزيد بن معوية بعرض الدجلة، ثم يستنبط منه نهر المزّة، ونهر القناة، ويظهر عند الخروج من الشعب بموضع يقال له النيرب. ويقال إنه المكان الذي قال اللّه عزّ وجلّ فيه: ﴿ وآويناهما إلى ربوةٍ ذاتِ قرارٍ مَعين ﴾.

ثم يبقى من هذا الماء عمود النهر، ويسمّى بردا، وعليه قنطرة في وسط مدينة دمشق، لا يعبره الراكبُ غزارةً وكثرةً. فيفضي إلى قرى الغُوطة، ويجري في سككهم وعامّة دورهم وحمّاماتهم.

وبها مسجد ليس في الإسلام أعمر ولا أكبر بقعة منه. وأما الجدار والقبّة التي فوق المحراب من عند المقصورة فمن بناء الصابئين لصلواتهم، ثم صار في أيدي اليونانيين، فكانوا يعظّمون فيه دينهم، ثم صار إلى ملوك عبدة الأوثان. فقُتل في ذلك الزمان يحيى بن زكريّا عليه السلام ونُصب رأسه على باب هذا المسجد، الباب المعروف بباب جيرون. ثم تغلّب عليها النصارى، فصار في أيديهم كنيسة حتى جاء الإسلام، فاتّخذه المسلمون مسجداً. وعلى باب هذا المسجد باب جيرون حيث نُصب رأس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يحيى ابن زكريّا نُصب رأس الحسين بن علي عليهما السلام.

فلمّا ولي الوليد بن عبد الملك عمّره، فجعل أرضه رخاماً، وجعل وجه جدرانه مجزّعاً، وأساطينه رخاماً موشّى، ورؤوس أساطينه ذهباً، ومحرابه ذهباً مرصّعاً بالجواهر، ودَوْر السقف كله ذهباً مُكتّباً، كما يطوف تربيع جدار المسجد. يقال إنّه أنفق بسببه خَراج الشام خمس سنين. وسطحه رصاص، وسقفه خشب مذهب، يدور الماء على رقعة المسجد، حتى إذا فجر فيه انبسط فيه على جميع الأركان سواء.

الأقاليم للإصطخري، طبعة مولر، ٣٢

المسالك والممالك للإصطخري، طبعة الحيني ٤٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خريطة العالم

للاصطخري (نبغ سنة ٣٤٠هـ ٩٥١م)

هو ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي ، ولد في مدينة اصطخر من بلاد فارس ورحل في طلب العلم وجاب بعض البلدان الاسلامية ودون اخبار رحلته في كتاب سماه « مسالك الممالك » وهو معوّل على كتاب « صورة الاقاليم » للشيخ ابي زيد احمد بن سهل البلخي المتوفى سنة ٣٢٢هـ (٩٣٣م) طبع باعتناء دي غويه من متحف الكتبة الجمهورية العربية (جغرافيا العرب الاولى) في ليدن سنة ١٨٧٠ ثم طبع طبعة ثانية في سنة ١٩٢٧ . وحرى الاصطخري في كتابه على تقسيم المتن فجعل بلاد المسلمين عشرين جزءاً بدأ بديار العرب وانتهى الى ماوراء النهر اركستان ، ووصف كل قسم على حدة وذكر البلاد وحيرها وقيجارتها وغير ذلك ونقل منه ابن حوقل الذي نبغ بعده بجميع سنين (٣٧٧هـ ٩٧٧م) ، وصورة الجهات الاصطخري ايضاً كتاب بعنوان « صورة الاقاليم » يشتمل على حدود الممالك وصور الاقاليم الارض ومدنها وبحارها وانهارها والمسافات بينها مفصلاً . وقد صدر كتاب هذا بالحوادث وفيها الصور وجعلها ١٦ صورة . طبع بعناية S. H. HALLAR (س. هـ. موللر) ومعه الخرائط على طريقة طبع هيرغيتا سنة ١٨٢٩ .

مقتطفات من كتابه « مسالك الممالك » ... وقسمة الارض على الجنوب والشمال ، فاما الخط الذي يأخذ من هذا البحر المحيط من ارض المغرب بارض الاندلس فانه يحسب الارض قسمين وخط هذه القسمة يأخذ من بحر الصين حتى يقطع بلد الهند ويسمط مملكة الاسلام حتى يتصل بارض مصر الى المغرب فما كان في حد الشمال من هذين القسمين فاهله يعدون وكلما تباعدوا الى الشمال ازداد وا برداً ، وما كان مما يلي الجنوب من هذين القسمين فانما هو سرد وكلما تباعدوا الى الجنوب ازدادوا حراً واعدل هذه الاماكن ما كان في الخط المستقيم وما قاربه ..... فاما مملكة الاسلام فان شرقيها ارض الهند وبحر فارس وغربيها مملكة الروم وما يتصل بها من الادس واللان والترك والسرير والخزر والروس والبلغار والصقالبة وما اتصل بها مملكة الصين وما اتصل بها من بلاد الترك وجنوبيها بحر فارس ، واما مملكة الروم فان شرقيها بلاد الاسلام وغربيها وجنوبيها البحر المحيط وشمالها حدود على الصين لا ناخيصها ما بين الاتراك وبلاد الروم من الصقالبة وبساتر الامم الى بلاد الروم ، واما مملكة الصين فان شرقيها وشمالها البحر المحيط واما جنوبيها مملكة الاسلام والهند واما غربيها فهو البحر المحيط ان جعلنا يأجوج ومأجوج وراءهم المابين الشمال هذه المملكة ، واما ارض الهند فان شرقيها بحر فارس وغربيها وجنوبيها بلاد الاسلام وشمالها مملكة الصين ... »

ملاحظة هامة : ان الخطوط الاصلية كانت مقلوبة على الطريقة القديمة اي ان الشمال في اسفل الخارطة والجنوب في اعلاها وقد حكمت بحاجة الطريقة الحديثة في رسم الخرائط لتسهيل المراجعة .

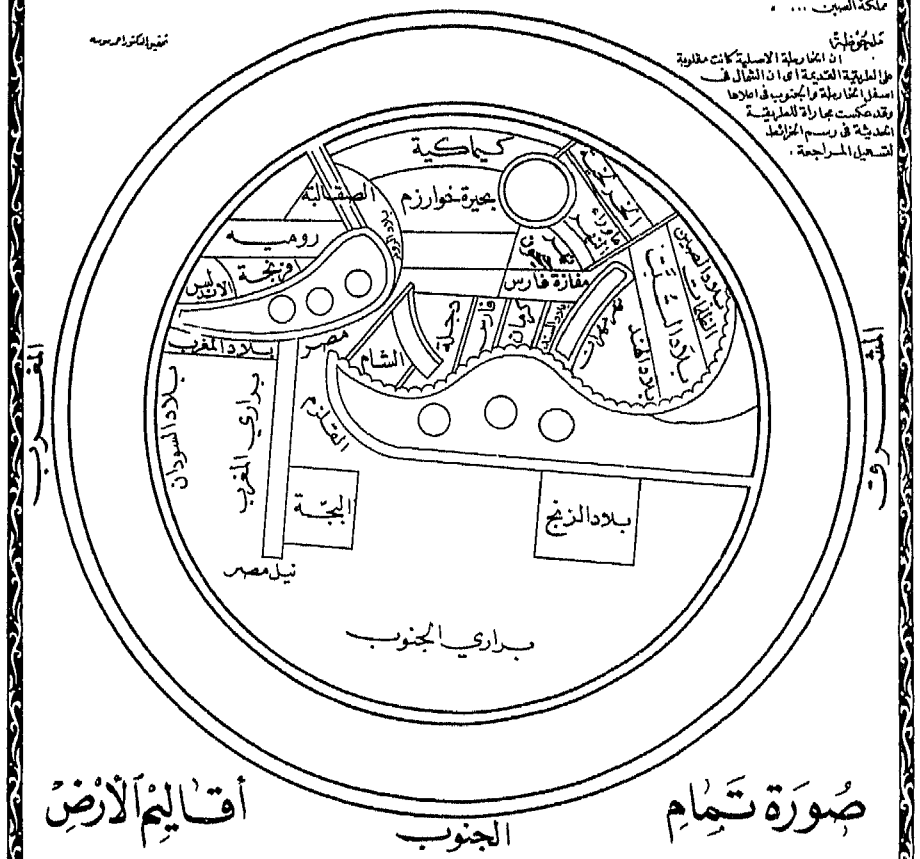

صورة تمام أقاليم الأرض

الجنوب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صُورَة دِيَار العَرَب

للاصطخرى (النصف الاول من القرن الرابع الهجرى، العاشر الميلادى) مقتطفات من كتابه "المسالك الممالك"

«... وديار العرب هى الحجاز الذى يشتمل على مكّة والمدينة واليمامة ومخاليفها ونجد الحجاز المتصل بارض البحرين وبادية العراق وبادية الجزيرة وبادية الشام واليمن المشتملة على تهامة ونجد اليمن وعُمان ومَهْرة وحضرموت وبلاد صنعاء وعدن وسائر مخاليف اليمن. فما كان من حد البيّرين حتى ينتهى الى ناحية يَلَمْلَم ثم على ظهر الطائف ممتداً على حد اليمن الى بحر فارس مشرفاً فمن اليمن ويكون ذلك نحو الثلثين من ديار العرب، وما كان من حد البيّرين على بحر فارس الى قرب مَدْيَن واجماً قِبَل المشرق على الحجر الى جبل طيّئ ممتداً على ظهر اليمامة الى بحر فارس فمن الحجاز، وما كان من حد اليمامة الى قرب المدينة راجعاً على بادية البصرة حتى تمتد على البحرين الى البحر فمن نجد، وما كان من حد عُمان الى الانبار مواجهاً لنجد والحجاز على أسد وطيء وتميم وسائر قبائل مُضَر فمن بادية العراق، وما كان من حد الانبار الى بالس مواجهاً لبادية الشام على ارض هيتا وبرّيّة عَنّات الى قرب عانة الغرب والحجر فمن بادية الجزيرة، وما كان من بالس الى أيله مواجهاً للحجاز على بحر فارس الى ناحية مَدْيَن معارضاً لارض تبوك حتى يتصل بديار طيء فى بادية الشام على ان من العلماء بتقسيم هذه الديار من زعم ان المدينة من نجد لقربها منها وان مكّة من تهامة اليمن لقربها منها ...»

«تحقيب الكتور احمد سوسه»

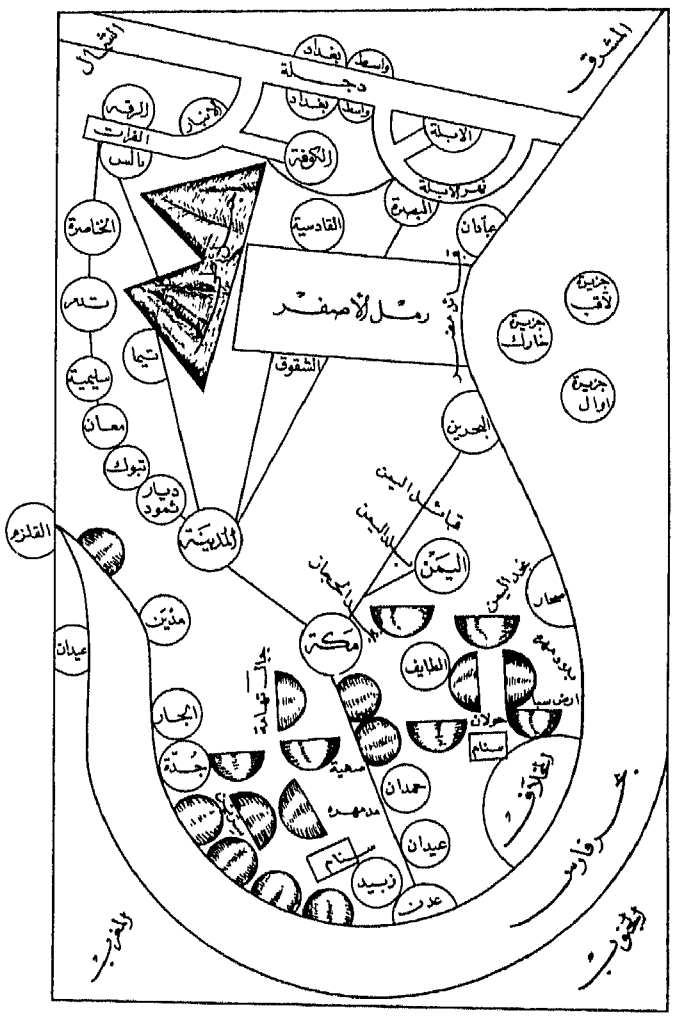

ملحوظة ...
ان الخارطة الأصلية كانت مقلوبة على الطريقة القديمة أي ان الشمال في أسفل الخارطة والجنوب في أعلاها وقد عكست بجزاءة للطريقة الحديثة في رسم الخرائط للتسهيل المراجعة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ١٧ -

المسعودي
أبو الحسن علي بن الحسين
(توفي ٣٤٦ هـ/ ٩٥٧م)

عندما كان نجم الحضارة العبّاسيّة في دور الأفول والانحدار السياسي في القرن الرابع الهجري، بزغَ عصر الحضارة العربية أو «النهضة الإسلامية» كما أسماها المستشرق الألماني آدم متز A. Metz. وفي ذلك العهد بلغ الأدب الجغرافي العربي أوج تطوّره واتساعه. ولاريب أن الرحّالة والجغرافي والمؤرّخ أبا الحسن المسعودي يحتلّ مركز الصدارة في هذا القرن المذكور، وقد أطلق عليه المؤرّخ ابن خلّكان لقب: «إمام المؤرّخين»، بينما شبّهه في أيامنا الباحث المصري زكي محمد حسن بهيرودوت أبي التاريخ، نقلاً عن المستشرق كرامرز الذي لقّبه «هيرودوت العرب». كما وصفه كرامرز في القرن التاسع عشر بأنه «أكثر الكتّاب الجغرافيين أصالة في القرن العاشر». هذا وقد أقيمت بجامعة (عليگرة) بالهند عام ١٩٥٨م ندوة دوليّة بمناسبة مرور ألف عام على وفاة المسعودي، وصدر عنها كتاب قيّم آنذاك.

وأما المسعودي فهو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البغدادي، ولد ببغداد في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة كما يبدو، من أسرة حجازيّة من ذريّة الصحابي عبد اللّه بن مسعود. وخرج رحّالتنا من بغداد عام ٣٠١ هـ ورحل إلى فارس عام ٣٠٥ هـ والهند وملتان وسيلان، وجال في بحار الصين والمحيط الهندي وسرنديب وسواحل أفريقيا الشرقيّة، وزارعُمان وزنجبار ومدغشقر والسودان، ورحل إلى بحر قزوين عام ٣١٤ هـ وأذربيجان وجُرجان وثغور الشام، وآسيا الصغرى وأنطاكية عام ٣٣٧ هـ، والشام والعراق وبلاد العرب الجنوبيّة (اليمن وجنوب الجزيرة العربيّة)، إلى أن انتهى به المطاف في مصر التي استقرّ بها عام ٣٤١ هـ، حتى وفاته عام ٣٤٦ هـ (أو كما ذكر آخرون: ٣٤٥ هـ).

هذا وقد زار المسعودي مدينة دمشق مراراً وذكرها في كتابيه الشهيرين «مروج الذهب» و«التنبيه والإشراف»، وذلك في عامي ٣٣٢ هـ، و ٣٣٦ هـ، كما صرّح بنفسه في النصوص الواردة أدناه.

أما عن مؤلّفات المسعودي فهي كثيرة، ضاع معظمها بسبب ضخامة حجمها وقلّة انتشارها، إلا ما بقي منها كاملاً أو مختصراً أو أدخل المؤلّف مادّته في مصنّفات أخرى له. ولعلّ أبرز مؤلّفاته سبعة هي: كتاب «ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور»، وكتاب «الاستذكار بما مرّ في سالف الأعصار»، وكتاب «أخبار الأمم من العرب والعجم». وكتاب «أخبار الزمان ومَنْ أباده الحدثان، من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة»، وكان هذا الكتاب يقع في ٣٠ مجلّداً، وقد أدخل المسعودي مادّته في كتابيه «الأوسط» و«مروج الذهب».

على أن أخصّ هذه الكتب السبعة كتابان: مروج الذهب، والتنبيه والإشراف. أما الأول منهما «مروج الذهب ومعادن الجوهر» فهو مصنّف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تاريخي جغرافي عظيم القيمة، لم يكتف فيه المسعودي ببحث الموضوعات التي اعتادها المؤرّخون المسلمون، بل تطرّق إلى تواريخ الهند والفرس والروم وغيرهم، مع وصف الخليقة وقصص الأنبياء ووصف الأرض والبحار والعجائب والغرائب وتواريخ الأمم القديمة وأديانها ومذاهبها وتقاليدها، ثم أردف ذلك بسرد تاريخ الإسلام من أواخر عهد الخلفاء الراشدين إلى أوائل خلافة المطيع للّه العبّاسي. وقد أتم المسعودي هذا الكتاب عام ٣٣٢ هـ، وصحّحه في ٣٣٦ هـ وأيضاً ٣٤٥ هـ. وأول نشرة علمية لهذا الكتاب قام بها في القرن الماضي المستشرقان الفرنسيان باربييه دى مينار Barbier De Meynard وپاڤيه دى كورتَيّ Pavet De Courteille، وأصدراه في تسعة أجزاء مع ترجمة فرنسية، وطُبع في پاريس ١٨٦١ - ١٨٧١م. كما صدرت له نشرة في القاهرة عام ١٩٤٦ بعناية محمد محيي الدين عبد الحميد. ثم قام المستشرق الفرنسي شارل پلاّ Charles Pellat بإعادة نشر طبعة سلفيه دى مينار ودى كورتَيّ بتحقيق علمي، وصدرت عن منشورات الجامعة اللبنانيّة في سبعة أجزاء ١٩٦٦ - ١٩٧٩.

وأما الكتاب الآخر فهو «التنبيه والإشراف»، الذي يجمع بين الجغرافيا والتاريخ، ويعتبره المسعودي نفسه متمماً لمروج الذهب. فرغ من تأليفه عام ٣٤٥ هـ قبيل وفاته. وقد عُني بنشره المستشرق الهولندي دى خُويّه De Goeje، وطُبع في لايدن بهولاندة عام ١٨٩٤ ضمن سلسلة المكتبة الجغرافيّة العربيّة. وترجمه إلى الفرنسيّة بعد تنقيحه المستشرق الفرنسي كارّا دى ڤو Carra De Vaux، وطبعه في پاريس عام ١٨٩٧. ثم أعاد نشره أيضاً عبد الله اسماعيل الصاوي بالقاهرة عام ١٩٣٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا وقد ذكر بعض الباحثين أن المسعودي وضع خارطة لديار الإسلام، هي من أدق الخرائط العربية، وقد قسم فيها العالم إلى ٣ قارّات.

أما فيما يتعلّق بدمشق، فقد نقلنا ما أورده المسعودي في كتابيه: مروج الذهب، والتنبيه والإشراف. وقد رجعنا في الأول إلى طبعة شارل پلاّ، وفي الثاني إلى طبعة الصاوي. والجدير بالذكر أن وصف المسعودي لباب جيرون بدمشق هو الأول من نوعه (عام ٣٣٢هـ).

المصادر:

التنبيه والإشراف للمسعودي، مقدّمة الصاوي

مروج الذهب ومعادن الجوهر، طبعة شارل پلاّ

الفهرست لابن النديم ١/ ٢١٩

لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ٤/ ٢٢٤

فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٣/ ١٢

طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٣٠٧

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٣/ ٣١٥

تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوڤسكي ١/ ١٧٧

الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متز ٢/ ٣

جهود المسلمين في الجغرافيا لنفيس أحمد ٥٤

الرحالة المسلمون في القرون الوسطى لحسن ٣٦

C. Brockelmann: Geschichte der Arabische Litteratur; 1: 150, Supp. I, S. 220.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جيرون بدمشق

١١٤٣ - وسار بعده عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه، فحلّ بالأحقاف [وأداني الرمل] بين عُمان وحضرموت واليمن. وتفرّق هؤلاء في الأرض فانتشر منهم أناس كثير، منهم: جَيْرون بن سعد بن عاد، حلّ بدمشق فمصّر مصرها، وجمع عُمُد الرخام والمرمر إليها، وشيّد بنيانها، وسمّاها «إرَم ذات العِماد». وقد روي عن كعب الأحبار في إرم ذات العِماد غير هذا.

وهذا الموضع بدمشق في هذا الوقت، وهو سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة، سوق من أسواقها بباب المسجد الجامع يُعرف بجَيْرون، وباب جيرون. وهو بنيان عظيم كان قصر هذا الملك، عليه أبواب من النحاس عجيبة، بعضها على ما كانت عليه والبعض على المسجد الجامع(١).

مروج الذهب ٢/ ٢٦١

---

(١) تقدّم منّا القول أن هذا الوصف لباب جيرون (وهو البوابة الشرقية للحرم الخارجي لمعبد جوبيتر الدمشقي) هو الأول من نوعه لدى الرحّالين الذين زاروا دمشق. وأما زواله فقد كان عام ٧٥٣ هـ، وانفرد بوصف ذلك المؤرّخ الحافظ ابن كثير الدمشقي الذي كان شاهد عيان آنذاك في كتابه البداية والنهاية: «وفي ليلة الإثنين سادس عشر صفر في هذه السنة [٧٥٣ هـ] وقع حريق عظيم عند باب جيرون شرقيّه، فاحترقت به دكّان الفُقّاعي الكبيرة المزخرفة وما حولها، واتّسع اتّساعاً فظيعاً واتّصل الحريق بالباب الأصفر من النحاس، فبادر ديوان الجامع إليه فكشطوا ما عليه من النحاس ونقلوه من يومه إلى خزانة الحاصل بمقصورة الحلبيّة بمشهد علي. ثم عدوا =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٤١٤ - وهيكل عظيم البنيان في مدينة دمشق، وهو المعروف بجيرون، وقد ذكرنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب، وأن بانيه جيرون بن سعد العادي، فنقل إليه عُمُدَ الرخام، وأن هذه البنية «إرَم ذات العماد» المذكورة في القرآن، إلا ما ذُكر عن كعب الأحبار حين دخل إلى معاوية بن أبي سفيان وسأله عن خبرها فوصفها وذكر عجيب بنيانها من الذهب والفضّة والمسك والزعفران، وأنّه يدخلها رجلٌ من العرب يتيه له جَملان فيخرج في طلبهما فيقع إليها، وذكر حِلْية الرجل، ثم التفت في مجلس معاوية فقال: هذا هو الرجل! وكان الأعرابي قد دخلها في طلب ما ندَّ من إبله، فأجاز معاوية كعباً وتبيّن صدق مقالته وإيضاح برهانه.

مروج الذهب ٢/ ٤٠٥

= عليه يكسرون خشبه بالفؤوس الحِداد والسواعد الشِداد، وإذا هو من خشب الصنوبر الذي في غاية ما يكون من القوّة والثبات. وتأسّف الناس عليه لكونه كان من محاسن البلد ومعالمه، وله في الوجود ما ينيف عن أربعة آلاف سنة. . . وهو باب شرقي جامع دمشق لم يُرَ باب أوسع ولا أعلى منه فيما يُعرف من الأبنية في الدنيا، وله علمان من نحاس أصفر بمسامير نحاس أصفر أيضاً بارزة، من عجائب الدنيا ومحاسن دمشق ومعالمها.

. . . فتبادر ديوان الجامعية ففرّقوا شمله وعرّوا جلده النحاس عن بدنه الذي هو من خشب الصنوبر، الذي كأن الصانع قد فرغ منه يومئذ، وقد شاهدتُ الفؤوس تعمل فيه ولا تكاد تُحيل فيه إلا بمشقّة».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مسجد دمشق

١٤١٧ - وكان مسجد دمشق قبل ظهور النصرانيّة هيكلاً عظيماً فيه التماثيل والأصنام، على منارته تماثيل منصوبة. وقد كان بُني على اسم المشتري[١] وطالع سعد، ثم ظهرت النصرانية فجُعل كنيسة، ثم ظهر الإسلام فجُعل مسجداً. وأحكم بناءه الوليد بن عبد الملك، والصوامع منه لم تتغيّر، وهي مناثر الأذان إلى هذا الوقت.

وقد كان بدمشق أيضاً بناءٌ عجيبٌ يُقال له «البَرِيْص»[٢]، وهو مُبقى إلى هذا الوقت - وهو سنة ست وثلاثين وثلاث مئة - في وسطها. وكان يجري فيه الخمر في قديم الزمان، وقد ذكرته الشعراء في مدحهم لملوك غسّان من مأرب وغيرهم.

مروج الذهب ٢/ ٤٠٦

---

(١) ما ذكره المسعودي صواب، فقد بُني المعبد الآرامي على اسم الإله حَدَد، ثم نُسب الهيكل نفسه في أيام الرومان إلى الإله جوبيتر، وهو باللاتينية أبو الآلهة وكوكب المشتري، وكان عند الإغريق يُعرف باسم: زيوس. أنظر كتابنا: معالم دمشق التاريخيّة ٢٠٥.

(٢) هذا أول تحديد لوجود قصر البريص في نصوص الرحّالين والجغرافيين المسلمين، فقد صرّح المسعودي ببقائه في أيّامه (عام ٣٣٦ هـ). وكان قد اشتهر ذكره في شعر حسّان بن ثابت ببيته المشهور:

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيْصَ عليهمُ بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحيقِ السَّلْسَلِ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الباب الأربعين
في وصف الأرض والبلدان

٩٧٣ - ذكر ذوو الدراية أن عمر بن الخطّاب حين فتح اللّه البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك من الأرض، كتب إلى بعض حكماء ذلك العصر: «إنّا أناس عرب، وقد فتح اللّه علينا البلاد ونريد أن نتبوأ الأرض ونسكن الأمصار. فصِفْ لي المدن وأهويتها ومساكنها وما يؤثّره التُرب والأهوية في سكّانها». فكتب إليه ذلك الحكيم: «إعلم يا أمير المؤمنين أن اللّه قد قسم الأرض أقساماً...

...وسأصف لك يا أمير المؤمنين أمر القطع المسكونة من الأرض:

٩٧٤ - أما الشام فثِجّ رُكام وسَحٌّ غَمام وغدْق رهام، ترطّب الأجسام وتبلّد الأحلام وتصفّي الألوان، لاسيَّما أرض حِمص فإنها تحسّن الجسم وتصفّي لونه وتبلّد الفهم وتنزح غوره وتجفي الطبع وتذهب بماء القريحة وتنهب العقول. والشام يا أمير المؤمنين وإن كان على ما وصفتُ لك فمسرح حصب ووابل سكب، كثرت أشجاره واطّردت أنهاره وغمرت أعشاره، وبه منازل الأنبياء والقدس المجتبى، وفيه حلّ أشراف خلق اللّه من الصالحين والمتعبّدين، وجبالُه مساكن المجتهدين.

مروج الذهب ٢/ ١٨٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الباب السادس والتسعين
في ذكر أيام الوليد بن عبد الملك

٢١١٥ - وفي سنة سبع وثمانين ابتدأ الوليد ببناء المسجد الجامع بدمشق، وبناء مسجد الرسول (صلعم) بالمدينة؛ فأنفق عليهما الأموال الجليلة، وكان المتولّي للنفقة على ذلك عمر بن عبد العزيز. وحكى عثمان ابن مرّة الخولاني قال: لمّا ابتدأ الوليد ببناء المسجد بدمشقوجد في حائط المسجد لوحاً من الحجارة فيه كتابة باليونانيّة، فعُرض على جماعة من أهل الكتاب فلم يقدروا على قرائته، فوجّه به إلى وهب بن منبّه فقال: هذا مكتوب في أيام سليمان بن داود عليهما السلام. فقرأه فإذا فيه: «بسم اللّه الرحمن، يا ابن آدم لو عاينتَ ما بقي من يسير أجلك لزهدّت فيما بقي من طول أملك وقصرتَ عن رغبتك وحيلك، وإنما تلقى ندمك إذا رلّت بك قدمك وأسلمك أهلُك وحشمُك وانصرف عنك الحبيب وودّعك القريب، ثمّ صرتَ تُدعى فلا تُجيب، فلا أنت إلى أهلك عائد ولا في عملك زائد؛ فاغتنم الحياة قبل الموت والقوّة قبل الفوت، وقبل أن يؤخذ منك بالكظم ويُحال بينك وبين العمل. كُتِب زمن سليمان بن داود»(١).

---

(١) لا شك في رأينا أن الكتابة اليونانية المذكورة لم يكن في نصها ما أفصح به وهب أعلاه، وذلك لأنها لو كانت فعلاً من زمن سليمان بن داود لما كتبت باليونانية، ثم أنّى لسليمان الحضور إلى دمشق ليترك بها آثاراً؟ والذي نراه أن هذه الكتابة ما هي إلا نصٌّ يؤرّخ عمارة ما في زمن الروم البيزنطيين باللغة اليونانيّة، غير أن وهباً لمّا عجز عن قراءته ادّعى فيه ما ادّعى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢١١٦- فأمر الوليد أن يُكتب بالذهب على اللازَوَرْد في حائط المسجد:

«ربُّنا اللّه، لا نعبد إلاّ اللّه
أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة
التي كانت فيه عبد اللّه الوليد أمير المؤمنين
في ذي الحجّة سنة سبع وثمانين»

وهذا الكلام مكتوب بالذهب في مسجد دمشق إلى وقتنا هذا، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة.

مروج الذهب ٣/ ٣٦٥

من باب
ذكر الإقليم الرابع
في كتاب: التنبيه والإشراف

وعرض كل بلد هو بعده عن خط الاستوا، وإن شئت قلت ارتفاع القطب عليه: إن كان في النصف الشمالي من الأرض فارتفاع القطب الشمالي، وإن كان في النصف الجنوبي من الأرض فارتفاع القطب الجنوبي. لأنه كلما تباعدت المدينة عن خط الاستواء درجة ارتفع أحد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القطبين درجة وانخفض الآخر درجة. والطول هو بُعد المدينة من المغرب، وربما كان بعدها من المشرق. ومن المغرب إلى المشرق مائة وثمانون درجة.

فعرض بغداد ثلاث وثلاثون درجة، وطولها سبعون درجة. وكذلك عرض دمشق وعرض بغداد واحد، وطول دمشق ستّون درجة. وكذلك عرض مدينة القيروان من بلاد أفريقية من أرض المغرب، وكذلك أيضاً عرض بيت المقدس وقيسارية وصيدا وصور وانطاكية ومدينة السيرجان من أرض كرمان.

التنبيه والإشراف ٣٩

[نهر العاصي]

والأرنْط نهر حمص وحماة وشيزر وأنطاكية، الخارج من القرية المعروفة باللبوة بين حمص ودمشق. يشق بحيرة قَدَس وبحيرة فامية، ويصبّ إليه بالقرب من أنطاكية نهر الرقيا الخارج من بحيرة جنْدارس.

التنبيه والإشراف ٥٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منشورات الجامعة اللبنانية

قسم الدراسات التاريخية

١٠

المسعودي

مروج الذهب ومعادن الجوهر

الجزء الأول

طبعة تزيد على مئتي صورة وخريطة

عني بتنقيحها وتصحيحها

شارل بلا

بيروت

١٩٦٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ١٨ -

الأصبهاني
أبو الفرج علي بن الحسين
(توفي بعد ٣٦٢ هـ/ ٩٧٣م)

علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، من كبار أئمة العرب العربي، ومن الأعلام في معرفة التاريخ والأنساب والسِّير والآثار واللغة والمغازي. ولد في أصبهان عام ٢٨٤ هـ، ونشأ في بغداد وتوفي بها بعد عام ٣٦٢ هـ كما يتبيّن من كتابه «أدب الغرباء»، رغم أن المشتهر سابقاً أن وفاته كانت عام ٣٥٦ هـ.

تخلّد اسم أبي الفرج الأصبهاني (أو الأصفهاني) في التراث الأدبي العربي بكتابه النفيس «الأغاني» الذي يعتبر بحق أحد أعظم دواوين اللغة العربية وآدابها وأشعارها ومروياتها وأخبار أدبائها ومغنّيها وموسيقيّيها، قيل إن الأصبهاني جمعه في خمسين سنة، وجاء في ٢٤ جزءاً نشرتها دار الكتب المصريّة بالقاهرة بطبعة فاخرة بدءاً من عام ١٩٢٤م.

وللأصبهاني عدّة مؤلّفات أخرى منها: «مَقَاتل الطالبيين» و«نسب بني عبد شمس» و«القيان» و«الإماء الشواعر» و«أيام العربْ» ذكر فيه ١٧٠٠ يوم، و«التعديل والإنصاف» في مآثر العرب ومثالبها، و«جمهرة النسب»

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

و«الحانات» و«الخمّارون والخمّارات» و«أدب الغرباء» و«مجرّد الأغاني».

على أن ما يعنينا هنا هو كتابه «الديارات» الذي كان بحكم المفقود، عدا ما نقله منه المؤلفون المعاصرون له واللاحقون. وكتب الديارات تعتبر فرعاً من فروع الأدب الجغرافي العربي، خصّها مؤلّفوها بتعداد الأديرة المشتهرة في أزمنتهم، في كل من المدن وأرباضها كما في الفلوات البعيدة، مع ما يتعلّق بها من الأخبار والأشعار والمُلح والنوادر الأدبيّة. وأخصّ ما ظهر من هذه المؤلفات في القرن الرابع الهجري اثنان: كتاب الأصبهاني هذا، وكتاب الديارات للشابُشتي الآتي ذكره في محلّه.

وكان كتاب أبي الفرج مصدراً لكل من صنّف في هذا المجال، وهنا تكمن أهمّيته البالغة. وقد جمع فيه أخبار الأديرة المعروفة في عصره بالعراق والشام وفلسطين والجزيرة وغيرها، وحشد فيه أخبار من مرّ بها من الخلفاء والخلعاء والشعراء والأمراء والظرفاء، وضمّنه أخبار الأديرة التي كان يرتادها بنفسه.

ولم يصلنا من كتاب الديارات سوى نتف متفرّقة في كتب الأدب، قام بجمعها جليل العطيّةمؤخراً، وصدرت عن دار الريّس بلندن ١٩٩١.

المصادر:

كتاب الأغاني للأصبهاني، الجزء الأول من طبعة دار الكتب
كتاب الديارات للأصبهاني، مقدّمة عطيّة
تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ١/ ٢٣٥
الأعلام لخير الدين الزركلي ٥/ ٨٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دير سمعان

دير سمعان بدمشق : هو بنواحي دمشق، بالقرب من الغوطة، على قطعة من الجبل يطلّ عليها[1]، وحوله بساتين وأنهار وموضعه حسن جداً وهو من كبار الدّيرة، وعنده دُفن عمر بن عبد العزيز بظاهره[2].

قال راثيه :

قد قُلت إذ ضَمّنوك التُرْبَ وانصرفوا ... لا يبعدنّ قِوامُ العدلِ والدِّينِ
قد غيَّبوا في ضريح القبرِ منجدلاً ... بدير سمعان قسطاسَ الموازينِ
من لم يكن همُّه عَيناً يفجِّرها ... ولا النخيلَ ولا ركضَ البرازينِ

---

(١) كان موضع هذا الدير بصالحيّة دمشق عند المدرستين المعظّمية (بنيت ٦٢١هـ) والعزيزيّة (بنيت ٦٣٥هـ)، ذكر ابن طولون الصالحي في القرن العاشر الهجري : وشمالي هاتين المدرستين حوش عظيم بحيطان عاليّة، يقال إنه دير سمعان كان، وله باب يفتح إلى الشرق وداخله عدّة قبور معظّمة. أنظر : القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحيّة، ط٢، ١/ ٢٠٤ - ٢٠٦. وعلّق الأستاذ دهمان محقّق القلائد أن المدرستين المذكورتين (ومعهما بقايا الدير) لم يبق من آثارهما شيء، وكانتا بأسفل مقبرة المهاجرين قبلي مصنع الماء الكبير الذي شيّدته مصلحة عين الفيجة في هذه المقبرة. والظاهر أن المدرستين كانتا موجودتين من نحو سبعين عاماً (وكلام دهمان عام ١٩٤٩).

(٢) المُشْتهر لدى المؤرخين أن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد دُسّ له السمّ وهو بدير سمعان من أرض المعرّة فتوفي به، وقبره هناك مشهور إلى اليوم. ويبدو أن الأصبهاني لم يميّز بين الديرين وكلاهما يعرف بسمعان، ومردّ ذلك إلى أنه بغدادي لم يُقم بالشام. وفي الشام دير سمعان ثالث شمالي حلب. أما الخليفة عمر فقد سقاه بنو أميّة السمّ لما شدّد عليهم وانتزع كثيراً مما في أيديهم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد ذكر أبو الفرج أن صاحب دير سَمْعان دخل على عمر بن عبد العزيز بفاكهة يطرفه بها في مرضه، فقبلها منه وأمر له بدراهم، فأبى أن يأخذها. فما زال حتى أخذها، وقال: يا أمير المؤمنين! إنّما هي من ثمر شجرنا. فقال عمر رحمه اللّه: وإن كان من ثمر شجركم! ثم قال: يا صاحب دير سمعان! إنّي ميت من مرضي هذا.. فحزن وبكى. ثم قال له عمر: بِعني موضع قبري من أرضك سنة، فإذا جاء الحَوْل فانتفعْ به.

الديارات للأصبهاني ١٠٧

دير صليبا
بالقرب من دمشق مطل على الغوطة

حدّثني أبو بكر محمّد بن عمر قال: أخبرنا أبو عبد اللّه محمد بن الفضل النحوي، قال: حدّثني بعض بني حمدون عن شيوخه قال:

كنت مع المتوكّل لمّا شخص إلى الشام، فلمّا صرنا بحمص قال: أريد أن أطوف كنائس الرّهبان كلّها، والموضع المعروف بالفراديس إذا وصلنا إليها، فإني كنت أسمع بطيب هذا الموضع. فقلت: الرأي ما رآه أمير المؤمنين. ثم أُنزلنا منزلاً بين كنائس عظيمة وآثار قديمة، ترتاح النفوس إليها ويشتهي من ينزلها ألاّ يرتحل عنها.

فلمّا استراح من نَصَب الركوب استدعاني وقال: هل لك في التطواف؟ قلت: كما أمر أمير المؤمنين. فأخذ بيدي، فلم يزل يستقري

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تلك الكنائس و الديارات ويشاهد فيها من عجائب الصور وفاخر الآلة، ويرى من أحداث الرهبان وبنات القسّيسين وجوهاً كأنها أقمارٌ في غصون تتسنّى في تلك الأروقة والصحون . . وكلما مرّ بنا شيء من ذلك يقول لي : ترى ويْحَكَ ما نحن فيه ؟ ما شاهدتُ مثل هذا قطّ !

ثم خلَوْنا براهب من قُوّام الكنيسة، فلم يزل المتوكّل يسأله عن حال كلّ جارية وغلام يمرّ به واسمه ونسبه، وهو يمشي، إذ لمح كتابة على حائط الكنيسة، فقرّبنا من ذلك فإذا هو :

« حضر الغريب المشرّد الحريب[1] وهو يقول : شتّتَ شملي بعد الإلفة، وشقي جسمي بعد الكلفة، ومشيتُ من العراق إلى هذا الرواق، وارتحلتُ عنه في ذي الحجّة من سنة إحدى ومائتين، وأنا أقول » :

آل أمري إلى أخسّ الأمور ... وتبدّلتُ كُربةً بسرورِ
واعترتني من الزمان خُطوبٌ ... تتبارى في هتكة المستورِ
نفسُ صبراً لحادثات الليالي ... كلُّ شيءٍ يذلُّ للمقدورِ

فقال : ويَحكَ ! ما أطرف هذا المسكين، وما أحرق هذا الأنين. ونحن في ذلك، إذ مرّت بنا جارية ما رمقتْ عيني لها شبيهاً، وعليها جوب[2] وفي يدها دخنةٌ تدخّن بها[3] . . . فقال لها المتوكّل :

---

(١) الحريب : المحروم والمسلوب.

(٢) الجَوْب : القميص تلبسه المرأة.

(٣) أي مبخرة تبخّر بها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تعالي يا جارية. فأقبلتْ بحسن أدب وكمال. فقال للراهب: من هذه؟ فقال: ابنتي. قال: وما اسمها؟ قال: سَعانين[1]. قال المتوكّل: اسقيني ماءً. فقالت له: يا سيّدي، ماؤنا ها هنا من ماء الغدران، ولست أستنظف لك آنية الرهبان، ولو كانت ترويك لجدّتُ بها لك.

ثم أسرعتْ فجاءت بكوزٍ من فضة فيه ماء، فأومأ إليّ أن أشربه، فشربته. واشتدّ عجبه بها وشهوته لها، فقال لها: يا سعانين! إن هويتكِ تسعديني؟ فتنفّست وقالت: أمّا الآن فأنا عَبْدَتُك، وأمّا إذا عرفتُ صحّة حبّك وتمكّنت من قلبك، فما أخوفني من حدوث الطغيان عند تمكّن السلطان. أما سمعتَ قول الشاعر:

كنتَ لي في أوائل الأمر عبداً ثمّ لمّا ملكتَ صرتَ عدوّا
أين ذاك السرورُ عند التلاقي صار منّي تَجنّباً ونُبُوّا

فطرب المتوكّل وكاد يشقّ قميصه، ثم قال لها: فهبي لي نفسك اليوم حتى نشرب أنا وأنتِ، فإنّي ضيفُك. قالت له: بالرَّحب والسّعة.

ثم أصعدت بنا إلى عليّة مشرفة على تلك الكنائس كلّها، فرأينا منظراً حسناً، ثم مضت فجاءت بآدام نظاف ورقاق، وكأن المتوكّل عافها لعزّة الخلافة، فاستأذنها في إحضار طعام[2]، فأذنت. فجيء بخروف وسنبوسج، وأشياء قريبة المأخذ من طعام مثله. فاستظرفتْ ما جيء

(١) سَعانين أو شعانين: كلمة ساميّة تعني عيد الأحد الذي يسبق عيد الفصح.

(٢) أي مما تحمله حاشيته المرافقة له.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

به، واستهولتْ الآلة، ففطنتْ لأمر المتوكّل فقامت قائمة بين يديه تخدمه وتكفّر له، فمنعها.

ثم جاءنا أبوها بشراب من بيت القربان، ذكر المتوكّل أنه لم ير مثله قطّ. فشرب وشربتْ معه، واستعفيتُه من أجل حُمّى كانت لحقتني في تلك الليلة، فأعفاني. وسُرّ بها وبظُرفها وحلاوة منطقها سروراً تاماً. فلمّا أخذ الشراب منها قالت: أغنّيك يا سيّدي من غنائنا، على ضعف الصنعة؟ فكاد أن يهيم، وقال: إن فعلتِ كملَ واللّه ظرفكِ. فقامتْ فجاءت بشيء ويسمونه «القيثارة» وضربتْ واندفعت تغنّي:

يا خاطباً منّي المودّة مَرْحَباً ... سَمعاً لأمرٍ لا عَدِمْتُكَ خاطبا
أنا عبدةٌ لهواكَ فاشربْ واسقني ... واعدِل بكأسكَ عن خليلكَ إن أبى
قد والذي رفع السماء ملكتني ... وتركتَ قلبي في هَواكَ مُعذَّبا

فنَعَرَ المتوكّل وقال لي: ويْلَك! أميّتٌ أنت؟ فانتبهتُ، وعلمتُ أنني قد أخطأت في ترك مساعدته. فأخذتُ رطلاً، فلم أزل أشربُ حتّى لحقته. ومضى لنا يوم كان في الأيام فرداً.

ثمّ أرغبها المتوكّل فأسلمتْ، وتزوّجها. ولم تزلْ حظيةً عنده إلى أن قُتل وهي في داره.

ورأيتُ في بعض النسخ أنّ شحروراً وقمرياً كانا يصيحان على أعالي أشجار بالدير فأصغى إليهما المتوكّل. فلما تحقّقتْ [سعانين] إصغاءه أنشدته:

وكأنما الشحرورُ راهبُ بيعةٍ ... ألهاه طِيب الوقتِ عن تزنيرهِ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جُعلتْ لك فلك الغصون صَوامعاً ينعين في إنجيله وزبوره
وكأنما القمريُ يندبُ شجوه بأنينه وحنينه وزفيره
صَبٌّ شَجته بلابلٌ لمّا دَنتْ منه ديار أنيسه وسميره

فأعجبه ذلك منها وزاد بها سروراً، ولها محبة.

الديارات للأصبهاني ١١٢

دير فطرس ودير بولس
بظاهر دمشق

قال أبو الفرج: هذان الديران[1] بظاهر دمشق بنواحي بني حنيفة في ناحية الغوطة، والموضع حسن عجيب كثير البساتين والأشجار والمياه.

قال جرير:

لمّا تذكّرتُ بالدَّيرين أرّقني صوتُ الدَّجاجِ وضَربٌ بالنَّواقيسِ
فقلتُ للرَّكبِ إذ جدَّ الرحيلُ بنا يا بُعدَ يَبرينَ من بابِ الفَراديسِ

(١) أنظر: معجم البلدان لياقوت ٢/ ٥٢٥، معجم ما استعجم للبكري ٢/ ٥٧٢، الأغاني للأصبهاني ٣/ ٢٢٠.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفيه يقول أيضاً يرثي ابنه :

أودى سوادةُ يبدي مُقلتي لحمٍ ... بازٍ يُصرصِرُ فوق المرقبِ العالي
إلا تكن لك بالدَّيرين باكيةٌ ... فربَّ باكيةٍ بالرملِ معوالِ
قالوا نصيبُك من أجرٍ فقلتُ لهم ... كيف القرارُ وقد فارقتُ أشبالي

الديارات للأصبهاني ١٢٧

دير الماطرون
قرب دمشق

قال أبو محمد حمزة بن القاسم : قرأتُ على حائط بستان بالماطرون هذه الأبيات :

أرقتُ بدير الماطرون كأنّني ... لساري النجوم آخر الليلِ حارسُ
وأعرضت الشِّعرى العبورُ كأنها ... مُعلَّقُ قنديل عليها الكنائسُ
ولاحَ سُهَيلٌ عن يميني كأنَّهُ ... شِهابٌ نحاهُ وجهةَ الريحِ قابسُ

وهي أبيات قديمة تُروى لأرطأة بن سُهيَّة .

الديارات للأصبهاني ١٥١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دير مُرّان
قرب دمشق

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال: حدّثني السكري والمبرد عن دماذ أبي غسّان، واسمه رفيع بن سلمة، عن أبي عبيدة:

أن معاوية وجّه جيشاً إلى بلد الروم ليغزو الصائفة، فأصابهم جُدَري فمات أكثر المسلمين، وكان ابنه يزيد مصطبحاً بدير مرّان مع زوجته أم كلثوم، فبلغه خبرهم فقال:

إذا ارتفقتُ على الأنماط مُصطبحاً بدير مُرّان عندي أمُّ كُلثومِ
فما أبالي بما لاقتْ جُنودُهم بالغَذَقذونة من حُمَّى ومن مُومِ

فبلغ شعره أباه فقال: أجل واللّه ليلحقنَّ بهم فليصيبنَّه ما أصابهم. فخرج حتى لحق بهم وغزا حتى بلغ القُسطنطينيّة، فنظر إلى قُبَّتين مبنيتين عليهما ثياب الديباج، فإذا كانت الحملة للمسلمين ارتفع من إحداهما أصوات الدفوف والطبول والمزامير، وإذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأخرى. فسأل يزيد عنهما فقيل له: هذه بنت ملك الروم، وتلك بنت جبلة بن الأيهم، وكلّ واحدة منهما تظهر السرور بما تفعله عشيرتها. فقال: أمَا واللّه لأسرَّنّها! ثم صفّ العسكر وحمل حتى هزم الروم فأحجرهم في المدينة، وضرب باب القُسطنطينيّة بعمود حديد كان في يده فهشَّمه حتى انخرق، فضُرب عليه لوح من ذهب فهو عليه إلى اليوم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال أبو الفرج الأصبهاني :

ودير مرّان هو بناحية من دمشق على تلّة مشرفة على مزارع ورياض نَزِهة بَهِجة ، نزل به هارون الرشيد وقصف فيه وشرب ، وكان مع الرشيد حين نزل به الحسين بن الضحّاك الخليع ، فقال له : بحياتي قل فيه شعراً ! فقال فيه أبياتاً منها :

يا دير مرّان لا عُرِّيتَ من سَكَنٍ ... قد هجتَ لي شَجَناً يا دير مُرّانا
سُقياً ورَعياً لمُرّانٍ وساكنه ... يا حبّذا قاطنٌ بالدير من كانا
حثَّ المُدامَ فإن الكأس مترعةٌ ... ممّا يهيّجُ دواعي الشوقِ أحيانا

وأمر الرشيد عمرو بن بانة أن يغنّي فيه لحنين ، أحدهما هَزَج والآخر رَمَل .

وحكى إسحاق الموصلي عن أبيه قال :

مرّ الرشيد بدير مُرّان فاستحسنه وأعجبه إشرافه على بساتين حسنة ، ورياض مونقة بهجة ، فنزله وأمر أن يؤتى بطعام خفيف ، فأكل وشرب ودعى بالندماء والمغنّين . وخرج إليه صاحب الدير ، وكان شيخاً كبيراً هرماً ، فوقف بين يديه ودعا له واستأذنه أن يأتيه بطعام الدير ، فأذن له في ذلك ، فأتاه بأطعمة لطيفة مختصرة في آنية نظيفة ، فكان ذلك في نهاية الحُسن والطيب . فأكل منها كثيراً واستطابها ، وأمر الشيخ بالجلوس فجلس بين يديه ، فأقبل عليه الرشيد بوجهه وسأله فحدّثه واستظرف حديثه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم قال: هل نزل بك في هذا الدير أحد [من] بني أميّة ؟ قال: نعم أصلح اللّه مولاي أمير المؤمنين، قد نزل بي ها هنا الوليد بن يزيد ومعه أخوه الغَمْر، فجلسا في هذا الموضع الذي جلس فيه مولاي أمير المؤمنين، فقدّمت إليهما طعاماً فأكلا وشربا وغنّيا وطربا. . . فلمّا أخذ الشراب منهما وثب الوليد إلى ذلك الحوض، وكان مملوءاً شراباً، فكرع فيه، وفعل مثل ذلك أخوه الغَمْر حتى سكرا وناما مكانهما. فلمّا أفاق الوليد من سكره أمر بالحوض فمُلىء لي دراهم، ثم انصرفوا.

فنظر إليه الرشيد، أعني إلى الكأس، فإذا هو لا يقدر أن يشرب ملأه، فقال: أبى بنو أميّة إلا أن يسبقونا إلى اللذات سَبَقاً لا يجاوزهم أحد ! ثم أمر برفع الشراب وركب من وقته وانصرف، وأمر للديراني بجائزة سنيّة.

حدّثني الصُولي قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبي قال حدّثنا عمرو بن بانة قال:

خرجنا مع المعتصم إلى الشام لمّا غزا، فنزلنا في طريقنا بدير مرّان، وهو دير على تَلعة مشرفة عالية تحتها مروج ومياه حسنة، فنزل فيه المعتصم فأكل ونشط للشرب ودعا بنا. فلمّا شربنا أقداحاً قال لحسين بن الضحّاك: أين هذا المكان من ظهر بغداد ! قال: لا أين يا أمير المؤمنين ! . . واللّه لَبعض الغياض والآجان هناك أحسن من هنا ! قال: صدقتَ واللّه. . وعلى ذلك فقل أبياتاً يغني فيها عمرو. فقال: أمّا أن أقول شيئاً في وصف هذه الناحية بخير فلا أحسب لساني ينطق به، ولكنّي أقول متشوّقاً إلى بغداد. فضحك وقال: قل ما شئت. فقال:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يا دير مِديان لا عُرِّيتَ من سَكَنٍ ... هيّجتَ لي سَـقَماً يا ديـر مِديانـا
هل عند قَسِّكَ من علمٍ فيخبرنـا ... أم كيف يُسعِفُ وجه الصبرِ من بانـا
حثّ المدامَ فإن الكأسَ مترعةٌ ... مما يهيج دواعي الشوقِ أحيانـا
سقياً ورعياً لكرخايـا وساكنها ... وللجُنينـة بالروحـاء مـن كانـا

فاستحسنها المعتصم، وأمرني ومُخارقاً فغنَّينا فيها، وشرب على ذلك حتى سكر وأمر للجماعة بجوائز.

الديارات للأصبهاني ١٥٣-١٥٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

الجزء الأول

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧ م

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ١٩ -

ابن حَوْقَل
محمد بن حَوْقَل المَوْصلي
(توفي بعد ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧م)

أبو القاسم محمد بن علي النصيبي البغدادي والموصلي الأصل، المعروف بابن حَوْقَل، تاجر رحّالة ظلّ يتجوّل أكثر من ثلاثين سنة. غادر بغداد سنة ٣٣١ هـ لدراسة البلاد ورغبة في التجارة، فطاف العالم الإسلامي من شرقيّه إلى غربيّه (ما بين ٣٣١ - ٣٦٢ هـ)، وقد انتظم تجواله شمال أفريقية والمغرب والأندلس وزار ناپولي وپاليرمو وعرف عن كثب العراق وخراسان وفارس وما وراء النهر وجزءاً من الهند، كما زار مصر والسودان الغربي وأرمينية وأذربيجان. واتّصل بالفاطميين، ويقول المستشرق دوزي إنه كان يتجسس لهم.

وقد ظهر الاهتمام بالجغرافية لديه مبكراً، ومما حفزه إلى ذلك مقابلته للإصطخري عام ٣٤٠ هـ، وكان الإصطخري قد رسم خارطة رديئة للسِّنْد مع خارطة جيّدة لفارس، فأراه ابن حَوْقَل خارطتين من صنعه، إحداهما لأذربيجان والأخرى للجزيرة، فمدحهما الإصطخري كثيراً. ثم طلب هذا الأخير إلى ابن حوقل أن يعيد النظر في كتابه كلّه ويُحسّنه، ففعل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن حوقل ذلك. ومنذ ذلك الحين أصبح الإصطخري دليلاً له، بعد أن كان يعتمد قدامة بن جعفر من قبل، وعندما أعاد تأليف كتابه «المسالك والممالك» احتذى حذو الإصطخري، ولكنّ خارطاته كانت أدقّ وأنفع.

ولهذا نجد في مكتبات العالم عدّة مسوّدات مخطوطة لكتاب ابن حوقل «المسالك والممالك»، ويميل المستشرق كرامرز Kramers إلى القول بوجود ثلاث مسوّدات للكتاب. هذا وقد عُرف الكتاب أيضاً بتسمية أخرى هي: «صورة الأرض». وقد قدّم ابن حوقل المسوّدة الأولى من مصنّفه إلى سيف الدولة الحمداني (توفي ٣٥٦ هـ)، بينما ترجع المسوّدة الثانية إلى حوالي عام ٣٦٧ هـ. بيد أنه ألّفه بالأصل للشريف الحسن بن الفضل الأصفهاني. فيما يرى المستشرق الإيطالي ريتسيتانو Rizzitano أن النسخة النهائية من الكتاب قد وُضعت سنة ٣٧٨ هـ.

وفي كتابه هذا عني ابن حوقل بذكر الأقاليم والبلدان، وطبائع أهلها وخواصّها وجباياتها وخَراجاتها، وأنهارها واتّصالها بشطوط البحار، والمسافات التي بينها للسفر والتجارة. وتلمح في كتابه الكثير من الإشارات الاجتماعية والاقتصادية، وقد نقل كثيراً من كتب الذين سبقوه. والمُطالع لكتاب ابن حوقل يتبيّن له بوضوح دقّته في وصف المدن والبلدان. ومن أهم ما يميّزه احتواؤه لخوارط جغرافيّة قيّمة لبعض البلدان الإسلاميّة، وهي من أشهر ما خلّفه لنا جغرافيّو القرن الرابع الهجري من خوارط لديار العالم الإسلامي، والتي بلغ عددها ٨٢ خريطة كما أحصاها نقولا زيادة في كتابه: الجغرافية والرحلات عند العرب.

قام بنشر كتاب «المسالك والممالك» المستشرق الهولندي دى خُويْه M. J. De Goeje، وطبع في لايدن بهولاندة عام ١٨٧٢م. ثم عاد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المستشرق كرامرز فنشر الكتاب بطبعة ثانية في لايدن أيضاً عام ١٩٣٨، عن أقدم مخطوطة لكتاب ابن حوقل، وهي مخطوطة اسطنبول التي يرجع تاريخها إلى عام ٤٧٩ هـ. وكان المستشرق الإنكليزي السير وليم أوسلي قد ترجم الكتاب إلى الإنكليزية عام ١٨٠٠.

وقد نقلنا من كتاب المسالك والممالك نصّ ابن حوقل الذي ذكر فيه جُنْد دمشق، ونصّه يشبه ما ورد عند الإصطخري والبلخي. وقد رجعنا في ذلك إلى طبعة دى خُوْيِّه القديمة، وقابلناها على طبعة كرامرز، وأضفنا الزيادات الواردة في هذه الطبعة الأخيرة على النصّ المذكور، وذلك بين حاصرتين: [ ].

وإتماماً للفائدة، نُرفق هذا النصّ بصور عن بعض الخارطات القديمة الواردة في كتاب «المسالك والممالك» لابن حوقل.

المصادر:

المسالك والممالك لابن حَوْقَل، مقدّمتا دى خُوْيِّه و كرامرز

تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ١/ ٢٠٠

دائرة المعارف الإسلامية، مادة ابن حوقل لڤان أرندونك

الرحّالة المسلمون لزكي محمد حسن ٣٩-٤٢

جهود المسلمين في الجغرافيا لنفيس أحمد ٥٤

مدينة دمشق عند الجغرافيين للمنجّد ٦٨

الرحلة والرّحالة المسلمون لأحمد رمضان ١١٧

العراق في الخوارط القديمة لأحمد سوسة ١٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دمشق

وأما جُند دمشق فإنّ قصبتها دمشق، وهي أجلّ مدينة بالشام. وهي في أرض واسطة [مستوية قد دُحيت] بين جبال، تحفُّ بها مياه كثيرة وزروع متّصلة، وتُعرف تلك البقعة بالغُوطة، عرضها مرحلة في مرحلتين، وليس بالشام مكان أنزه منها.

ومخرج مائها من تحت بَيْعَة تُعرف بالفيجة، مع ما يأتي إليه من عين بَرَدَى من جبل سنَير، [وهو أول ما يخرج مقدار ارتفاع ذراع في عرض باع، ثم يجري في شِعْب] يتفجّر على حافتيه عيون كثيرة. ثم يخرج من ذلك نهر كبير أخرجه يزيد بن معاوية، يغوص الرجل فيه عمقاً. ثم يخرج منه نهر المزّة ونهر القَناة، ثم يظهر عند خروجه من بين الشِّعاب في موضع يقال له النَيْرَب، ويقال إنه الموضع الذي عناه اللّه تعالى بقوله: ﴿وآويناهُما إلى ربوةٍ ذاتِ قرارٍ ومَعين﴾[1]. ثم يتّصل من هذا الماء عمود النهر المسمّى بَرَدَى، وعليه قنطرة في وسط مدينة دمشق عريضة كثيرة الماء [لا يعبرها الراكب غُزْرَ ماءٍ وكثرة]، فيُفضي إلى قرى الغُوطة فيجري الماء في عامة دورهم وسِككهم وحمّاماتهم.

وبها مسجد ليس في الإسلام مثله ولا أحسن بُقعة منه. فأمّا الجدار والقبّة التي فوق المحراب عند المقصورة فمن بناء الصابئين، وكان مصلّى لهم، ثم صار في أيدي اليونانيين فكانوا يعظّمون فيه دينهم، ثم صار لملوك من عبدة الأوثان. فقُتل في ذلك الزمان يحيى بن زكريّا (عم)، ونُصب

---

(١) سورة المؤمنون - ٢٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رأسه على باب المسجد المسمّى باب جَيرون. ثم تغلّب عليه النصارى فصار في أيديهم بَيعة يعظّمون فيه دينهم. ثم جاء الإسلام، فصار المكان للمسلمين واتّخذوه مسجداً.

وعلى باب جَيرون نُصب رأس الحسين بن علي (عم)، بالموضع الذي نُصب فيه رأس يحيى بن زكريّا (عم). فلمّا كان في أيام الوليدبن عبد الملك عمّره فجعل أرضه رُخاماً مفروشاً، وجعل وجه جدرانه رُخاماً مجزّعاً، وأساطينه رُخاماً موشّى، ومعاقد رؤوس أساطينه ذهباً، ومحرابه مذهَّب الجملة مرصّعاً بالجواهر، ودور السقف كلّه ذهباً مكتوباً عليه كما يطوف بترابيع جدار المسجد، وقيل إنّه أنفق عليه وحده خَراج الشام سنتين، وسطحه رصاص. وإذا أرادوا غسله بَثَقَ الماء إليه فدار على رقعة المسجد بأجمعه، حتى إذا فُجِّر منه انبسط عنه وعن جميع الأركان بالسويّة.

وكان خَراج الشام على عهد [بني مروان] ألف ألف دينار [وفوق ثمان مائة ألف دينار][1].

وفي حدود دمشق بَعْلَبَك، وهي مدينة في سفح، عامّة أبنيتها من حجارة، وبها قصور من حجارة قد بُنيت على أساطين شاهقة، وليس بأرض الشام بنية بحجارة أكبر منها ولا أعجب من بنائها.

وطرابلس، وهي مدينة كثيرة الخير والغلات والفواكه الجيّدة، بيّنة الخصب والرخص، وهي قريبة من مدينة بيروت التي على ساحل بحر الروم، وهي فُرضتها وساحلها، ومرابط أهل دمشق وسائر جندها وإليها

---

(١) ما بين حاصرتين ورد في طبعة كرامرز، وأما في طبعة دى خُويّه: «وكان خراج الشام على عهد بني أميّة ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ينفرون عند استنفارهم، وليسوا كأهل دمشق في جفاء الأخلاق وغلظة الطباع، وفيهم من إذا دُعِي إلى الخير أجاب [وأصغى]، وإذا أيقظه الداعي أناب.

ولنفس دمشق خاصيَّة بطالعها الجاري بها على الخلاف. وسمعت عبد اللّه بن محمد [القلم] يقول: برجها معوجٌّ فاسد، مع شرفه وضيائه، وقلَّما كان طالعَ بلدٍ فصَفَتْ طاعتهُ واستقامتْ، وذكر سمرقند وأردبيل ومكّة ومشق وصقليَّة، وقال: لا تصلح لسلاطينها، ولا يستقيمُ سلاطينها بها. وأكثر هذه المدن فالغدر أثبت ما في نفوسهم، والشرُّ أشمل الأحوال عليهم.

وببيروت هذه كان مقام الأوزاعي، وهي ذات نخيل وقصب سكَّر وغلات متوفّرة، وتجارات البحر عليها دائرة، وسابلتها غير منقطعة، حصينة خصيبة منيعة السور رخيصة الأسعار، جيّدة الأهل مع منعة فيهم من عدوّهم وصلاح في عامّة أمورهم.

المسالك والممالك لابن حوقل ١١٤- ١١٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خارطة العالم

لابن حوقل (٣٦٧ هـ) - (٩٧٧ م)

هو ابو محمد بن علي الموصلي التاجر الرحالة ، ولد في بغداد ونشأ بها وتوفي على الجزيرة في اقاصي المعمورة بجانب العالم الاسلامي بقصد دراسة البلاد والشعوب ويقتصد الكسب عن طريق التجارة واستمر في جولاته وارتحاله ثماني وعشرين سنة وذلك من سنة ٩٤٢ م الى سنة ٩٧٠ م ، ودوّن اشياء رحلته في سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ م) في كتاب سماه « المسالك والممالك والمتاول والممالك » اقتبس فيه على ذكر سنات الممالك الاسلامية ولم يتعرض لغيرها الا قليلاً ، ووشح كتابه هذا بالخرائط فهم اكثر اقليم من اقاليم الاسلام خارطة او اكثر . وهذا الكتاب مختص بالجغرافية تحدى وصف الاقطار والاصقاع والمدن والبلدات والانهار والغدران والقفار وبحث في ثروة البلاد وتجارة اهلها وبجباية الضرائب وذكر مسافات الطرق والمسالك . وقد طبع هذا الكتاب مع الخرائط طبعة اولى في ليدن سنة ١٨٧٣ م بعنوان « صورة الارض » وذلك باسناد دي غوبه من ضمن المكتبة الجغرافية العربية (مجلدها الثاني في قسمين) ، طبعت الطبعة الثانية في ليدن ايضاً سنة ١٩٣٨-١٩٣٩ م . وقد ترجم الكتاب الى الانكليزية السير ويليم اوسلي وطبعت هذه الترجمة سنة ١٨٠٠ م . وقد درس ابن حوقل مؤلفات الجغرافيين المتقدمين كما نجيها في ابن خرداذبه وقدامه والاصطخري ، وبهاء تشبيهه للأقطار مثل تقسيم الاصطخري في كتابه « مسالك الممالك » والجارة كلها تكون واسعة في كثير من الاماكن

« مقتطفات من كتاب (المسالك والممالك)

« .... وضبة الارض على الجنوب والشمال فاما امتدت من المشرق من المنابع الذهب بامتداد من البحر المحيط باوض الصين الى الخليج الذي يأخذ من هذا البحر المحيط من اوض المغرب بين أرض الاندلس وطنجه فقد تبين الارض قسمين ويختلف هذه القسمة بأخذ من بحر الصين حتى يتفرع بلد الهند ووسط مملكة الاسلام حتى يمتد على ارض مصر الى المغرب ، فاما كان في حد الشمال من هذين القسمين فأهله بين وكلما تيا مدوا في الشمال ازدادوا برداً ، وما كان مما يلي الجنوب من هذين القسمين فاهله سود وكلما ازدادوا تباعداً في الجنوب ازدادوا سواداً واعتدل هذه الممالك في الخط المستقيم وما قاربه .... »

« بتحقيق الدكتور احمد سوسه »

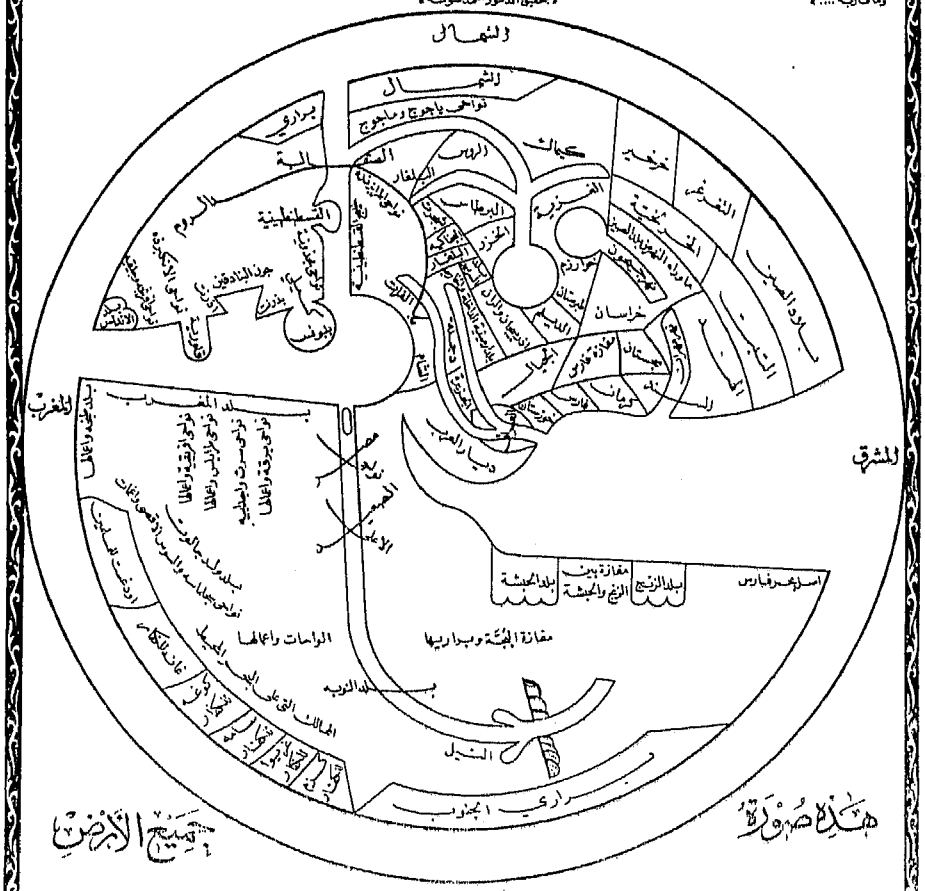
الشمال
الشمال
بحر الروم
الروم
الصقالبة
بحر الخزر
بحر الخزر
بحر الديلم
بحر طبرستان
بحر جرجان
بحر فارس
بحر الهند
بحر الزنج
بحر الحبشة
بحر القلزم
بحر مصر
بحر الاسكندرية
بحر برقة
بحر افريقية
بحر طرابلس
بحر سرت
بحر برقة
بحر المغرب
بحر طنجة
بحر الاندلس
بحر الظلمات
بحر الزنج
بحر الحبشة
بحر النوبة
بحر النيل
بحر اليمن
بحر عمان
بحر فارس
بحر الديلم
بحر طبرستان
بحر جرجان
بحر الخزر
بحر الخزر
بحر الروم
بحر الشام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صورة ديار العرب

لابن حوقل (٣٦٧ هـ - ٩٧٧م) - مقتطفات من كتابه «المسالك والممالك»

«... فابتدأت بديار العرب لأن القبلة بها ومكة فيها وهي أم القرى وبلد العرب وأوطانهم التي لم يشركهم في سكناها غيرهم، والذي يحمل إليها بحر فارس من هرمز دان وهو معسب ماء دجلة في البحر فمتد على البحرين حتى ينتهي إلى عمان ثم يعطف على سواحل نهرية وحضرموت وعدن حتى ينتهي على سواحل اليمن إلى جدة ثم يمتد على الحجاز وملين حتى ينتهي إلى أيلة ثم قد انتهى حينئذ حد ديار العرب من هذا البحر وهذا المكان من البحر لسان ويرفى بحر القلزم والقلزم مدينة على طرفه وسيفه فإذا استمر على تاران وتجتمعان وصل إلى القلزم وينقطع حينئذ وهو شرقي ديار العرب وجنوبيها وشرقيها، ثم يمتد عليها من أيلة على معان فهو لوط والبحيرة الميتة التي تعرف ببحيرة زغر إلى المشراة والبلقاء وهي من عمل فلسطين والاردنات وحوران والبثنية وغوطة دمشق ونواحي بعلبك وهي من عمل دمشق وتدمر وسلمية وحماة حتى حمص ثم إلى الخناصرة وبالس وهما من عمل قنسرين، وقد انتهى الحد إلى الفرات ثم يمتد الفرات على ديار العرب حتى ينتهي إلى الرقة وقرقيسيا والرحبة والدالية وعانة والحديثة وهيت والانبار إلى الكوفة ومستنقع مياه الفرات إلى البطائح، ثم تمتد ديار العرب على نواحي الكوفة والحيرة على الخورنق وعلى سواد الكوفة إلى حد واسط فتصاقب ما هو ردجلة وقاربها عند واسط مقدار مرحلة ثم تبعد وتستقر على سواد البصرة وبطائحها حتى تنتهي إلى عبادان ...»

«تتمة الكلام على سورية»

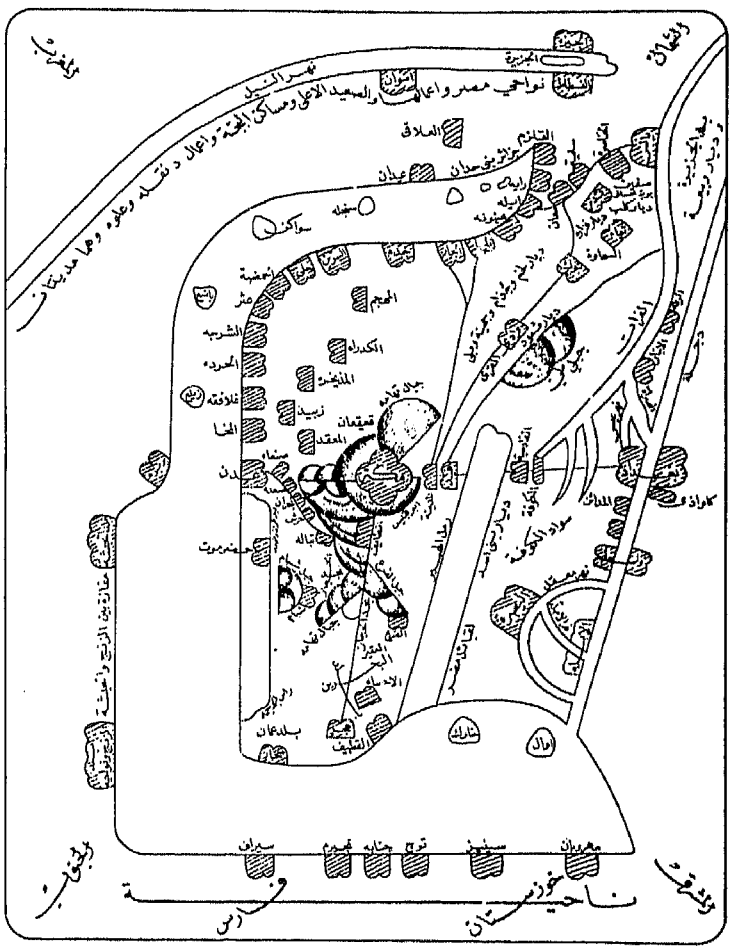

صورة الجزيرة

لابن حوقل (٣٦٧ هـ : ٩٧٧ م) مقتطفات من كتابه المسالك والممالك

«... فاما الجزيرة التي بين دجلة والفرات فتشتمل على ديار ربيعة ومضر، ومخرج الفرات من داخل بلاد الروم على أشكلته محاذراً من مطلعه على يومين وشيء يجري بينها وبين السديد المعروفة كانت بيشمشاط للمسلمين، ويجري على سميساط ونواحي جسر منبج ويمر بالس الى الرقة، وقرقيسيا والرحبة وهيت والانبار وينقطع المدعن الفرات مما يلي العربية بالانبار ثم يعود حد الجزيرة في ست الشمال فيكون الى تكريت الحد المذكور وتكريت على دجلة وبينها وبين الحد منها مما عداً على دجلة الماسكن مما يلي العربية، والموصل وبعمد ينعود دجلة الى الجزيرة المعروفة بابن عمر ثم ينجاوزها الى آمد فيكون ما في غربيها من ديار ميافارقين ثم يعود السد مغرباً على السبر الى سميساط ثم ينحني الى مخرج ماء الفرات في حد الاسلام من حيث ابتدأنا به ومخرج دجلة وارذكاء من حدود بلد الروم فطولها ما كان في يد المسلمين وعرض الاسلام من لدن بمراحل، وعلى شرقي دجلة وغربي الفرات مدن وقرى تنسب الى الجزيرة وهي خارجة عنها وغالبة بنفسها...»

تحقيق الدكتور احمد سوسه

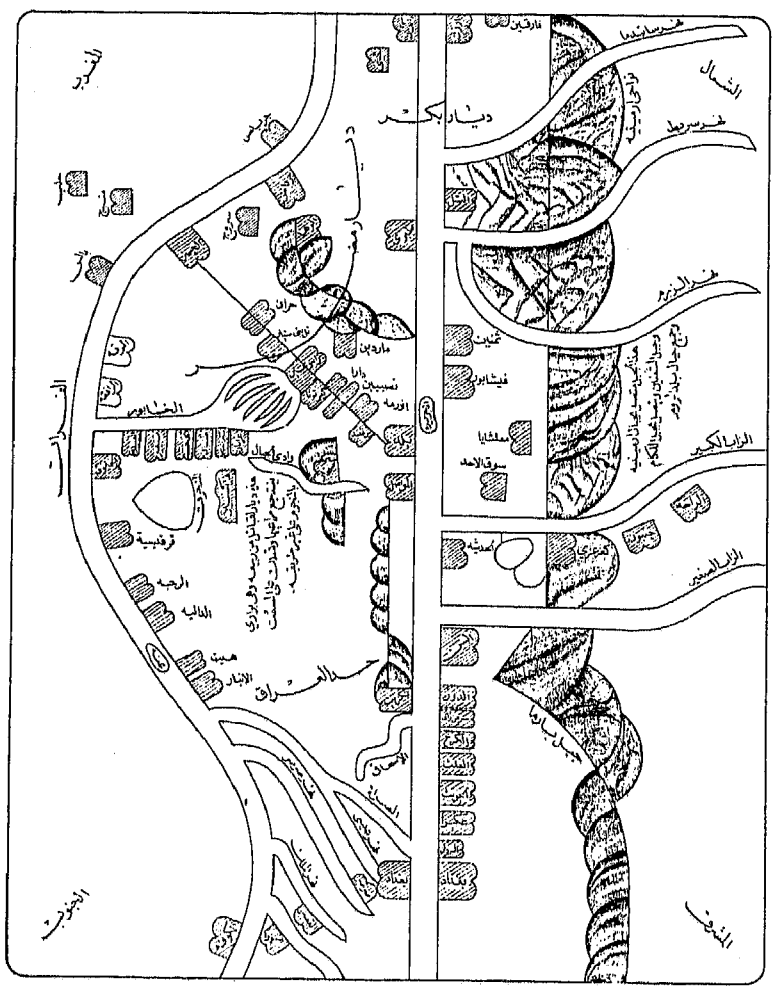

ملحوظة: ان الخارطة الاصلية كانت مقاربة على الطريقة التديمة أي جعل الشمال بها في أسفل الخارطة والجنوب في اعلاها وقد عكسناها بعبارة للمدينة في رسم الخرائط الشعبية الحديثة

صورة العراق

لابن حوقل (٣٦٧هـ)-(٩٧٧م)

«مقتطف من كتابه (المسالك والممالك)»

«.... واما حد العراق فانه في الطول من حد تكريت الى عبادان وعبادان مدينة على نهر جسر فارس ، وعرضه من القادسية على الكوفة وبغداد الى حلوان ، وعرضه بنواحي واسط من سواد واسفل الى قرب الطيب ، وبنواحي البصرة من البصرة الى حدود جُبَّى ، والذي يطيف بحدوده من تكريت فيما يلي المشرق حتى يجوز بحدوده سهرورد وشهرزور ثم يمرّ على حدود حلوان وحدود السيروان والصيمرة وحدود الطيب والسوس حتى ينتهي الى حدود جُبَّى ثم الى البصرة فيكون في هذا الحد من تكريت الى البصرة تقويس ، ويرجع على حد المغرب من وراء البصرة في البادية على سواد البصرة ويطيفها الى واسط ثم على سواد الكوفة ويطيفها الى الكوفة ثم على نهر الفرات الى الانبار ثم من الانبار الى حد تكريت بين الدجلة والفرات وفي هذا الحد من البصرة على الانبار الى تكريت تقويس ايضاً ، وهذا الحد يحد العراق .....»

«بحقيق الدكتور احمد سوسة»

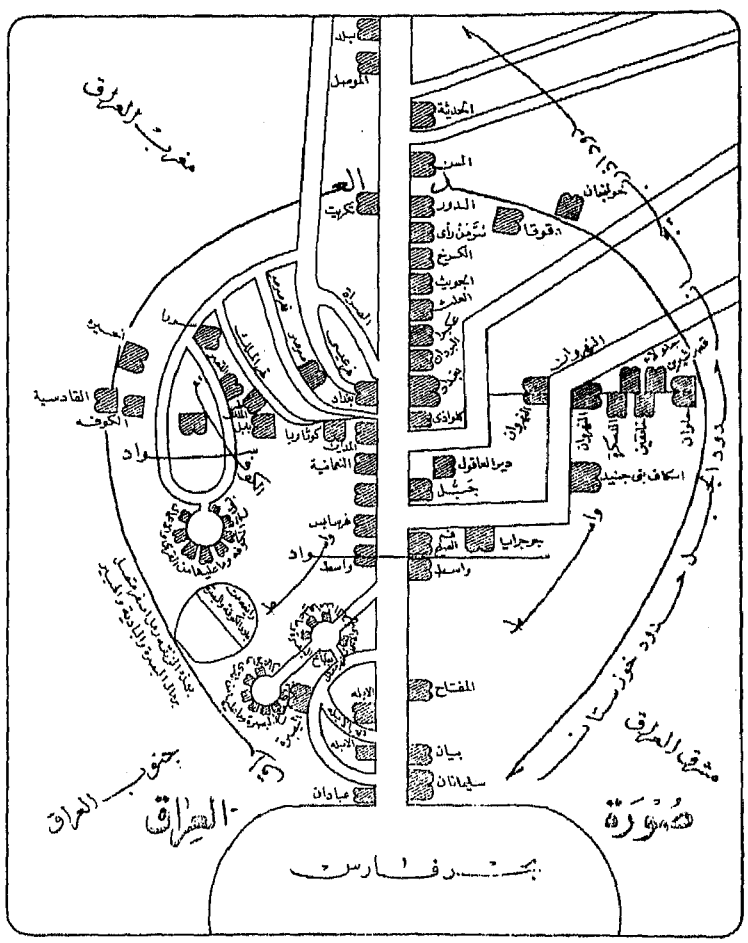

ملحوظة : ان المارة الاصلية كانت مثبوتة على الخريطة القديمة (ان الشمال في اسفل الخارطة والجنوب في اعلاها وقد عكسناها بعبارة الطريقة الحديثة في رسم الخرائط لتسهيل المراجعة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المهلّبي
الحسن بن أحمد
(توفي ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م)

الحسن بن أحمد المهلّبي جغرافي مهمّ من جغرافيي القرن الرابع الهجري، وهو مصري عاش في ظلّ الفاطميين. ألّف كتاب «المسالك والممالك» للخليفة العزيز بالله الفاطمي (تولى الخلافة من ٣٦٥-٣٨٦ هـ)، ولذا فكثيراً ما يرد الكتاب باسم: «العزيزي». وأما عنوانه الأصلي فهو يقود إلى الظن بأنه من طراز كتب المسالك والممالك التي مرّت بنا فيما سبق.

وهذا الكتاب لم يصل إلينا، ما خلا نُقول منه أوردها ياقوت الحموي في معجمه وأبو الفداء في تقويمه. وقد تبيّن من هذه المقتطفات أنه يستند أساساً على أوصاف الطرق، وبخاصّة طرق أفريقيا. وهو يمثّل فيما يتعلّق بالسودان بالذات أحد المصادر الرئيسيّة لياقوت الذي ينقل عنه أكثر من ستّين مرّة، ولكنه لا يقتصر على أفريقيا وحدها فياقوت يرجع إليه مراراً بصدد مواضع عديدة في الجزيرة العربية. وقد زار المهلّبي مدينة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سامراّ وحفظ لنا ياقوت انطباعاته الشخصيّة عن أطلالها ، وهو يوليه عناية خاصّة من بين مصادره فيضعه جنباً إلى جنب مع المقدّسي .

هذا وقد نقل من كتاب المهلّبي كثيراً المؤرّخ والجغرافي أبو الفداء ، ولم يكتف بنقل مادّته المتعلّقة بأفريقيا فقط ، إذ يورد عنه خبراً عن جزيرة سُقَطرى وسكّانها من النساطرة ، كما يورد عنه عدداً من الروايات تتعلّق بالشام .

وكان أستاذنا العلاّمة الدكتور صلاح الدين المنجّد قد عثر على قطعة مخطوطة من كتاب المهلّبي في مكتبة الأمبروزيانا بميلانو ، وفيها وصف دمشق وبيت المقدس وذكر ولاة مصر . وقام الدكتور المنجّد بنشر هذه المخطوطة في مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة عام ١٩٥٨ . ومن هذه النشرة أخذنا النصّ المتعلّق بدمشق .

ولنصّ المهلّبي عن دمشق قيمة كبيرة ، فهو يتحدّث عنها كشاهد عيان رأى بأم عينه ما كتب ، وإن بعض ما ذكره فيه لا نجده في المصادر الأخرى التي ذكرت دمشق . وأمّا زمن زيارته لها فلا يمكن لنا تحديده على وجه الدقّة ، غير أنه كان كما يتّضح في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (توفي ٣٨٠ هـ) ، وكانت دمشق آنذاك تحت حكم الفاطميين .

المصادر :

المسالك والممالك للمهلّبي ، مجلة معهد المخطوطات
تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ١/ ٢٣٠
مدينة دمشق عند الجغرافيين للمنجّد ٨٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دمشق

قال المهلّبي: وأمّا دمشقُ فإنها مدينةٌ عاديّة[1] أزليّة. وهي مدينةُ الشام العُظمى، وقصبة الجند. وهي من الإقليم الرابع. وعرضُها ثلاث وثلاثون درجة.

قالوا: وهي إرَمُ ذات العِماد. وهي من أحسن البلاد وأجلّها موقعاً، سهليّة جبليّةٌ، وفي شمالها جبلٌ عظيم ممتدٌ مسيرة أربعة أيّام. وكانت مدينة اليونانيّة ودارَ مُلكهم. وقيل إنه وُجد في ركن من أركان البيت الذي كان فيها للعبادة - ثم صار مسجد الجامع - مكتوباً باليونانيّة: «بنى هذا البيت دامشقيوس على اسم الآلهة ازيس».

قالوا: ودامشقيوس اسم الملك الذي بناها، وازيس تفسيره بالعربية المشتري[2].

وقال قوم: بناها جيرون بن عاد، والصابئة[3] تزعم أن البيت الذي

---

(١) سمّت العرب كل قديم عتيق بالعاديّ، نسبة إلى قوم عاد المذكورين في القرآن الكريم (سورة الفجر - ٦). ويقال: مجدٌ عاديٌّ، وبئرٌ عاديّةٌ. ودخلت هذه المفردة في مصطلحات علم الآثار، فالعاديّات هي اللُّقى الأثرية والتحف القديمة.

(٢) دامشقيوس هو اسم مدينة دمشق في اللاتينيّة Damascus وليس اسم الملك الذي بناها، وازيس يعني: زيوس Zeus وهو أبو الآلهة لدى الإغريق، وصار اسمه عند الرومان (جوبيتر)، وهو فعلاً الإله الذي كُرّس له معبد دمشق الوثني (معبد جوبيتر). كما يعني الاسمان أيضاً: كوكب المشتري. انظر كتابنا: معالم دمشق التاريخية ٢٠٥.

(٣) الصابئة: أتباع نِحْلة تؤلّه الكواكب، كان مقرّهم في حَرّان ما بين النهرين. اشتهر منهم أطبّاء وفلاسفة ومنجّمون، من أشهرهم ثابت بن قُرّة وابنه سنان، والبتّاني وهلال بن المُحَسِّن.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان بها هو أحد البيوت السبعة المبنيّة على أسماء الكواكب، وأنه بيت المشتري. فيرون حَجَّه والسعي إليه.

قالوا: وبني والمشتري راجع. فأقام أربعة آلاف وخمس مئة سنة.

قالوا: وغلب عليه عبّاد الأصنام من اليونانيّة لمّا تركوا دين آبائهم. فأقام في أيديهم ألف سنة.

قالوا: ثم تنصّرت اليونانيّة فصيّروا البيت كنيسة. فأقام بذلك خمس مئة سنة.

قالوا: ثم جاء الإسلام فبُني مسجداً منذ ثلاث مئة سنة.

قال: وطول الغُوطة ثلاثون ميلاً، وعرضها خمسة عشر ميلاً. ولا تكاد الشمس أن تصل إلى أرضها لكثرة الشجر، والمياه تتخرّق في جميع هذه الغوطة فإنها مقسومة للضياع متوزّعة للشرب.

قالوا: واسم الجبل المذكور في شمالي دمشق القَسْيون[1].

قالوا: وفي هذا الجبل المغارة التي قتل فيها هابيل قابيل.

قالوا: وبها استتر ابراهيم عليه السلام من النمرود.

قال: ونزل المسلمون على دمشق لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرّم سنة أربع عشرة للهجرة، بعد أن فُتحت غُوطتها كلّها عنوة. فنزل أبو عبيدة بن الجرّاح على باب الجابية، ونزل خالد بن الوليد على باب شرقي، ونزل يزيدُ بن أبي سفيان على باب كَيْسان، ونزل شُرَحبيل ابن

---

(١) يريد المهلّبي بذلك جبل قاسيون كما هو واضح. والطريف أن هذه الصيغة بإسقاط الألف هي الأقرب إلى مبنى الاسم في اشتقاقه الأصلي باللغة السريانية، وهو فيها: قشيون - قشيونا، ومعناه: القاسي. وهذا المعنى ينطبق على طبيعة الجبل القاسية، وعلى اسمه بالعربية أيضاً. انظر كتابنا: معالم دمشق التاريخية، دراسة تاريخية ولغوية ٤٢٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حسنة على باب الفراديس، ونزل عمرو بن العاص على باب توما. وحصرها المسلمون مدّة، ثم فتحها أبو عبيدة من ناحية باب الجابية.

فلمّا أحسّ مَنْ فيها بالغَلَبة مالوا إلى خالد بن الوليد فصالحوه من ناحية الباب الشرقي[1]، وفتحوا له فدخل، فالتقى بأبي عبيدة في المدينة. فاختلفا في فتحها هل هو عَنوة أو صُلح، وكتبا في ذلك إلى عمر، فأمضاها على الصلح. وبنى المسلمون الجامع إلى جانب كنيسة يوحنّا.

فلمّا تملّك معاوية بن أبي سفيان أراد أن يزيد الكنيسة في المسجد فمنعه النصارى عن ذلك، فأمسك عن طلبها.

ثم لمّا تملّك عبد الملك أراد أن يفعل ذلك، وبذل فيه مالاً كثيراً، فمنعه النصارى منه.

فلمّا تملك الوليد بن عبد الملك جمعهم وأرغبهم، وبذل لهم مالاً عظيماً، فأبوا عليه. فقال لهم: إنكم إن أجبتموني إلى ما أريده وإلا خربت الكنيسة. فقال له بعضهم: إن من خرّب كنيسة جُنّ. فأحفظه ذلك. فنهض في ثوب خَزّ أصفر فوضع المعول بيده فيها فنقضها وزادها في أرض المسجد. وبناه بنية ليس على وجه الأرض مثلها [أو] أسرف منها.

وطول مسجد دمشق مئة وست وخمسون ذراعاً بالسوداء، من حائطه الشمالي إلى قبلته، وعرضه أكثر من طوله وهو مئة وسبعون ذراعاً،

---

(١) من الملاحظ أن المؤرّخين قد اختلفوا في الكيفيّة التي تمّ بها فتح دمشق، وقد تبع الكثيرون رأي الواقدي (وهو متأخّر) أن خالداً فتحها بالسيف قبل أبي عبيدة، بينما ذكر آخرون خلاف ذلك (أنظر البلاذري مثلاً وقول المهلّبي أعلاه). والذي نراه أن خلافاً بين قادة المدينة المحاصرة قد يكون نشب إبّان الحصار، فنجم عنه انحياز بعضهم إلى خالد ومعاونته على فتح الباب الشرقي ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والرواق منه في مقدار نصف ذرع الطول. وفي رواقه اثنا [ن] وأربعون عموداً، عليها ثلاثة صفوف من الحنايا والعمدان كلّها رخام مجزّع، والحنايا وحيطان المسجد كلّها إلى حدّ سقفه منقوشة أبدع نقش بالفسيفساء الملوّن المدهون والمذهب، يخطف الطَّرْف.

وفي وسطه قبّة ارتفاعها نحو خمسين ذراعاً، منقوشة مذهبة الباطن، مقرمدة من خارجها بالقرميد الرصاص، وكذلك جميع سطوح الجامع. وأرض صحنه كلّها مفروشة بالمرمر الأبيض. وكذلك حيطانه كلّها في صحنه وسائر أروقته منقوشة مذهبة بالفسيفساء.

ولمّا تمّم الوليد بن عبد الملك بناءه اصطبح فيه أربعين يوماً يشرب الخمر على قيانه، ثم قال: أمّا أنا فقد أخذت صفو هذا البيت وتركت للناس كدره!

وقد ذكر بعض أهل العلم أنّ حائطه القبلي بناه هود النبي عليه السلام.

ومن طريف الاتفاقات فيه أنّه كُتب في حائطه القبلي سُوَر من القرآن بالفسيفساء المذهب في تضاعيف النقش. فأول سورة كُتبت من ذلك: ﴿والنَّازِعاتِ غَرْقاً﴾(١)، واتفق أن وقع على نفس حنية القبلة تجاه وجه الإمام من آيات القرآن: ﴿عاملةٌ ناصبة* تصلى ناراً حامية﴾(٢).

قالوا: وفي سقف المسجد خمسة طلّسمات للحيّات والعقارب والعناكب، والخطاطيف والغربان، فما يدخله شيء من هذا الحيوان.

---

(١) سورة النازعات: ١.

(٢) سورة الغاشية: ٣ - ٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن عيوب هذا المسجد أن قبلته منحرفة عن سَمْت القبلة الصحيحة إلى نحو المشرق كثيراً[1].

قالوا: وكان من رسم الرّوم إذا استرمّت[2] كنيسة أن يسخِّروا مَنْ وجدوه من الغُرباء في مُدُنهم. وكانت قُرَيش قديماً قبل الإسلام يسافرون إلى الشام في التجارات، فاتفق أن دخل عمر بن الخطّاب في أيام احتيج فيها إلى تسخير الغرباء، فتسخّر في الكنيسة أيّاماً.

وفي ظهر الجامع كانت خضراء معاوية وهي داره[3]، وهي الآن مجلس الشرطة ودار الضرب.

ومن طرائف دمشق دار تُعرف بدار قرمان[4]. وهي الآن ثابتة، فيها ثلاث وستّون بئراً كلّها ماء معين.

وبظاهر دمشق وادي البنفسج[5]. تكسيره نحو أربعة أميال، ونهر

---

(١) وليس ذلك بصحيح، فالحائط القبلي للجامع الأموي يكاد ينطبق على الجنوب الجغرافي. وأمّا الاتّجاه الصحيح لسمت مكّة (القبلة) في دمشق فينبغي أن يكون بمقدار ٧٥ درجة شرقاً، أي ينحرف عن الجنوب الجغرافي باتجاه الشرق (عكس عقارب الساعة) بمقدار ١٥ درجة تقريباً.

(٢) أي احتاجت إلى الإصلاح والترميم.

(٣) المقصود قصر الخضراء الشهير، إلى الجنوب المجاور للجامع الأموي في موضع الصاغة القديمة. أنظر تاريخ ابن عساكر ٢/ ١٣٣، ١٣٨.

(٤) لم نجد أي ذكر لهذه الدار في أيّ من المصادر القديمة عن دمشق، كتاريخ دمشق لابن عساكر وتاريخ ابن القلانسي والأعلاق الخطيرة لابن شدّاد.

(٥) وادي البنفسج (وجواره ميدان الشقراء) ذكره غير واحد من المؤرخين القدامى الذين كتبوا عن دمشق، كالقزويني و العمري و البدري. وموقعه في أيامنا مابين ساحة المرجة والمعرض.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بردى يشقّه، فالوادي كلّه مملوء بشجر السرو، لا تصل الشمس إلي أكثر أرضه. وأرضه كلّها بنفسج متّشح بعضه ببعض، في نهاية الحُسن.

وبدمشق عدّة من ألوان الورد. فمنها أصفر إبريز[1]، وأسود، وسُمّاقي[2]، وورد موجّه، للورقة لونان من خارجها وداخلها. وليس الزّهر على وجه الأرض ببلد أكثر منه بدمشق. اهـ

المسالك والممالك للمهلّبي، نقلاً عن المنجّد

---

(١) الإبريز: معرّبة عن اليونانيّة، وتعني الذهب الخاص.

(٢) اللون السمّاقي: الأحمر الأرجواني الضارب إلى الليلكي، ويعرف في الفرنسيّة باسم: Porphyre، وهو فيها ضرب من الرخام له نفس اللون (الرخام السمّاقي). والسُّمّاق شجيرة برّيّة من فصيلة البُطميات، تستعمل بذورها تابلاً وأوراقها دباغاً.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ٢١ -

المقدَّسي
أبو عبد الله محمّد بن أحمد
(توفي حوالي ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م)

شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن أبي بكر البنّاء الشامي البشاري المُقدَّسي، شخصيّة عجيبة ومهمّة، يعتبره كراتشكوفسكي آخر عظماء المدرسة الكلاسيكيّة في الجغرافيا العربية. بينما يعتبره المستشرق الألماني شپرنگر Sprenger «أكبر جغرافي عرفته البشرية قاطبة»، ويعلّق على ذلك بقوله: ولا أعني بذلك أن كتابه في الجغرافيا يفوق المؤلّفات الحديثة في هذا الفنّ، ولكن من المحتمل أنه لم يسبقه شخص في اتساع مجال أسفاره وعمق ملاحظاته وإخضاعه المادّة التي جمعها لصياغة منظّمة. كما يرى المستشرق كرامرز Kramers أن المقدّسي أكثر الجغرافيين العرب أصالة وأن كتابه واحد من أكثر المصنّفات الجغرافيّة في الأدب العربي قيمة.

ولد المقدّسي عام ٣٣٥ هـ في القدس الشريف، ومن هنا أتى لقبه «المُقَدَّسي» نسبة إلى بيت المَقْدِس أو البيت المُقَدَّس كما كانت تلقّب مدينة القدس آنذاك. وأما لقب «ابن البنّاء» فلأنه كان حفيداً لبنّاء شهير شيّد ميناء عكّا في عهد أحمد بن طولون.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دفع المقدّسي ولعُه بالأسفار إلى زيارة جميع أنحاء العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه طولاً وعرضاً، باستثناء الأندلس والسِّند وسجستان . ويبدو أنه زار جزيرة صقلية، أما معلوماته عن الأندلس فقد نقلها عن حاجّين التقى بهما في مكّة عام ٣٧٧ هـ. وكان يعتمد دائماً على المشاهدة فيما يكتب ويسافر إلى البلاد التي وصفها، ما عدا القليل منها كما بيّنا.

أما كتابه الشهير «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» فقد ألّفه في مدينة شيراز عام ٣٧٥ هـ، وكان له من العمر أربعون عاماً، ثم أتمّه بمسوّدة ثانية عام ٣٧٨ هـ وقدّمه إلى بعض الخلفاء الفاطميين بمصر. ولم يلبث أن توفي بعدها، وذلك في حوالي عام ٣٨٠ هـ، بينما يرى كراتشكوفسكي أن وفاته كانت في أواخر القرن الرابع حوالي عام ٣٩٠ هـ.

وهذا الكتاب أحد أفضل مصادر الأدب الجغرافي العربي، ويكاد لا يضارعه مصدر آخر في إعطاء المعلومات الجغرافيّة والاجتماعية والاقتصاديّة والعلمية والسياسية، فهو غني جداً ويلمس القارىء فيه أصالة الوصف المستند إلى المشاهدة الشخصيّة، ففي نصّه المتعلّق بوصف دمشق كما سنرى يقدّم ما رآه بأم عينه بدلاً من النقل عن الآخرين. ومما يدلّ على تحرّي المقدّسي للدقّة في كل ما كتب ووصف اقتصاره على ذكر البلاد والأقاليم التي زارها كما أسلفنا، وذكر ما فيها من المفاوز والبحار والبحيرات والأنهار ووصف أمصارها المشهورة ومدنها المذكورة ومنازلها المسلوكة، واختلاف أهلها في كلامهم وألسنتهم وألوانهم ومذاهبهم ومكاييلهم وأوزانهم ونقودهم، وصفة طعامهم وشرابهم وثمارهم ومياههم..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويبدو أن المقدّسي كان يلجأ في رحلاته إلى التنكر في ملابس وأزياء مختلفة ويختلق أسماء متعدّدة حتى يتسنّى له الدخول في أماكن مختلفة بغية دراسة عاداتها وتقاليدها، وفي ذلك يقول: ولقد سُمِّيتُ بستة وثلاثين اسماً دعيتُ وخوطبتُ بها، مثل مقدسي وفلسطيني ومصري ومغربي وخراساني وفقيه وصوفي ووليّ وعابد وزاهد وسيّاح وورّاق وغير ذلك، لاختلاف البلدان التي حللتها وكثرة المواضع التي دخلتها. ثم إنه لم يبق شيء مما يلحق المسافرين إلا وقد أخذتُ منه نصيباً، فقد تفقّهتُ وتأدّبتُ وتزهدّتُ وتعبّدتُ وفقّهتُ وأدّبتُ وخطبتُ على المنابر وأذّنتُ على المنائر وأممتُ في المساجد وذكرتُ في الجوامع واختلفتُ إلى المدارس ودعوتُ في المحافل وتكلّمتُ في المجالس، وأكلتُ مع الصوفيّة الهرائس ومع الخانقائيين الثرائد ومع النواتي العصائد، وطُردتُ في الليالي من المساجد وسحْتُ في البراري وتهتُ في الصحاري، وصدقتُ في الورع زماناً وأكلتُ الحرام عياناً. وصحبتُ عُبّاد جبل لبنان وخالطتُ حيناً السلطان، وملكتُ العبيد وحملتُ على رأسي بالزنبيل، وأشرفت مراراً على الغرق وقُطع على قوافلنا الطرق، وخدمتُ القضاة والكبراء وخاطبتُ السلاطين والوزراء، وصاحبتُ في الطرق الفُسّاق وبعتُ البضائع في الأسواق، وسُجنتُ في الحبوس وأُخذتُ على أني جاسوس، وعاينتُ حرب الروم في الشواني وضرب النواقيس في الليالي، وجلّدتُ المصاحف بالكرى واشتريت الماء بالغلى . .

ويضيف: وكم نلتُ العزّ والرفعة ودبّرتُ في قتلي غير مرّة، وحججْتُ وجاورتُ وغزوتُ ورابطتُ، وكُسيتُ خلع الملوك وأمروا لي بالصِّلات وعريتُ وافتقرتُ مرّات، وكاتبني السادات ووبّخني الأشراف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعُرضتُ على الأوقاف وخضعتُ للأخلاف، ورُميتُ بالبِدع واتّهمتُ بالطمع، وأقامني الأمراء والقضاة أميناً ودخلتُ في الوصايا وجُعلتُ وكيلاً، وامتحنتُ الطرّارين واتّبعني الأرذلون وعاندني الحاسدون . .

ثم يعود فيذكر لنا ما عاناه في سبيل تصنيف كتابه فيقول : وما تمّ لي جمعه إلا بعد جولاتي في البلدان ودخولي أقاليم الإسلام، ولقائي العلماء، وخدمتي الملوك، ومجالستي القضاة، ودرسي على الفقهاء، واختلافي إلى الأدباء والقرّاء وكتبة الحديث، ومخالطة الزهّاد والمتصوّفين، وحضور مجالس القصّاص والمذكرين، مع لزوم التجارة في كل بلد والمعاشرة مع كل أحد، والتفطّن في هذه الأسباب بفهم قوي حتى عرفتها، ومساحة الأقاليم بالفراسخ حتى أتقنتها، ودوراني على التخوم حتى حرّرتها، وتنقّلي إلى الأجناد حتى عرفتها.

هذا وقد أضاف المقدّسي إلى كتابه النفيس خريطة مثّل فيها الأقاليم وحدودها وخططها، بيّن فيها الطرق المعروفة بالحُمرة، والرمال الذهبيّة بالصُفرة، والبحار المالحة بالخُضرة، والأنهار بالزُّرقة، والجبال المشهورة بالغُبْرة. غير أن هذه الخريطة لم تصل إلينا مع الأسف .

وينضمّ كتاب المقدّسي إلى السلسلة التي بدأها أبو زيد البلخي، ويمكن اعتباره آخر جغرافيي المدرسة الكلاسيكيّة الإسلامية بكل معنى الكلمة. وإن صلته بهذه المدرسة تنعكس في الخارطات أكثر مما في المتن نفسه، وهي تعيد إلى الذاكرة طابع خارطات الإصطخري. وعلى أي حال يحتلّ الكتاب مكانة مرموقة للغاية بين مؤلّفات الأدب الجغرافي العربي، لا بل بين ذخائر التراث العربي ونوادره قاطبة.

ويعود الفضل في نشر «أحسن التقاسيم» إلى المستشرق الهولندي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دى خُـويّه M. J. De Goeje الذي ترجم فـصـولاً منه إلـى الهـولنديّة عـام ١٨٧٥م، ثم نشره كاملاً بالعربيّة ضـمن سلسلة المكتبة الجغرافيّة العربيّة، وطُبع بلايدن في هولاندة عـام ١٩٠٦م. كـمـا صـدرت ترجـمـات عـديدة لأقسام من الكتاب لعدّة مستشرقين، منهم كريمر Kremer ونالّينو Nallino وكراتشكوڤسكي Krachkovski وغيرهم. ثم ظهرت ترجمات كاملة بقلم رانكنغ Ranking وأزو Azoo وسوڤاجيه Sauvaget .

أما عن دمشق فقد قدّم لنا المقدّسي نصّاً شيّقاً ومفيداً، اعتمد فيه على المشاهدة فيما كتب وفيه ما ينمّ عن دقّة الملاحظة والأصالة في الوصف. من ذلك ذكره لحصن أحدث بها وكان رآه قبل ذلك من طين، وهذا قبل بناء قلعة دمشق في العهد السلجوقي. بيد أن المؤلف لم يقدّم لنا معلومات تدل على تاريخ زيارته لدمشق، غير أنه كان كما يبدو في الثلث الأخير من القرن الرابع الهجري، وكانت دمشق آنذاك بيد الفاطميين.

وقد رجعنا في نقل هذا النص إلى طبعة لايدن.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المصادر :

أحسن التقاسيم للمقدّسي، مقدّمة دى خُوْيّه باللاتينية
تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوڤسكي ١/ ٢٠٨ - ٢١٥
الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متز ٢/ ٢
أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب للمنجّد ٢/ ٩ - ٤٢
مدينة دمشق عند الجغرافيين للمنجّد ٧٢
جهود المسلمين في الجغرافيا لنفيس أحمد ٥٧
الرحلة والرحّالة المسلمون لأحمد رمضان ١٢٩
C. Brockelmann: Geschichte der Arabische Litteratur; Supp. I, S. 410.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دمشق

دِمشقُ هي مصرُ الشام ودار المُلْكِ أيّام بني أميَّة، وثَمَّ قصُورُهم وآثارهم. بنيانُهم خشبٌ وطين. وعليها حصن أُحدِثَ وأنا به من طين(١). أكثرُ أسواقها مُغَطَّاة، ولهم سوقٌ على طولِ البلد مكشوفٌ حَسَن.

وهو بلدٌ قد خَرَقَتْه الأنهارُ، وأحدقتْ به الأشجار، وكثُرَتْ به الثمارُ، مع رخصِ أسعارٍ، وثلج وأضداد. لا ترى أحسن من حَمَّاماتها، ولا أعجب من فوّاراتها، ولا أحزم من أهلها.

الذي عرفتُ من أبوابها: باب الجابيَة، باب الصغير، باب الكبير، باب الشرقيّ، باب تُوما، باب النهر، باب المَحَامِلِيِّين.

وهي طيِّبة جداً، غير أنّ في هوائها يُبوسة، وأهلُها غاغةٌ، وثمارها تَفِهَةٌ، ولحومُها قاسية، ومنازلُها ضيّقة، وأزقّتها غامَّة، وأخبازُها رديَّة، والمعايشُ بها ضيّقة، تكون نحو نصف فرسخ في مثله في مستوى.

والجامعُ أحسن شيء للمسلمين اليوم، ولا يُعلم لهم مالٌ مجتَمعٌ أكثر منه. قد رُفعتْ قواعدُه بالحجارة الموجَّهة كباراً مؤلَّفة، وجُعل عليها شُرُفٌ بهيَّة، وجُعلت أساطينُها أعمدةً سوداً مُلْساً على ثلاثة صفوف واسعة جداً، وفي الوسط إزاء المحراب قبَّةٌ كبيرة، وأُدير على الصحن أروقةٌ

---

(١) هذه إشارة هامّة ينفرد بها المقدّسي، تنصّ صراحة على رؤيته لحصن أحدث بدمشق في العهد الفاطمي مع حصن سابق له مبني باللّبن (قوله: من طين)، وذلك قبل بناء القلعة السلجوقية الذي باشره إتسز بن أوق الخوارزمي عام ٤٦٩ هـ، عقيب استيلائه على دمشق من أيدي الفاطميين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

متعاليةٌ بفِراخٍ فوقها، ثم بُلِّط جميعه بالرّخام الأبيض، وحيطانه إلى قامتين بالرخام المجزَّع، ثم إلى السقف بالفُسافساء الملوَّنة والمذهبة صورُ أشجارٍ وأمصارٍ وكتاباتٌ على غاية الحُسن والدقَّة ولطافة الصنعة. وقلَّ شجرةٌ أو بلدٌ مذكور إلاّ وقد مُثِّل على تلك الحيطان، وطُليت رؤوس الأعمدة بالذهب.

وقناطر الأروقة كلُّها مرصَّعة بالفسيفساء، وأعمدة الصحن كلّها رخام أبيض، وحيطانُه بما يدور والقناطر وفراخها بالفسيفساءِ، نقوش وطروح.

والسطوحُ كلّها مُلَبَّسَةٌ بشقاق الرّصاص، والشرافيّات من الوجهين بالفسيفساء.

وعلى الميمنة في الصحن بيتُ مال على ثمانية عُمُدٍ مرصَّعٌ حيطانهُ بالفسيفساء. وفي المحراب وحوله فصوصٌ عقيقيّة وفيروزجيَّة كأكبر ما يكونُ من الفصوص. وعلى المَيْسرة محرابٌ آخر دون هذا للسلطان. وقد كان تشعَّث وَسَطُهُ فسمعتُ أنه أُنفق عليه خمسُ مئة دينار حتى عاد إلى ما كان.

وعلى رأس القبَّة ترنجة فوقها رمّانة، كلاهما ذهب.

ومن أعجب شيءٍ فيه تأليفُ الرّخام المجزَّع، كلّ شامة إلى أختها.

ولو أنّ رجلاً من أهل الحكمة اختلف إليه سنةً لأفاد منه كلَّ يوم صيغة وعقدة أخرى.

ويُقال إن الوليد جمع لبنائه حُذّاقَ فارس والهند والمغرب والروم، وأنفق عليه خَراجَ الشام سبع سنين، مع ثماني عشرة سفينة ذهب وفضَّة أقلعت من قبرص، سوى ما أهدى إليه ملكُ الرّوم من الآلات والفسافساء.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويدخل إليه العامّة من أربعة أبواب: باب البريد عن اليمين، كبير له فرخان عن يمين وشمال، على كل واحدٍ من الباب الأعظم والفرخين مصراعان مصفّحة بالصُّفْر المذهب، وعلى الباب والفرخين ثلاثة أروقة، كلٌّ باب يفتح إلى رواق طويل قد عُقدت قناطره على أعمدة رخامٍ لبّست حيطانه على ما ذكرنا. وجميع السُّقوف مزوّقة أحسن تزويق.

وفي هذه الأروقة موضعُ الورّاقين، ومجلس خليفة القاضي.

وهذا الباب بين المُغطّى والصحن يقابله عن اليسار بابُ جيرون على ما ذكرنا، غير أن الأروقة معقودةٌ بالعرض، يُصعد إليه في درج، يجلس فيه المُنجّمون وأضرابُهم.

وباب الساعات في زاوية المغطّى الشرقيّة مصراعان سواذج[1]، عليه أروقة يجلس فيه الشروطيُّون وأشباههم.

والباب الرابع باب الفَرَاديس، مصراعان قبال المحراب، في أروقة بين زيادتين عن يمين وشمال، عليه منارةٌ مُحدَثَةٌ مُرصّعة على ما ذكرنا.

وعلى كلّ من هذه الأبواب مَيْضأة مُرخّمة، ببيوت ينبع فيها الماء، وفوّارات خارجة، في قصاع عظيمة من رخام.

ومن الخضراء، وهي دار السلطان، أبوابٌ إلى المقصورة مصفّحة مطليّة.

وقلتُ يوماً لعمّي: يا عمّ، لم يُحْسِن الوليد حيث أنفق أموال المسلمين على جامع دمشق، ولو أصرف ذلك في عمارة الطرق والمصانع ورمِّ الحصون لكان أصوب وأفضل.

---

(١) السواذج جمع ساذج، وهو الخالص غير المشوب وغير المنقوش.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال: لا تفعل يا بنيَّ! إن الوليدَ وُفّق وكُشف له عن أمرٍ جليلٍ. وذلك أنه رأى الشام بلد النصارى، ورأى لهم فيها بيَعاً حسنةً قد أفتن زخارفها وانتشر ذكرها، كالقُمامة وبيعة لُدَّ والرُّها. فاتّخذ للمسلمين مسجداً أشغلهم به عنهنّ، وجعله أحد عجائب الدنيا. ألا ترى أن عبد الملك لمّا رأى عظم قبَّة القمامة وهيئتها خشي أن تَعْظُمَ في قلوب المسلمين فنصب على الصخرة قبَّة على ما ترى.

ووجدتُ في كتاب بخزائن عضد الدولة: عَروسا الدنيا دِمَشْقُ والريُّ.

وقال يحيى بن أكثم: ليس بالأرض أنزه من ثلاث بقاع: سَمَرْقَنْد، وغُوطة دمشق، ونهر الأبُلَّة.

ودمشقُ بناها دمشق بن قاني بن مالك بن أرفخشذ بن سام قبل مولد ابراهيم بخمس سنين.

وقال الأصمعيُّ: لا بل اشتُقَّ اسمها من دَمْشقوها أي أسرعوها.

ويُقال: إن عمر بن عبد العزيز أراد أن ينقض الجامع ويجعله في مصالح المسلمين حتى ناظروه في ذلك.

وقرأتُ في بعض الكتب: إنّ ما أنفق عليه ثمانية عشر حملِ بغل ذهب.

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ١٥٦-١٦٠

صورة ديار العرب

للمقدسي (نبغ سنة ٣٧٥ هـ - ٩٨٥ م) - مقتطفات من كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»

«... انما بلادنا بجزيرة العرب لان بها بيت الله الحرام، ومدينة النبي عليه الصلاة والسلام، ومنها انتشر دين الاسلام، وفيها كانت الخلفاء الراشدون، والانصار والمهاجرون، وبها عقدت رايات المسلمين، وقويت امور الدين، وايضا فان بها المشاعر والمناسك والمواقيت والمناحر ... ومع ذلك فانها تشتمل على حدود جليلة، وكور كبيرة واعمال نفيسة، الا ترى ان الحجاز كلها واليمن باسرها وبلد سبأ والاحقاف واليمامة والاشعار وحمير وعمان والمطائف ونجران وبخنين والخلاف وحجر صالح وديار عاد وثمود والمبثرا المعطلة والقصر المشيد وموضع إرم ذات العماد واصحاب الاخدود وحبس شداد وقبر هود وديار كنده وجبل طي وبيوت الفارهين بالواد وجبل سينا ومدين شعيب وعيون موسى فيها وهي امذ الاقاليم مساحة وافسحها ساحة وافضلها تربة واعظمها حرمة واشرفها مدنا بها صنعاء التي فاقت البلاد وعدن التي تشد اليها الرحال والخالية لاسدوم فيها جمالـــ واليمن الجليلة والحجاز ....»

«تحقيق الدكتور احمد سوسه»

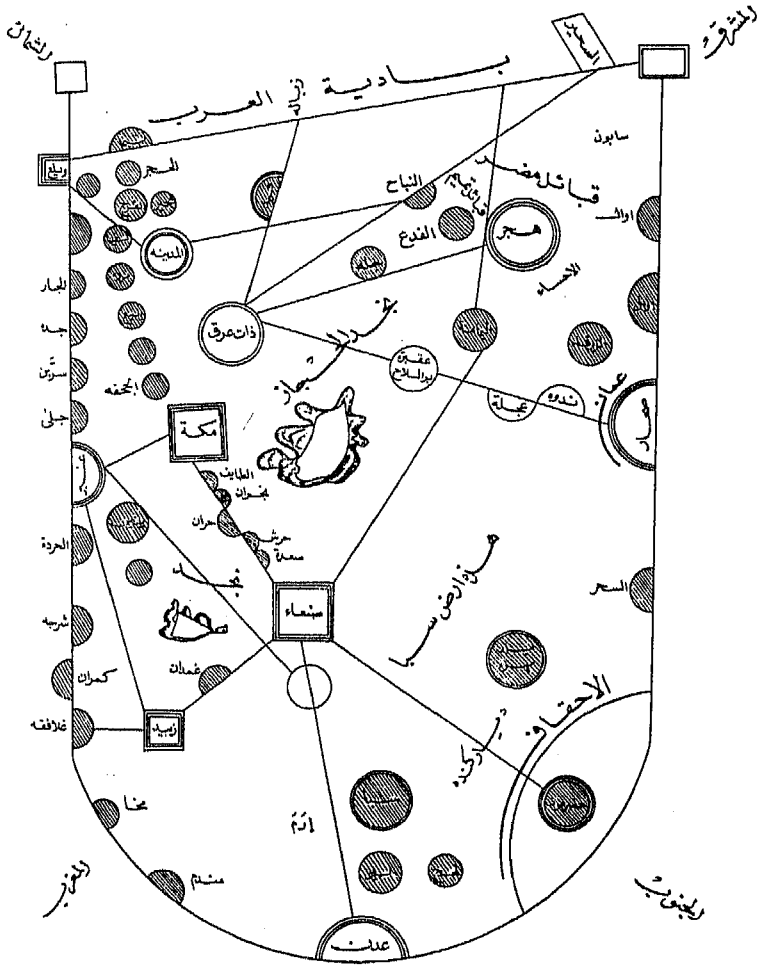

صورة الجزيرة

للمقدسي

نسخ سنة ٢٧٥هـ ٩٨٥م

تحقيق الدكتور أحمد سوسه

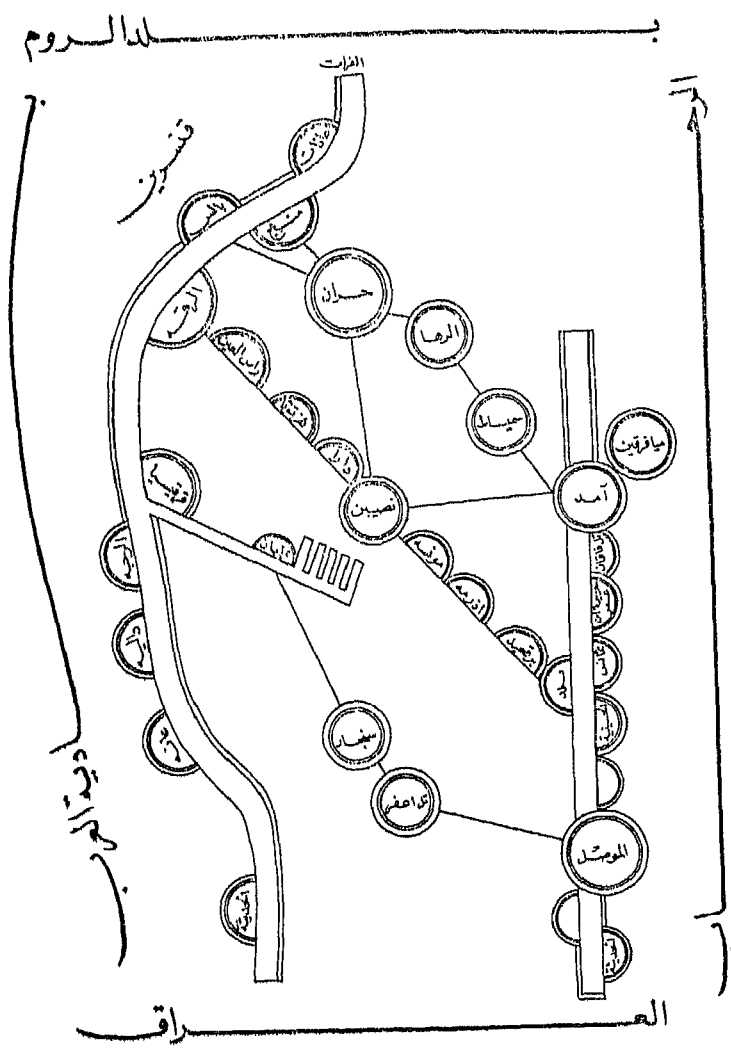

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- ٢٢ -

الشابُشتي
أبو الحسن علي بن محمد
(توفي ٣٨٨ هـ/ ٩٩٨م)

ذكرنا في ترجمتنا السالفة لأبي الفرج الأصبهاني أن القرن الرابع الهجري في عهد العباسيين شهد ظهور نمط جديد من أشكال مؤلفات الأدب الجغرافي العربي، نعني بذلك كتب «الديارات». وقدّمنا أن هذه الكتب عنيت بتعداد الأديرة المشهورة في أنحاء العراق والشام ومصر، مع أخبار من مرّ بها من الخلفاء والخلعاء والشعراء والأمراء والظرفاء، مطعّمة بالأشعار والمُلَح والنّوادر الأدبيّة.

وهذه الديارات، دون ريب، لم تجتذب اهتمام الأدباء والشعراء بوصفها أماكن عبادة، بل بسبب شهرة نبيذها. ففيها كان يطيب إقامة مجالس الشرب وإنشاد الشعر، في بساتين الدير أو مقاصيره بعيداً عن أعين الرقباء. وكانت الأشعار المنشدة فيها تصف هذه المجالس وصفاً حيّاً يقدّم لنا لوحة دقيقة لحياة ذلك العصر.

هذا وقد بلغ عدد المصنّفات المعقودة للديارات العشرين تقريباً، ومن أهمّها كما أسلفنا كتابا الأصبهاني والشابُشتي.

فأمّا الشابُشتي فهو صاحب كتاب «الديارات» الشهير، ولا يُعرف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عنه الكثير غيرما ذكره ياقوت الحموي وابن خلّكان والصلاح الصفدي. وأجمع هؤلاء أن الشابُشتي كان متولياً لخزانة كتب الخليفة الفاطمي العزيز بالله ابن المعزّ بمصر، بينما تضاربت الأقوال في تاريخ وفاته بين ٣٨٨ هـ و٣٩٩ هـ. وأما اسمه «الشابُشْتِي» فقد افترض فيه ابن خلّكان أنه ديلمي الأصل، بينما رأى جماعة من الباحثين المحدثين أن اللفظة فارسيّة منحوتة: (شاه - پُشتي)، وتعني عماد المَلِك، أو المرافق يمشي خلفه ويمنع الناس عنه.

وقد وصلتنا من كتاب الديارات مخطوطة فريدة محفوظة في مكتبة برلين، غير أنها لا تخلو من السقط، ودليل ذلك أنها لم تورد سوى ديارات العراق، دون ديارات الشام ومصر. كما ورد ذكر لنسخة مزوّقة (أي مصوّرة) من الكتاب، رآها بعينه المؤرّخ الدمشقي ابن طولون الصالحي في القرن العاشر الهجري، ولكنها بادت مع الأسف ولم تصلنا.

وقام بنشر مخطوطة برلين من كتاب الديارات علاّمة العراق الأستاذ كوركيس عوّاد، وصدرت ببغداد عام ١٩٥١. وليس في المطبوع ما يتعلّق بدمشق، غير ما ذيّله الناشر نقلاً عن المؤرّخ ابن شدّاد. هذا وكان أستاذنا الدكتور صلاح الدين المنجّد يعدّ لنشر الكتاب، ثم تنازل عنه لعوّاد.

المصادر:

كتاب الديارات للشابُشتي، مقدّمة عوّاد
تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ١/ ٢٣٥
الديارات النصرانية في الإسلام لحبيب الزيّات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دير صليبا

سقطت أخبار هذا الدير من نسخة الديارات للشابُشتي فيما سقط منه، وقد نبّه إلى وروده في الأصل عزّالدين ابن شدّاد، المتوفى عام ٦٨٤هـ في كتابه «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة»:

دير صليبا بدمشق:

مطلّ على الغوطة، ويليه من أبوابها باب الفراديس، وهو يُعرف بدير خالد لأن خالد بن الوليد المخزومي نزله أيام حاصرت العرب دمشق وفتحها. وهذا الدير في موضع حسن، كثير البساتين والمياه عجيب البناء، وأرضه مفروشة بالبلاط الملوّن. وإلى جانبه دير للنساء، وهما آهلان.

قال الشابُشتي[1]: وأنشدتُ فيه:

يا دَيْرَ باب الفراديس المهيّجَ لي ... بلابلاً بقلاليه وأشجارِهْ
ومفلساً لي من مالي ومن نشبي ... بما أباكره من خمر خمّارِهْ
لو عشْتُ تسعين عاماً فيك مُصطبحاً ... لما قضى منك قلبي بعضَ أوطارِهْ

ذيل الديارات للشابُشتي، ط٢، ٣٣٩
الأعلاق الخطيرة لابن شدّاد ٢٧٧

---

(١) هذه الأبيات ذكرها أيضاً المؤرّخ ابن طولون الصالحي، المتوفى عام ٩٥٣ هـ، في رسالته: اللمعات البرقيّة في النكت التاريخيّة، ص ٣٧ - ٣٨.